التاريخ الامريكي

نماذج بحثية

مجموعة من الباحثين



التاريخ الامريكي: نماذج بحثية

التاريخ الامريكي

نماذج بحثية

مجموعة من الباحثين

التاريخ الامريكي: نماذج بحثية

مجموعة من الباحثين

الطبعة الاولى 2021

بلاد الرافدين للثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر©: بلاد الرافدين للثقافة

الترقيم الدولي(ISBN): 978-9922-627-83-0

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على اشرطة أو اقراص مضغوطة أو استخدام اية وسيلة نشر اخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون اذن خطي من الناشر.

Prevent copying or use of any part of this book by any means graphic or electronic or mechanical, including photography and recording on tape or CD-ROM, or use any other means publishing, including the preservation and retrieval of information, without the written permission of the publisher.



المحتويات

المقدمة.

يمثل هذا الكتاب العمل الثالث من مشروع الدراسات التاريخية المشتركة الذي بدأت به عام 2020 بدءً من كتاب: "من تاريخ شعوب الشرق الأدنى القديم" مع كل من د. كوزاد محمد احمد ود. جمال ندا صالح؛ ثم كتاب: "لمحات من تاريخ بلاد الرافدين" مع كل من د. ماجدة حسو منصور وحيدر عقيل.

هذا الكتاب محاولة لدراسة أخرى، وفي بقعة مختلفة من العالم، تتجه نحو القارة الامريكية، مع عدد من الباحثين وهم كل من: د. ايناس سعدي عبدالله ود. نغم طالب عبدالله ود. اسراء حسن فاضل وعبدالله ناهض عباس.

يهدف المشروع قبل كل شيء الى مد أواصر التقارب البحثي مع عدد من المتخصصين في مجال واحد حتى يتسنى إيجاد رؤى مشتركة تكون مقدمة لدراسات مستقبلية اشمل واكثر اتساعاً.

اسامة عدنان يحيى

اذار 2021

1

التبشير المسيحي وأثره في التقاليد المحلية في امريكا هاواي أنموذجا[1]

د. اسامة عدنان يحيى
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

د. ايناس سعدي عبدالله
كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

مدخل عام.

جزر هاواي ولاية امريكية مساحتها 16.706كم^2، وعدد سكانها وفق احصائية عام 2008 بلغ 1.288.665 نسمة، وتقع في وسط المحيط الهادي على بعد 3378كم من سان فرانسيسكو، وعاصمتها هونولولو، وتتألف من ثماني جزر كبيرة هي: هاواي وهي اكبرها، واواهو وهي اكثرها سكاناً وفيها العاصمة هونولولو، وماوي، وكواي، ولاناي، ونيهاو، مولوكاي، وكاهولاي، فضلاً عن العديد من الجزر الصغيرة. وعرفت اولاً باسم جزر ساندويتش، ثم غلب عليها اسمها الحالي نسبة الى اكبر جزرها هاواي. والمجموعة كلها من اصل بركاني، تُحيط بها شعاب مرجانية، وتُكثر البراكين الخامدة والثائرة في جزيرتي هاواي وماوي اللتين تُعدان من اكبر المناطق البركانية في العالم. وتشتهر ولاية هاواي باعتدال جوها وسحر مناظرها الطبيعية مما جعلها مقصداً للسياحة؛ وتربتها خصبة تُزرع فيها غلات كثيرة جيدة اهمها: قصب السكر، والاناناس، والارز، والقطن، والبن، والسيسل، والبندق؛ وتُربى هناك الخنازير البرية، والماعز، وانواع الدواجن، مؤخراً؛ وتنتشر في الجزر مصائد الاسماك التي تُعد من اعظم الثروات الطبيعية هناك. تعود علاقتها مع الولايات المتحدة الامريكية الى عام 1820 عندما نزلها

[1]) الفصل الحالي هو في اصله بحث تم نشره في مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية، المجلد:2، العدد: 1، لسنة: 2020.

المبشرون الامريكيون للمرة الأولى، ثم عقدت اتفاقية تجارية معها عام 1875م، وفي عام 1898 تم ضمها رسمياً للولايات المتحدة الامريكية[1].

ينتمي السكان من الناحية العرقية للجنس البولينيزي، إذ يوصف سكان الجزر البولينيزية دائماً بأنهم محصلة اختلاط ثلاث مجموعات جنسية وهي القوقازية والمغولية والزنجية، ومهما كان الخليط فسكان بولينيزيا متجانسين في صفاتهم الجنسية، وبصفة عامة لونهم بني فاتح، وطوال القامة، وبدون لحية، وشعر بني مموج، وعيون بنية، وملامح الوجه توحي بارتباطهم بسلالة البحر المتوسط. ولغة البولينيزيين متجانسة ايضاً على امتداد الجزر البولينيزية، وقد دفع هذا الارتباط اللغوي والجنسي الذي يسود في بولينيزيا بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن انتشارهم الجغرافي والواسع فوق عدد كبير من الجزر يرجع الى فترة حديثة نسبياً. وبشكل عام ينقسم الباحثين حول اصل البولنيزيين الى فرضيتين هما:

- **الفرضية الاولى**: اقترحها ثور هايردال(Thor Heyerdahl) وتشير ان البولينيزيين وفدوا من العالم الجديد حيث اعتمدوا في ذلك على رحلة طواف من بيرو(Peru) الى جزر كواموتو وهي اشارة الى امكانية اتصال الهنود الامريكيين بتلك الجزر، غير ان هذا الافتراض لم يجد استجابة لدى الباحثين الذين درسوا البولينيزيين حيث لم يجد في التركيب الجنسي اي اصول تعود الى العالم الجديد أو أي اتصال حضاري جاء من هذا الاتجاه.
- **الفرضية الثانية**: تشير الى ارتباط البولينيزيين وثقافتهم بالقارة الاسيوية ولاسيما الجزء الجنوب الشرقي منها، فالخليط الجنسي للبولينيزيين يمكن ارجاعه الى وجود

---

[1] حسين محمد نصار(تحرير)، الموسوعة العربية الميسرة،(بيروت: شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع،2010)، ج7،ص3485.

مجموعات سلالية مختلفة في جنوب شرق اسيا، واكثر من ذلك، فإن الارتباط اللغوي بين البولينيزيين والملايوويين امر واضح، اذ ينتمي المجموعتان الى العائلة اللغوية الملاووية-البولينيزية. وخلاصة كل هذه الادلة فإن الجزء الاعظم من ثقافة البولينيزيين لها اصولها ومثيلها في اندونيسيا. ويعتقد بعض الباحثين انه حتى لو امكن تتبع موجات هجرات البولينيزيين وطرقها إلا ان ذلك لابد ان يعتمد على علم الاجناس والاساطير الخاصة بالبولينيزيين انفسهم. وبالتأكيد يتفق الباحثين حالياً على ان استقرار البولينيزيين في جزر بولينيزيا قد تم في فترة حديثة لا تزيد عن 2000 عام مضى، وربما اقل من ذلك، وان البولينيزيين قد قدموا من بعض اجزاء اندونيسيا، ذلك فضلاً الى ان جزر سوسيتي كانت من اوائل المناطق التي استوطنت في وسط وشرق بولينيزيا حيث برزت هناك صفات وانماط الثقافة البولينيزية من الاسس الحضارية لاندونيسية؛ كذلك انتشر من وسط بولينيزيا السكان الى الخارج من جزيرة الى اخرى الى ان استوطنوا النقاط البعيدة في هاواي وجزر ماكيز وايستر ونيوزيلندا[1].

اما جزيرة هاواي موضوع الدراسة فهي كما قلنا اعلاه اكبر جزر الولاية، وتبلغ مساحتها حوالي 10.423كم2، ويبلغ عدد سكانها حسب احصائية عام 2008 نحو 148.677 نسمة، وتقع في اقصى جنوب ولاية هاواي، وتتألف من ثلاث كتل جبلية كبيرة تعلو بعض قممها رؤوس بركانية؛ وتتألف شواطئها الشمالية والشمالية الشرقية من مرتفعات صخرية تقف إزاء البحر كالجدار، والشواطئ الغربية والجنوبية اراضٍ مستوية عموماً تعلو قليلاً عن سطح البحر. ومناخها يتراوح بين الاستوائي الحار

---

[1]) يسري الجوهري، دراسات في جغرافية الانسان: الجماعات البدائية،(الاسكندرية: مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر والتوزيع،1997)،ص205-206.

في الشواطئ الجنوبية الى البارد المتجمد في قمم الجبال في الشمال؛ وهناك مساحات واسعة من الارض تغطيها الصخور البركانية، تجاورها مساحات اخرى مكسوة بالأحراش. وتُكثر بالجزر الشلالات، وفي جنوبها الشرقي شاطئ متسع نغطى بالرمال السوداء، ويقوم عند سفح جبل موناكي سهل باركر رانش تبلغ مساحته نصف مليون فدان، وتكفي مواشيه معظم حاجة المنطقة من اللحوم، ويُزرع في جزيرة هاواي البن، والسيسل، وقصب السكر، وتنتشر مصائد الاسماك على الشواطئ الغربية[1].

اكتشاف جزر المحيط الهادي وهاواي.

يعود الفضل في اكتشاف جزر هاواي الى الكابتن جيمس كوك(James Cook)(1728-1779م) وهو ابن مزارع في مقاطعة يوركشاير في انكلترا، عمل في صغره عند صاحب مصنع للسفن، وتعلم الكثير عن الملاحة، وفي سن الـ 27 دخل الاسطول الملكي البريطاني، واشترك في المعارك البحرية ضد الفرنسيين في المياه الامريكية في حرب السبع سنوات، وكان ممن اظهروا مهارة عظيمة في عبور نهر سانت لورنس في بعثة الجنرال وولف في الحرب، وكمساح بحري خدم اربع سنوات في مسح جزيرة نيوفوندلاند، ثم ارسلته الحكومة البريطانية للقيام باستكشافات جغرافية في البحار الجنوبية، وقد قام بثلاث رحلات مهمة، واظهر كفاءة قيادية في استكشافاته جعلته من المستكشفين العظام في التاريخ، وعده الشعب البريطاني احد اعظم المستعمرين الذين شيدوا الامبراطورية البريطانية[2]. اما رحلاته الثلاث فهي:

[1]) نصار، الموسوعة العربية الميسرة، ج7،ص3484-3485.

[2]) محمد حمدي علي، الاكتشافات الجغرافية من القرن الخامس عشر الى نهاية القرن التاسع عشر،(القاهرة: المطبعة الجمالية،1913)،ص49؛ محمد محمد صالح، تاريخ اوربا في عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية،(بغداد: مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر،1982)،ص502.

- **الرحلة الاولى(1768–1770)**: في عام 1768انتخبت الجمعية الملكية البريطانية الكابتن كوك رئيساً لبعثة رصد مرور كوكب الزُهرة في المحيط الاطلسي، وقد غادرت رحلته انكلترا في 26 اب 1768، فسار حول رأس هورن في جنوب امريكا الجنوبية الى جزيرة تاهيتي(Tahiti) في 13 نيسان 1769، ثم الى جزر سويستي ورصد مرور كوكب الزُهرة، ثم عبر المحيط الهادي لكي يبحث عن القارة الجنوبية المجهولة التي ظن المكتشف الهواندي تاسمان(Tasman)(1642-1643) انه اكتشفها؛ ووصل بعد ذلك الى نيوزيلاندا(New Zealand) عام 1770، وواصل سيره الى هولاندا الجديد(استراليا)، ثم ارتاد شاطئها الشرقي الى خليج بوتاني(بوتاني)(Botany) الى رأس كوك، وكادت سفينته تنكسر على الحاجز المرجاني، وبيّن كوك ان استراليا غير متصلة بـ غينيا الجديدة وسمى هذا الجزء ويلز الجديدة(New Wales)، لمشابهتها لـ ويلز في انكلترا عند شاطئ سوان سي(Swan Sea)، ونزل في المكان الذي بُنيت فيه مدينة سيدني فيما بعد وعدها ملكاً لبريطانيا بشكل رسمي؛ ثم عبر مضيق توريس الى بتاڤيا ورجع الى انكلترا عن طريق رأس الرجاء الصالح حول افريقيا؛ وقد اوضح في رحلته الاولى ان استراليا ونيوزيلاندا ليستا متصليتين بتلك القارة الجنوبية التي شغلت بال جميع رحالي العالم في ذلك الوقت[1].

---

[1]) علي، الاكتشافات الجغرافية،ص49–50؛ صالح، تاريخ اوربا في عصر النهضة،ص503؛

The Sydney Morning Herald May, 2,1931; Vanessa Collingridge, Captain Cook: The Life, Death and Legacy of History's Greatest Explorer,(London, 2003),P.95.

- **الرحلة الثانية(1772–1775)**: في رحلته الثانية سافر كوك لحل معضلة وجود القارة الجنوبية المجهولة في ذلك الوقت فسافر لرأس الرجاء الصالح ومن هناك جعل سيره على شكل خط منكسر حول القطب الجنوبي وهناك اتضح له عدم وجود تلك القارة المجهولة، ثم امضى بقية فصل الشتاء متنقلاً بين الجزر العديدة التي اكتشفها قبله الهولنديون والاسبان والانكليز ورسم ذلك على خرائطه، ثم من هناك عبر المحيط الهادي الى استراليا ونيوزيلاندا مرة اخرى، واكتشف جزيرة كاليدونيا الجنوبية عام 1774، ثم واصل سيره الى رأس هورن، ودار حول الساحل الجنوبي من استراليا وافريقيا وامريكا الجنوبية، وبيّن للعالم ان ليس هناك قارة كبيرة في النصف الجنوبي من الكرة الارضية سوى هولندا الجديدة(استراليا) التي سماها كوك من قبل ويلز الجديدة وهي صغيرة بالنسبة للقارات الكبرى في النصف الشمالي من الكرة الارضية، ولم يعد من رحلته هذه من رجاله إلا اربعة من اصل 118 رجلاً[1].
- **الرحلة الثالثة(1776–1779)**: في عام 1776 ارسل الملك البريطاني جورج الثالث الكابتن كوك في رحلته الثالثة، فسافر الاخير عن طريق رأس الرجاء الصالح الى جزر سويستي، ثم عرج الى الشمال الشرقي واكتشف جزر هاواي التي اكتشفها الاسبان سابقاً في القرن السادس عشر لكنها فُقدت بعد ذلك، وسماها جزر ساندوتش، باسم وزير البحرية الانكليزية في ذلك الوقت، ثم ذهب منها الى مضيق جوان دي فيوكا في امريكا الشمالية واثبت كوك ان البحر الداخلي الذي ذكره جوان دي فيوكا غير موجود بالمرة، وقد ارتاد

[1]) علي، الاكتشافات الجغرافية،ص50–51؛ صالح، تاريخ اوربا في عصر النهضة،ص503؛
Richard Hough, Captain James Cook,(London,1994),P.263.

الشمال الغربي من شاطئ امريكا الى رأس بارو ثم تعذر عليه المرور هناك لكثرة الثلج، وفي اثناء ذلك مسح شواطئ مضيق بيرنغ، وقاس المسافة فوجدها 36 ميلاً، ثم رجع الى جزيرة هاواي فقتله سكان تلك الجزيرة عام 1779، ورجعت سفنه الى بريطانيا[1].

التبشير المسيحي في هاواي.

بدأ التبشير في هاواي على يد المبشرين البروتستانت الامريكيين، وبشكل خاص على يد مجلس المفوضين الامريكي للبعثات الاجنبية(ABCFM)، وهي اول جمعية تبشيرية اجنبية امريكية تأسست في عام 1810 في نيو انغيلاند، وقد تم ارسال العديد من المبشرين من خلالها الى العديد من البلدان والى داخل المناطق الامريكية، ولكن كان العمل في هاواي ملحوظاً بشكل خاص؛ فمن عام 1820-1848، عمل اكثر من 80 مبشراً في هاواي، وقدموا المسيحية، والتعليم الغربي، والصحافة الى السكان المحليين[2]. وقد ارسل مجلس المفوضين 12 بعثة تبشيرية الى هاواي هي:

البعثة الاولى: انطلقت بوسطن ووصلت الى هاواي يوم 30 اذار 1820.

البعثة الثانية: انطلقت من نيو هاڤن ووصلت هاواي يوم 23 نيسان 1823.

البعثة الثالثة: انطلقت من بوسطن ووصلت هاواي في 30 اذار 1828.

البعثة الرابعة: انطلقت من نيو انغيلاند ووصلت هاواي في 7 حزيران 1831.

البعثة الخامسة: انطلقت من بوسطن ووصلت هاواي في 17 ايار 1832.

البعثة السادسة: انطلقت من مينتور ووصلت هاواي في 1 ايار 1833.

البعثة السابعة: انطلقت من هيلسوپونت ووصلت هاواي 6 حزيران 1835.

---

[1]) علي، الاكتشافات الجغرافية،ص51-52؛صالح، تاريخ اوربا في عصر النهضة،ص503؛ Collingridge, Captain Cook,P.380, 410-412.

[2]) Amy Tikkanen, " American Board of Commissioners for Foreign Missions", in: Encyclopedia Britannica,2019.

البعثة الثامنة: انطلقت من بوسطن ووصلت هاواي في 9 نيسان 1837.

البعثة التاسعة: انطلقت من غلوستر ووصلت هاواي في 21 اذار 1841.

البعثة العاشرة: انطلقت من بوسطن ووصلت هاواي في 24 ايلول 1842.

البعثة الحادية عشرة: انطلقت من بوسطن ووصلت هاواي في 24 تموز 1844.

البعثة الثانية عشرة: انطلقت من بوسطن ووصلت هاواي يوم 6 شباط 1848[1].

لم يقتصر التبشير على الكنيسة البروتستانتية بل شاركهم التبشير الكاثوليك، ومن ابرز المبشرين المسيحيين في هاواي كان القديس داميان مولوكاي(St. Damien of Molokai)، ودُعي ايضاً بـ الاب داميان، واسمه الاصلي جوزيف دي ڤيستر(Joseph de Veuster)، الذي ولد في بلجيكا في 3 كانون الثاني 1840، وقد كرس حياته للعمل التبشيري في هاواي، واصبح احد قديسي الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وقد اصبح احد اعضاء جمعية القلوب المقدسة ليسوع ومريم منذ عام 1858، ووصل الى هاواي مبشراً عام 1863. وفي عام 1864 تم تعيينه قساً في كنيسة هونولولو(Honolulu)، ثم تولى التبشير بين اولئك المصابين بمرض الجذام التي قامت حكومة هاواي بترحيلهم الى كالابوري في جزيرة مولوكوي، وقد شغل منصب القس والطبيب في المستعمرة، فتولى مهمة تحسين المياه والمواد الغذائية والاسكان هناك، واسس اثنين من دور الايتام. في عام 1884 اصيب الاب داميان بالجذام ورفض مغادرة الجزيرة من اجل العلاج، وتوفي في 15 نيسان 1889، وبعد وفاته تم دفنه في المستعمرة، ولكن في عام 1936 تم نقل رفاته الى بلدته في لوڤين في بلجيكا[2].

---

1) See: Hawaiian Mission Children's Society, Portraits of American Protestant Missionaries to Hawaii,(Honoluku,1901).

2) Melissa Petruzzello, ", St. Damien of Molokai", in: Encyclopedia Britannica,2019.

التبشير المسيحي واثره في التقاليد المحلية في هاواي.

- **اسطورة الخلق من هاواي.**

تذكرة اسطورة الخلق من هاواي ان الـ كاني(Kane)، وكو(Ku)، ولونو(Lono) أو ضوء الشمس، والمادة، والصوت، شكلوا سوية ثالوثاً يُعرف باسم كو-كاوا-كاهي(Ku-Kaua-Kahi) او الاتحاد الاعلى الاساسي، وكان يتم التوجه الى هذا الاتحاد بالعبادة من خلال نداءات من قبيل (هي-كا-پو-لوا، او-ي)(Hi-ka-po-loa, Oi,e)، وتعني: "يا ايها العظيم"، وما شابه ذلك. ويعود وجود هذه الآلهة الى بداية الزمان قبل حلول الفوضى ومنذ ذلك الحين، او بحسب تعبير سكان هاواي: (ماي كا پو ميا)(mai ka po mia): "منذ وقت الليل والظلام والفوضى". وقد شاءت ارادة الآلهة تبديد الظلام والفوضى، التي عمت الكون في ذلك الزمن السحيق، فراح الضوء ينسرب في فضاءات الكون؛ ثم قامت الآلهة بخلق السموات، وعددها ثلاثة، وجعلوها مكاناً لسكناهم، ثم خلقوا الأرض لتكون المكان الذي يريحون فيه اقدامهم أو بتعبير سكان هاواي(هي كيهينا هونوا آ كاني)(he kehina honua a kane)؛ ثم خلقوا الشمس والقمر والنجوم وعدداً من الملائكة أو الارواح لتتولى الاشراف عليها اي(اي كيني اكوا)(I kini akua)؛ وخلقوا الانسان ليصبح صنواً او نموذجاً يشبه الإله كاني(Kane)، وخُلق جسم الإنسان الأول من طمي الأرض الحمراء(ليپو اولا)(Lepo ula) أو(الايا)(alaea)، ممزوجاً بلعاب الآلهة(واي ناو)(Wai nao)، وخلقت الآلهة رأس الإنسان من طين ابيض(پالولو)(Palolo)، وقام الإله لونو(Lono) بإحضار الطين من اركان العالم الاربعة. وحين اكتمل خلق النموذج الارضي للإله كين نفخت الآلهة الثلاثة في انفه ودعته الى النهوض، فدبت فيه الروح واصبح كائناً حياً؛ وبعد ذلك خُلقت أول امرأة(لالو پوهاكا)(Lalo puhaka)، من احد اضلاع الرجل اثناء نومه، واصبح

هذان الاثنان ابوا البشرية، وتتم الاشارة لهما في الاناشيد والاساطير المختلفة بالكثير من الاسماء المتباينة، لكن الاسم الاكثر شيوعاً للرجل هو كوهونوا(Kumuhonua)، والاكثر شيوعاً للمرأة كيولاكوهونوا(Keolakuhuona) أو لالاهونوا(Lalahonua)[1].

بعد ان استعرضنا اسطورة الخلق من هاواي لابد من الانتباه الى ان هناك بعض المؤثرات اليهودية-المسيحية دخلت الى التقاليد المحلية نتيجة التبشير المسيحية لاسيما واذا ادركنا ان الكتاب المقدس يتألف من قسمين هما العهد القديم ويتألف من (التوراة، وكتب التاريخ، وكتب الحكمة، وكتب الانبياء)؛ والعهد الجديد ويتألف من(الاناجيل، اعمال الرسل، ورسائل القديسين، وكتاب يوحنا اللاهوتي)، يمكن ايضاح تلك المؤثرات في الجدول ادناه:

اسطورة الخلق من هاواي	اسطورة الخلق في الكتاب المقدس
يمثل كين وكو ولونو ثالوثاً يُعرف باسم الاتحاد الاعلى الاساسي.	بلا شك كانت فكرة الثالوث قد تسربت الى التقاليد المحلية في هاواي نتيجة للتبشير المسيحي فحسب التي يظهر فيها الله مكوناً من ثالوث هو الاب، والابن، والروح القدس[2].
وجود هذه الآلهة الى بداية الزمان قبل حلول الفوضى	كانت الارض خاوية خالية، وعلى وجه الغمر ظلام، وروح الله يرف على وجه

[1]) Thos G. Thrum, Hawaiian Folk Tales,(Chicago, 1907),P.15-16.

[2]) حول مفهوم الثالوث المسيحي انظر: ابراهيم القمص عازور، مدخل الى حقيقة الثالوث،(القاهرة: انسبيراشن للطباعة والنشر،2015)؛ اسامة عدنان يحيى، السوما-الهاوما والسيد المسيح: نظرة في معتقدات شرقية قديمة،(بغداد: اشوربانيبال للكتاب،2017)،ص102-140.

	المياه(تكوين،1: 2).
وخلق الالهة الانسان ليصبح صنواً او نموذجاً يشبه الإله كاني	قال الله: "لنصنع الانسان على صورتنا كمثالنا"(تكوين،1: 26)؛ وفي مقطع اخر نقرأ: "فخلق الله الانسان على صورته، على صورة الله، ذكراً وانثى خلقهم"(تكوين،1: 27).
خُلق جسم الإنسان الأول من طمي الأرض الحمراء، في حين خلقت الآلهة رأس الإنسان من طين ابيض، وقام الإله لونو، بإحضار الطين من اركان العالم الاربعة.	ان الانسان خُلق من طين: "جبل الرب الإله ادم تراباً من الأرض..."(تكوين،2: 7)؛ ومن جانب اخر يبدو ان النص الذي يشير ان الإله لونو جلب الطين من اركان العالم الاربعة قد دخل الى التقاليد المحلية في هاواي من خارج الكتاب المقدس، فهناك اسطورة يهودية ان التراب الذي جُبل منه جذع ادم جيء به من بابل والذي جُبل منه الرأس من اسرائيل و الذي صُنع منه ردفاه من قلعة بابل الموسومة (Agma) وتراب اضلاعه من اماكن اخرى[1].
حين اكتمل خلق النموذج الارضي للإله كين نفخت الآلهة الثلاثة في انفه ودعته الى النهوض، فدبت فيه الروح	جبل الرب الإله ادم تراباً من الارض ونفخ في انفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية(تكوين،2: 7).

[1]) علي الشوك، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، (لندن :دار اللام ،1987)،ص55-56.

واصبح كائناً حياً.	
خُلقت أول امرأة من احد اضلاع الرجل اثناء نومه	اوقع الرب الإله ادم في نوم عميق، وفيما هو نائم اخذ احد اضلاعه وسد مكانها بلحم، وبنى الرب الإله امرأة من الضلع التي اخذها من آدم(تكوين،2: 22-23).

قبل ختام الموضوع لابد من التنويه الى مسألة ذات اهمية خاصة وهي اشارة اسطورة الخليقة من هاواي الى ان جسم الإنسان الأول خُلق من طمي الأرض الحمراء ممزوجاً بلعاب الآلهة، وهذا يذكرنا جيداً بالأسطورة البابلية الخاصة بخلق الانسان التي تذكر:

"ذبحوا(الآلهة) خلال اجتماعهم،

ايلا ويلا، الإله الذي يتمتع بالذكاء

ومزجت نينتو الطين

بدمه وبلحمه

وسمعوا قرع الطبول الى ابد الآبدين

واتت روح الى الوجود من لحم الإله

واعلنتها(نينتو) اشارة حية له.

واتت الروح الى الوجود كي لا يُنسى(الإله الذبيح)

وبعد ان مزجت ذلك الطين

دعت الـ انوناكي، الآلهة العظام

وبصق الـ ايگيگي الآلهة العظام

بصاقاً فوق الطين"[1].

علينا ان نتساءل هنا: ان كان هذا التشابه هو نتاج الصدفة البحتة؟ ام هناك مؤثرات بابلية قد وصلت يوماً الى تلك الجزر؟ وبما اننا لا نمتلك حالياً اي دليل عن وجود اي اتصال حضاري بين مناطق الشرق الادنى وجزر المحيط الهادي لذا سيكون من الافضل القول ان هذا التشابه هو من باب الصدفة المحضة.

- **اسطورة الجنة.**

تذكر اساطير هاواي الموطن البدائي الاول الذي سكنه اسلاف البشر بأرفع معاني الثناء، فقد اطلق عليه العديد من الاسماء ذات المعاني المتباينة، لكن اقدمها واكثرها شيوعاً هو كالانا-اي-هاو-اولا(Kalana-i-hau-ola)(كالانا ذو الندى الواهب للحياة)، وكان هذا الموطن يقع في بلد كبير، او في قارة أُطلق عليها في الاساطير المختلفة مثل: كاهيكي-هونوا-كيلي(Kahiki-honua-kele)، وكاهيكي-كو(Kahiki-ku)، وكاپا-كاپا-اوا-ا-كين(Kapa-kapa-ua-a-kane)، ومولو-لاني(Molo-lani). ومن بين الاسماء الاخرى للموطن الرئيس أو الجنة هناك پالي-اولي(Pali-uli)،وتعني: "الجبل الازرق"؛ واينا-اي-كا-كاوپو-او-كين(Aina-i-ka-kaupo-o-kane)، وتعني: "الارض في قلب كين"؛ واينا-واي-اكوا-ا-كين، وتعني: "ارض المياه الإلهية في كين". وتذكر الاساطير ان پالي-اولي ارض مقدسة ومحرمة، وان على الانسان ان يكون صالحاً حتى يصل إليها، اما لو ارتكب الخطايا والذنوب فلن ينالها، وكذلك ان نظر خافه وبكى ندماً على الماضي، وكذلك ان فضل عائلته عليها، فسوف يُحرم من الوصول الى پالي-اولي. ومن

---

[1] ستيفاني دالي، اساطير بلاد ما بين النهرين، ترجمة: نجوى نصر،(بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والاعلام،2011)،ص49.

بين حلي الجنة البولينيزية أو الـ كالانا-اي-هاو-اولا(Kalana-i-hau-ola) ينمو الـ اولو كاپو آكين وتعني: "فاكهة الخبز المحرمة من اجل كين"، وكذلك الـ اهيا-هيموليلي، وتعني: شجرة التفاح المقدسة، ويقال ان الكهنة القدماء كانوا يعتقدون ان ثمار هذه الاشجار المحرمة ترتبط بطريقة ما بوفاة كوموهونوا ولالاهونوا، اول رجل وامرأة على وجه الارض؛ ومن ثم نجد في الاناشيد القديمة اسماء كين-لا-اولي(Kane-laa-uli)، وكومو-اولي(Kumu-uli)، وكولو-ايپو(kulu-ipo)، اول الهابطين، وغيرها من الاسماء المشابهة التي اطلقت على الرجل الذي نزل الى الارض بسبب الشجرة[1].

بعد ان انتهينا من استعراض اسطورة الجنة لدى شعب هاواي لابد من تحديد ملامح المؤثرات التي دخلت اليها من الكتاب المقدس عن طريق التبشير المسيحي، وهي كما في الجدول ادناه:

اسطورة الجنة من هاواي	اسطورة الجنة في الكتاب المقدس
تمثل الجنة الموطن البولينيزية الموطن الاول لأسلاف البشر	غرس الرب الإله جنة في عدن واسكن هناك ادم الذي جبله(تكوين،2: 8).
احدى اسماء الجنة البولينيزية هي ارض المياه الإلهية في كين	كان يخرج من عدن نهر فيسقي الجنة ويتشعب من هناك فيصير اربعة انهار احدها اسمه فيشون، والثاني اسمه جيحون، والثالث اسمه دجلة، الرابع هو الفرات(تكوين،2: 10-14).
في الجنة البولينيزية هناك نباتات مقدسة	انبت الرب الإله من الارض في جنة عدن

[1]) Thos G. Thrum, Hawaiian Folk Tales,(Chicago, 1907),P.17.

مثل فاكهة الخبز المحرمة من اجل كين؛ وشجرة التفاح المقدسة	كل شجرة حسنة المنظر وطيبة المأكل، وكانت شجرة الحياة وشجرة الخير والشر في وسط الجنة(تكوين،2: 9). وفي مقطع اخر يظهر ان الجنة هي التي تُبنت مزروعاتها: "الجنة تُنبت زرعها"(اشعياء،61: 11)؛ ويمكن ان نلاحظ ان الساميين القدماء ومنهم الاسرائيليون القدماء عدوا شجرة التفاح شجرة الحياة لديهم[1].
ان ثمار الاشجار المحرمة ترتبط بطريقة ما بوفاة كوموهونوا ولالاهونوا، اول رجل وامرأة على وجه الارض	يأكل آدم وحواء من شجرة الخير والشر فيطردهما قبل ان يأكلا من شجرة الحياة فيصبحا خالدين لذا يصبح مصيرهما الموت(تكوين،3: 1-1-24).

- **اسطورة ابنا الرجل الأول.**

تفيد اساطير هاواي ان الابن الاكبر للرجل الأول الذي خلقته الآلهة كوموهونوا(Kumuhonua) كان اسمه لاكا(Laka)، اما الثاني فاسمه(اهو)(Ahu)، وتشير اسطورة ان لاكا كان رجلاً شريراً وقتل شقيقه اهو[2].ولا تحتاج هذه الاسطورة الى تحليل لكي يدرك القارئ مدى تأثير اسطورة قايين وهابيل في الكتاب المقدس على الاسطورة من هاواي، فحسب الاسطورة الواردة في الكتاب المقدس كان لـ آدم ولدان الأول يدعى قايين وكان شريراً الذي قدم قرباناً للرب لكن

---

[1]) وداد الجوراني، الرحلة الى الفردوس والجحيم في اساطير العراق القديم،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،1998)،ص75.

[2]) Thrum, Hawaiian Folk Tales,P.19.

الأخير لم يقبل قربانه، في حين تقبل قربان اخيه هابيل الامر الذي اغضب قايين فقتل اخيه هابيل[1].

- **اسطورة الطوفان من هاواي.**

هناك العديد من الاساطير الخاصة بالطوفان في هاواي، ولكن ما يخصنا منها واحدة يظهر انها متأثرة بالنص التوراتي نتيجة للتبشير المسيحي، وتذكر الاسطورة انه في زمن نوو(Nuu) أو نانا-نوو(Nana-nuu)، غمر الطوفان الارض(كاياكاهينالي)(Kaiakahinalii) وقضى على جميع الاحياء، وان نوو اقام سفينة كبيرة بأمر الإله، وبنى فوقها منزلاً، وكان يشار إليها في الاناشيد باسم: هي وا هالاو الي او كا موكو، وتعني: "السفينة الملكية"، ونجا بفضلها هو افراد اسرته المكونة من زوجته ليلينوي(Lilinoe) واولاده الثلاثة وزوجاتهم. وعندما انحسر الطوفان، دخل كين، وكو، ولونو السفينة، وطلبوا من نوو الخروج، فخرج نوو، بالفعل ليجد نفسه فوق قمة ماونا كيا(Mauna Kea) وهي اعلى جبل على جزيرة هاواي، وقد اطلق اسم زوجته على احد الكهوف هناك، ولا يزال الكهف موجوداً حتى يومنا هذا كما تقول الاسطورة. وتذكر روايات اخرى للأسطورة نفسها ان نوو هبط في كاهيكي-هونوا-كيلي(Kahiki-honua-kele)، وهي بلدة كبيرة وواسعة، واستقر هناك. وغادر نوو السفينة في مساء ذلك اليوم، واخذ معه خنزيراً، وثمار جوز الهند ونبات اوا(awa) قرباناً للإله كين؛ ثم نظر عالياً ورأى القمر في كبد السماء وظنه الإله، فقال في نفسه: انت كين بلا ريب، رغم انك غيرت صورتك في نظري، وهكذا بدأ يعبد القمر وقدم له القرابين، ثم انحدر كين فوق قوس قزح وتحدث مع نوو مؤنباً اياه، لكن نوو نجا بذنبه طالباً العفو من كين. وكان ابناء نوو الثلاثة هم نالوا-كيا(-Nalu

---

[1]) تكوين، 4: 1-15.

Nalu-akea)، ونالو-هوو-هوا(Nalu-hoo-hua)، ونالو-مانا-مانا(Nalu-mana-mana)[1].

في هذه الاسطورة يظهر تأثير التبشير المسيحي في افضل حالاته، وكما يتضح في المقارنة ادناه:

اسطورة الطوفان من هاواي	اسطورة الطوفان في الكتاب المقدس
اسم بطل الطوفان نوو	اسم بطل الطوفان نوح
غمر الطوفان الارض وقضى على جميع الاحياء	تعاظمت المياه وتكاثرت على الارض، فغطت الجبال الشامخة تحت السماء كلها، وعلت المياه خمس عشرة ذراعاً فوق الجبال فغطتها، فهلك كل من له جسد يدب على الارض، من الطير والبهائم والوحوش وكل الزواحف التي تزحف على الارض وجميع البشر، فكل من في انفه نسمة حياة على الارض اليابسة مات(تكوين،7: 19-22).
نوو اقام سفينة كبيرة بأمر الإله(كين) كما يمكن ان نستنتجه من سياق الاسطورة.	قال الله لنوح اصنع لك سفينة(تكوين،6: 13-14).
ونجا بفضل السفينة هو افراد اسرته.	قال الله لنوح ادخل السفينة مع جميع اهل بيتك(تكوين،7: 1).
عندما انحسر الطوفان، دخل كين، وكو،	خاطب الله نوحاً وقال: اخرج من السفينة

1) Thrum, Hawaiian Folk Tales,P.20-21; Martha Warren Beckwith, Hawiian Mythology,(Hawiian,1970),P.314.

ولونو السفينة، وطلبوا من نوو الخروج	انت وامرأتك وبنوك ونسوة بنيك معك(تكوين،8: 15-16).
فخرج نوو ليجد نفسه فوق قمة ماونا كيا	استقرت السفينة على جبل اراراط(تكوين،8: 4).
غادر نوو السفينة واخذ معه خنزيراً، وثمار جوز الهند ونبات اوا قرباناً للإله كين	بنى نوح مذبحاً للرب واخذ من جميع البهائم والطيور الطاهرة بحسب الشريعة، فاصصعد مُحرقات على المذبح(تكوين،8: 20).
انحدر كين فوق قوس قزح	يمثل قوس قزح علامة العهد بين الرب والارض حتى لا يفني الرب البشر ثانية(تكوين،9: 13).
ابناء نوو الثلاثة هم نالوا-كيا، ونالو-هوو-هوا، ونالو-مانا-مانا.	ابناء نوح الثلاثة هم: سام، وحام، ويافث(تكوين،9: 18).

- **اسطورة لوا-نوو.**

تتحدث الاساطير من هاواي عن لوا-نوو(lua-nuu) أو يسمى احياناً نوو الثاني، ويمثل الجيل العاشر من ابناء نوو، ومن المعروف أيضا في الاسطورة باسم كين-هوا-لاني(Kane-hoa-lani)، وكوپولي(Kupule)، وغيرها من الاسماء. وتضيف الاسطورة ان لوا-نوو كان اول من مارس الختان بين ذريته بأمر الآلهة، وغادر موطنه الاصلي، وسافر بعيداً حتى وصل الى بلد يسمى هونوا-ايلالو(Honua-ilalo) او بلاد الجنوب، فحصل على اسم لالو-كونا(Lalo-kona) وسميت زوجته هونوا-پو-ايلالو(Honua-po-ilalo)، وقد انجب ابنة كو-ناواو(Ku-

(nawao) مـن جاريتـه اهـو(Ahu)، وانجـب ابنـه كـالاني-مينيهـوني(-Kalani menehune) من زوجته مي-هيوا(Mee-Hewa)[1].

يتضح من الاسطورة هذه مدى المؤثرات التي انتقلت اليها عن طريق المبشرين، ولدى مقارنتها مع نص العهد القديم اتضح ما يلي:

اسطورة لوا-نوو	اسطورة ابراهيم في الكتاب المقدس
يمثل لوا-نوو الجيل العاشر من ابناء نوو.	يمثل ابراهيم الجيل العاشر من ابناء نوح وهم: سام، ارفكشاد، شالح، عابر، فالج، رعو، سروج، ناحور، تارح، ابرام(ابراهيم).
ان لوا-نوو كان اول من مارس الختان بين ذريته بأمر الآلهة.	قال الله لإبراهيم: احفظ عهدي، انت ونسلك من بعدك جيلاً بعد جيل؛ وهذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينك وبين نسلك من لعدك: ان يُختن كل ذكر منكم. وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة، واسماعيل ابنه في الثالثة عشرة عند اختتانهما(تكوين،17: 9-24).
غادر لوو-نوا موطنه الاصلي، وسافر بعيداً حتى وصل الى بلد يسمى هونوا-ايلالو اي بلاد الجنوب.	رحل ابراهيم من حران هو وعشيرته ووصل الى ارض كنعان علماً ان ارض كنعان تقع جنوب حران(تكوين،12: 1-5).
يظهر من الاسطورة ان لوا-نوو غير اسمه لالو-كونا، وسميت زوجته هونوا-پو-	امر الله ابرام بتغيير اسمه الى ابراهيم(تكوين،17: 4)، في حين يُصبح

[1]) Thrum, Hawaiian Folk Tales,P.21.

ايلالو، التي كان اسمها الاصلي كما يتضح لاحقاً هو مي-هيوا.	اسم زوجته ساراي هو سارة(تكوين،17: 15).
انجب لوو-نوا ابنة كو-ناواو من جاريته اهو، وانجب ابنه كالاني-مينيهوني من زوجته مي-هيوا.	انجب ابراهيم ابنه اسماعيل من جاريته هاجر(تكوين،16: 1-16) في حين انجبت له زوجته سارة ابنه اسحاق(تكوين،21: 1-5).

- **اسطورة اصل الشعوب.**

تروي اسطورة ان الإله كين امر لوا-نوو ان يصعد جبلاً ويقدم اضحية، ونظر لوا-نوو حوله الى جبال كاهيكي-كو(Kahiki-ku)، ولم يبد له اي منهم مناسباً لهذا الغرض؛ ثم سأل لوا-نوو الإله كيف يعثر على المكان المناسب، فأجابه الإله: سافر شرقاً وحيث تجد تلاً حاد القمة ينحدر بشدة نحو المحيط ستعرف انه التل الذي ستقدم عليه اضحيتك. فتحرك لوا-نوو بقاربه في تجاه الشرق ومعه ابنه كوپولو-پولو-آ-نوو(Kupulu-pulu-a-nuu)، وخادمه پيلي-لوا-نوو(Pili-lua-nuu). ويعد الابن الاكبر لـ لوا-نوو سلف كاناكا-ماولي(Kanaka-maoli) الشعب الذي يسكن ارض كين(آينا كوموپوا آ كين)(Aina Kumupuaa a kane)، اما الابن الأصغر فهو سلف الشعب الابيض(كا پوي كيو كيو ماولي)(Ka peo keo keo maoli)، وقد كان لوا-نوو من خلال حفيده كيني-لاو-آ-مانو(Kini-lau-a-mano) سلفاً للأبناء الاثني عشر والمؤسس الاصلي لشعب مينيهوني(Menehune)، الذي ينحدر منه الشعب الپولنيزي حسب الاسطورة[1].

---

[1]) Ibid,P.21-22.

كما رأينا في الاساطير السابقة يتضح التأثير التوراتي واضحاً بلا شك بسبب ما قام به المبشرون من ترجمة الكتاب المقدس الى الشعوب القاطنة في العالم الجديد كجزء من عملهم التبشيري، وكما يتضح من الجدول ادناه:

اسطورة هاواي	اسطورة الكتاب المقدس
ان الإله كين امر لوا-نوو ان يصعد جبلاً ويقدم اضحية	قال الرب لـ ابراهيم: خذ اسحاق ابنك وحيدك الذي تحبه واذهب الى ارض موريّة، وهناك اصعده مُحرقة(تكوين،22: 1-2).
يقدم لوا-نوو اضحيته على جبل	يقدم ابراهيم اضحيته على جبل(تكوين،22: 2).
ويعد الابن الاكبر لـ لوا-نوو سلف كاناكا-ماولي الشعب الذي يسكن ارض كين.	يماثل الأبن الاكبر اسماعيل الذي عُد والد القبائل العربية(تكوين،25: 12-18).
الابن الأصغر فهو سلف الشعب الابيض.	يماثل الابن الاصغر اسحاق جد الاسرائيليين.
كان لوا-نوو من خلال حفيده كيني-لاو-آ-مانو سلفاً للأبناء الاثني عشر والمؤسس الاصلي لشعب مينيهوني.	كان حفيد ابراهيم هو يعقوب وكان لديه اثنا عشر ولداً عُدوا حسب الاساطير الاسرائيلية القديمة اصل القبائل الاثني عشر وهم: رأوبين، شمعون، لاوي، يهوذا، دان، نفتالي، جاد، اشير، يساكر، زبولون، يوسف، بنيامين(تكوين،1،30-24؛ 35، 18). وكان الشعب الاسرائيلي حسب

	الاساطير ينتسب الى يعقوب الذي يسمى ايضاً اسرائيل(تكوين،32، 29).

- **اسطورة وايكيلينوايايكو(Waikelenuiaiku).**

تذكر اسطورة ان وايكيلينوايايكو واحداً من عشرة اشقاء لديهم شقيقة واحدة، وكانوا جميعاً ابناء لأب واحد واسمه وايكو، وكان الاب يفضل وايكيلينوايايكو على بقية ابنائه الذين بغضوه لهذا السبب. وبسبب حقدهم وبغضهم لأخيهم، زجوا به في حفرة تنتمي الى عائلة هولونايولي(Holonaeole). لكن اكبر اشقائه اخذته به الشفقة والرحمة، وطلب من هولونايولي ان يوليه الاهتمام والرعاية. لكن وايكيلينوايايكو هرب منه الى بلد يحكمها ملك يدعى كاموهوالي(Kamohoalii). وهنا أُلقي به في مكان مظلم في حفرة تحت الارض سُجن فيها كثيرون ارتكبوا جرائم مختلفة، وحين كان سجيناً في هذا المكان المظلم، طلب من رفاقه ان يقصوا عليه احلامهم. وفي الليلة التالية، رأى اربعة من السجناء احلاماً، فرأى الاول في منامه ثمرة اوهيا(Ohia)(تفاح) ناضجة ورأى روحه تأكلها؛ اما الثاني، فرأى ثمرة موز ناضجة ورأى روحه تأكلها؛ ورأى الثالث خنزيراً ورأى روحه تأكله؛ والرابع شاهد ثمرة أوا(awa) معصورة وروحه تشرب منها. ففسر وايكيلينوايايكو الاحلام الثلاثة الاولى الخاصة بالطعام بمعانٍ غير مرضية وغير سارة، وطلب من اصحابها التأهب للموت؛ اما الحلم الرابع المتعلق بالشراب، ففسره على انه يحمل بشارة الخلاص والحياة. ومصداقاً لتفسيره، تم اعدام اصحاب الاحلام الثلاث الاولى وتم الصفح عن الرابع. ثم روى هذا الاخير للملك كاموهوالي عن مهارة وايكيلينوايايكو في تفسير الاحلام فاستخلصه الملك لنفسه، واخرجه من السجن ليجعله احد كبار وزرائه في المملكة[1].

---

1) Ibid,P.21-22.

ان قراءة اولية للأسطورة يتضح مدى تأثرها بأسطورة يوسف في العهد القديم كما تشير المقارنة ادناه:

اسطورة وايكيلينويايكو	اسطورة يوسف
ان وايكيلينويايكو واحداً من عشرة اشقاء لديهم شقيقة واحدة.	كان ليعقوب اثنا عشر ابناً وابنة واحدة تدعى دينة(تكوين،30: 21).
وكان الاب يفضل وايكيلينويايكو على بقية ابنائه الذين بغضوه لهذا السبب.	كان يعقوب يحب يوسف اكثر من سائر بنيه، ورأى اخوته ان اباهم يحبه اكثر منهم جميعاً، فابغضوه حتى لم يقدروا ان يكلموه بمودة(تكوين،37: 3-4).
بسبب حقد اخوته عليه وبغضهم عليه، زجوا به في حفرة تنتمي الى عائلة هولونايولي.	لما وصل يوسف الى اخوته طرحوه في البئر، وكانت البئر فارغة لا ماء فيها(تكوين،37: 24).
ايكيلينويايكو هرب منه الى بلد يحكمها ملك يدعى كاموهوالي	باع الاسماعيليون يوسف الى فوطيفار المصري(تكوين،39: 1).
أُلقي به في مكان مظلم في حفرة تحت الارض سُجن فيها كثيرون ارتكبوا جرائم مختلفة	تم سجن يوسف في مصر(تكوين،39: 19).
اشتهر وايكيلينويايكو بتفسير الاحلام.	اشتهر يوسف بتفسير الاحلام(تكوين،40-41).
اصبح وايكيلينويايكو احد كبار وزراء كاموهوالي في المملكة	عين الفرعون المصري يوسف حاكماً على كل ارض مصر ونزع الفرعون خاتمه من

	يده وجعله في يد يوسف والبسه ثياب كتان، وطوق عنقه بقلادة من ذهب(تكوين،41: 41-42).

- **اسطورة الخروج.**

تتحدث اسطورة كي-آلي-واها-نوي(Ke-alii-waha-nui)، وهو ملك على بلد يدعى هونوا-إي-لالو(Honua-i-lalo)، قد اضطهد شعب مينيهوني(Menehune)، فأرسل الإله كين كلاً من كين-أپوا(Kane-apua) وكينالوا(Kaneloa) اخيه الاكبر ليأخذ هؤلاء الشعب بعيداً الى الارض التي منحها لهم كين والتي تسمى(كا آينا مومونا آكين)(Ka aina momna a kane)، او (كا اوني لاوينا آكين)(Ka one lauena a kane)، وايضا (كا آينا أي كا هاوپو آكين)(Ka aina I ka haupo a kane). وقد امر الناس ان يراقبوا ايام كو(Ku) الاربعة المقدسة من بداية الشهر(كاپو-هوانو)(Kapu-hoano)(الايام المقدسة)، كتذكار لهذا الحدث، حيث امر كو فيها بمغادرة هذه الارض. وبهذه المناسبة كانوا يقدمون قرابين من الخنازير والماعز. وتضيف الاسطورة ان هؤلاء الناس وصلوا الى كاي-اولا-آ-كين(Kai-ula-a-kane)(وتعني: البحر الاحمر في كين)، وان الملك كي-آلي-واها-نوي قام بتعقبهم، وان كين-اپوا، وكانالوا تضرعا الى الإله لونو، ثم وصلا اخيراً الى آينا لاوينا آكين[1].

هذه الاسطورة تتطابق اسطورة الخروج التوراتية بشكل واضح كما يتضح ادناه:

---

[1]) Ibid,P.23-24.

اسطورة الخروج من هاواي	اسطورة الخروج التوراتية
كــي-آلي-واهــا-نــوي(Ke-alii-waha-nui)، ملك على هونوا-إي-لالو(Honua-i-lalo)، قد اضطهد شعب مينيهوني	قام الفرعون المصري باضطهاد شعب اسرائيل(خروج،1: 8-22).
فأرسل الإله كين كلاً من كين-أيوا وكينالوا اخيه الاكبر ليأخذ هؤلاء الشعب بعيداً الى الارض التي منحها لهم كين.	كان موسى هو الاخ الاصغر لهارون(خروج،7: 7)؛ وقد امرهما الرب بالذهاب الى الفرعون المصري كي يسمح للشعب الاسرائيلي بمغادرة مصر(خروج،5: 1)؛ من اجل الذهاب بهم الى ارض كنعان(خروج،3: 8).
وقد امر الناس ان يراقبوا ايام كو الاربعة المقدسة من بداية الشهر كتذكار لهذا الحدث.	كتذكار للخروج يحتفل الاسرائيليون بعيد الفصح بين 10-14 نيسان اي اربعة ايام من الشهر(خروج،12: 1-14).
بهذه المناسبة كانوا يقدمون قرابين من الخنازير والماعز	كان الفصح اليهودي يقدم فيه خروفاً او ماعزاً.
ان هؤلاء الناس وصلوا الى كاي-اولا-آ-كين وتعني: البحر الاحمر في كين	عبر الاسرائيليون البحر الاحمر (خروج،13: 17-22؛ 14: 1-31).

- **اسطورة ايقاف الشمس.**

من اساطير هاواي الشهيرة اسطورة هياكا-إي-كا-پولي-أو-پيلي(Hiiaka-i-ka-poli-o-pele)، إذ تحكي ان هياكا ذهبت الى جزيرة كاواي(Kauai) لتعيد

جسد لوهياو(Lohiau)، حبيب شقيقتها پيلي الى الحياة. وقد وصلت هياكا الى سفح جبل كالالاو(Kalalau) قُبيل غروب الشمس؛ وقد اخبرها اصدقاؤها في هاينا(Haena) انه لن يكون هناك ما يكفي من ضوء النهار لتسلق الـ پالي(الهاوية)، واخراج الجسد من الكهف المخبأ فيه، لذلك اخذت هياكا ادعو آلهتها لكي تُبقي الشمس مُشرقة وألا تغيب(أي كا مولي او هيا)(i ka muli o Hea)، فوق غدير هيا، حتى تُكمل مهمتها، وقد استجابت لدعائها وتسلقت الجبل وهزمت حراس الكهف واستعادت الجسد[1].

تشبه هذه الاسطورة الى حد ما اسطورة يشوع التوراتية الذي تمكن من ايقاف الشمس حتى تمكن من هزيمة اعدائه الاموريين عندما خاطب يشوع الرب متضرعاً قائلاً للشمس:

"يا شمس قفي على جبعون

وعلى وادي ايلون اثبت يا قمر".

فتوقفت الشمس وثبت القمر الى ان انتقم الشعب من اعدائهم[2].

---

1) Ibid,P.24.

2) يشوع،10: 12-13.

2

التنوع الطائفي في المستعمرات الانكليزية في أميركا الشمالية 1607- 1776

د. نغم طالب عبد الله
كلية التربية-ابن رشد/جامعة بغداد

تبلورت قيم ومفاهيم جديدة تنشد الانعتاق من تسلط الكنيسة ورجالها، في الوقت الذي كانت المشاحنات والنزاعات تعصف بالعالم المسيحي القديم. إن ترسيخ مفهوم الحرية الدينية الى جانب انتشار التنوع الديني والطائفي في المستعمرات الانكليزية كان مسألة معقدة للغاية. فعلى الرغم من كون أميركا مجتمعاً تحكمت فيه القيم العلمانية، اقر دستورها الفدرالي فكرة فصل النظام المدني عن الكنيسة، إلا إن الدين لم يغب عن الحياة اليومية. لقد تمتع كل فرد ومجموعة دينية بكامل الحقوق بممارسة العبادة وحرية المعتقد، وفي منأى عن قيود الحكومة ومن ضغوطات الطوائف الأخرى، لكن الوصول الى هذا الانجاز لم يكن سهلاً أو بعيداً عن المضايقات، كون الديمقراطية عملية متحركة تماماً، كما إن الحرية بمختلف أشكالها عملية تطور. لقد حول جيل الآباء المؤسسين فقرة حرية الممارسة الدينية في الدستور الى حق دائم يتمتع به الجميع، لكنها أخذت مداها من النضوج على مدى عقود طويلة.

مرت الولايات المتحدة عبر تأريخها بتحولات عديدة تلاءمت مع المتغيرات التي صاحبت بناءها السياسي والاقتصادي والفكري وحتى الديني. لقد وجد في جميع المستعمرات الانگليزية في أميركا الشمالية، في المرحلة التي سبقت حرب الاستقلال ترابطاً أو صلة بشكل أو بآخر بين الدولة والمنظومة الدينية للفرد، يستدل عليه من خلال وسائل الإقصاء أو الإبعاد وفقاً لمعايير ومقاييس دينية من الوظائف العامة أو من

خلال الحرمان من الحقوق المدنية نتيجة الاعتراف بالإيمان بمذهب أو معتقد معين، وكذلك عن طريق تشريعات محددة، ضمنت توحيد الدين الرسمي للمستعمرة، أو بواسطة دعم ضريبي أو مالي لدور العبادة العامة[1].

جذور الكنيسة الكولنيالية.

بعد حركة الإصلاح الديني (Reformation) التي شطرت الكنيسة الغربية الى الكاثوليكية والبروتستانتية، تبنت انكلترا الانكليكانية(Anglicanism)، التي أصبحت مذهب الدولة الرسمي في عهد الملكة إليزابيث الأولى(1558- 1603). والى جانبها أخذت الكالفينية (Calvinism)[2] بالانتشار سريعاً في المملكة، وكسبت العديد من الأنصار ممن عرفوا بالپيوريتان(Puritans) الذين غدوا مؤثرين وبارزين في مجالي التجارة ودوائر البرلمان الانكليزي، كان هؤلاء يؤمنون بالكنيسة الانكليزية الرسمية، ويعدونها الكنيسة الأم مع كل شوائبها ومساوئها، إلا إنهم طالبوا بتغييرات جذرية راديكالية في إدارة الكنيسة وممارساتها. لقد اتخذت الفرق الكالفينية

1) J.L. Diman, "Religion in America 1776-1876", The North American Review, Vol. 122, No. 250, (Jan. 1876), p.4.

2) رفض جون كالفن (1509- 1564) الاعتراف بحكم الأساقفة، وفضّل حكومة تتركز فيها السلطات بيد مجالس يديرها الشيوخ العلمانيون ورجال الاكليروس Presbyterial System. وعارض أي تدخل من الدولة في شؤون الكنيسة، لكنه انشأ في جنيف كنيسة دولة، تولت السلطتين الدينية والدنيوية (العلمانية) فيها مهامهما للحفاظ على النظام. عكست حكومة كالفن توجهات ثيوقراطية، وكان للدين سلطة كبيرة ومؤثرة في كل النشاطات الاجتماعية. وأكد فقط على سري التعميد والعشاء الرباني أو ما يعرف بالقربان المقدس Eucharist، لكنه خالف مارتن لوثر (1483- 1546)، الذي قبل مع الكاثوليكية فرضية حضور المسيح بشخصه الحقيقي أثناء المراسيم، في حين إن كالفن يؤمن بحضور المسيح الروحي ، إلا أنهما اتفقا على عدم استحالة الخبز والخمر الى جسد ودم المسيح. ونادى بأن يحصل الكهنة على مساعدة المبجلين والمحترمين من رجال الدين العلمانيين. هذا وأصبحت الكالفينية عام 1669 مذهب هولندا الرسمي. ينظر:

J. Gordon Melton ,The Encyclopedia of American Religions , Third Edition, Michigan, 1996, p.22.

صيغتين: رفضت الأولى العديد من الممارسات والعقائد التي تبنتها الانكليكانية، ويعرف هؤلاء باسم "غير المنسجمين" (Nonconformists)، بقي هؤلاء ضمن منظومة الكنيسة، إلا إنهم أرادوا تطهيرها من آثار الكاثوليكية، ولهذا عرفوا بالمتطهرين أو المطهّرين. في حين إن الصيغة الأخرى كانت تنحو كلياً نحو المعارضة والرفض لتلك الكنيسة وعرفوا باسم "المنفصلين أو المستقلين"(Separatists)، وارتأوا أن يؤسسوا أبرشياتهم الخاصة بهم، ويمارسوا طقوسهم بسلام وبمعزل تام عن حكومة وكنيسة انكلترا. ويقال إنهم ساروا بمضامين عقيدة القضاء والقدر (predestination)[1] أبعد مما فعل كالفن نفسه، وكانوا يؤمنون بمبدأ الانتخاب والاختيار أو بمعنى آخر فان الصالح والمتدين والتقي فحسب يحق له الانتساب لعضوية الكنيسة، ويرون إن كنيسة انكلترا ليست بحقيقية. وكانت رؤيتهم تقوم على الترابط والمساهمة الطوعية، بمنأى عن أي سلطة ظاهرية غير إرادة الله كما بينها في الكتاب المقدس[2]. وتمركز العديد منهم في مقاطعة نوتنگهامشير (Nottinghamshire)، فضلاً عن يوركشير(Yorkshire) ولانكشير(Lancashire) وأصبحوا لاحقاً نواة لأبرشييّ(Congregationalists) أو مجمعيّ نيو انگلند المنفصلين، إلا إن

---

[1]) بنى كالفن ركائز عقيدة القضاء والقدر والتكفير المحدود على حقيقة فهمه لفكرة الخلاص ، فيرى إن عدد وهوية المختارين أو المنتخبين، ممن تم إنقاذهم قد جرى تعيينه من قبل الرب قبل بداية الكون، ولهذا فان كفارة المسيح لتخليص العالم من خطيئة أبيهم ادم وآثامهم، من خلال آلامه وصلبه لتحقيق الفداء تقتصر على هؤلاء فحسب، وان النجاة ليست متاحة للبشرية جمعاء، بل فقط لمن قدّر لهم أن ينجوا. إستنبط كالفن العقيدة كما قال من العهدين القديم والجديد، ومن آباء الكنيسة الأوائل في القرن الرابع الميلادي. لكن العقيدة عدلت، ثم تخلت عنها الهيئات والمجاميع الكالفينية الرئيسة في القرون اللاحقة.

Ibid, p .21.

[2]) John Francis Bannon, History of Americas, Vol. One, New York, 1952, pp. 219-220; Oliver P. Chitwood, etal, American People, A History To 1877, New York, 1962, pp.38-40.

اصطدامهم مع التاج دفع بهم للفرار الى أمستردام في هولندا طلباً للامان، حيث كانت معظم الطوائف البروتستانتية آنذاك تتمتع بالتسامح الديني[1].

كان الانكليز قد نقلوا رؤيتهم بالنسبة للمجتمع الصالح الى العالم الجديد، وكان الدين من أهم الأمور التي رافقتهم اليه. لقد كان جميع المستوطنين الجدد يؤمنون بالكنيسة كمؤسسة، فتراهم بادروا فور تأسيس مستوطناتهم الى إنشاء كنائس لهم، كانت في الجنوب انگليكانية، وفي نيو انگلند بأشكال متنوعة من الأبرشيات الكنسية.

جاء المستوطنون الأوائل في البداية من خلفيات متجانسة نسبياً، لكن بعد ذلك بوقت قصير حملت إغراءات العالم الجديد المهاجرين من كافة أرجاء الجزر البريطانية، فضلاً عن شمال أوربا وغربها. وجاء الكثيرون ليس لان أميركا ستوفر لهم حرية دينية أكبر مما تمتعوا بها في بلادهم فحسب، بل بسبب الفرص الاقتصادية أيضاً. وكان بعض هؤلاء لا يشاركون الانگليكان والبيوريتان عقائدهم، وبدأت الفرق الأخرى تطالب بحقوقها الدينية، ورفضوا إخضاعهم للضرائب لصالح كنيسة لا يرتادونها[2].

في آخر أسبوع من شهر نيسان عام 1607 دخلت خليج تشيزابيك ثلاثة سفن أرسلتها شركة لندن، لتعلن عن بدء استيطان مناطق واسعة على الساحل الأطلسي لأميركا الشمالية، بموجب براءة منحها الملك جيمس الأول (1603-1625) لشركة فرجينيا، بعد محاولات فاشلة مُنيت بها شركة بلايموث(Plymouth)، لاستيطان العالم الجديد سبقت هذا التأريخ، ولاسيما قرب نهر كينبيك(Kennebec) في ماين. وكانت العوامل التجارية والتطلع صوب الأرباح أبرز العوامل التي حركت تلك المساعي، على العكس مما حدث مع مستعمري نيو

---

1) John Francis Bannon , Op.Cit, p.220.

2) ينظر الموقع الالكتروني على الانترنت:

www.iipdigital-usembassy.gov.

انگلند كما سنرى. وبجهود مغامريها أُعلن عن تشييد مستعمرة جيمس تاون، في الثالث عشر من مايس من العام نفسه تيمناً بملكهم، وبهذا الانجاز وصلت الانگليكانية الى أميركا[1].

الفرق المنشقة والمستقلة تصل الى أميركا.

بينما كانت مستعمرة فرجينيا تنمو تحت إدارة الشركة، تحرك بعض الانكليز لغرض الحصول على مرسوم بتأسيس مستوطنة قرب مصب نهر هدسون، والتي كانت تقع ضمن أراضي شركة لندن. كان هؤلاء يفضلون وصفهم باسم الحجاج (Pilgrims)، ويعد السيد جون روبنسون (John Robinson)[2] الأب الروحي لهم في لايدن، التي انتقلوا اليها لاحقاً واستقروا فيها لاثنتي عشرة سنة، نعموا بحالة من الاستقرار وازدهر مذهبهم كثيراً، وانضم اليهم المزيد من انكلترا، حتى أصبح عددهم ما يقارب ثلاثمائة شخص. كانت معظم تعاليمهم متأثرة بالكالفينية ، وتتسم بالنقاء والسماحة وعدم إيذاء الآخرين، كما إن نمط حياتهم كان تصالحياً للغاية، لدرجة ان واحداً من

[1]) هاشم صالح التكريتي، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث (من الاكتشاف الى الاستقلال) الطبعة الأولى، بغداد، 2012، ص 60-61.

[2]) ولد جون روبنسون في انگلترا عام 1575، درس في كامبريدج ، وأصبح احد رعاة كنيسة انگلترا ، إلا انه اختير ليكون رئيساً لإحدى الجماعات المنشقة في شمال انگلترا عام 1602 . انتقل مع جماعته عام 1608 الى هولندا، لتكون أمستردام ملاذاً آمناً لميولهم الدينية، ثم تحرك صوب لايدن وبقي فيها لإحدى عشر عاماً، حيث تضاعف عدد أتباعه ووصل الى 300. وخشية ضياع مبادئ كنيسته وسط جيل الشباب اليافع في زحام اللغة والعادات الهولندية، قرر تبني خطة لتأسيس مستوطنة في أميركا، وكان سكان بلايموث ممن انطلق اليها عام 1620 من أتباعه، إلا انه لم يتمكن من اللحاق بهم، ولكن أرملته وأولاده جاءوا الى نيو انگلند عام 1630 . نشر عدة مؤلفات لاهوتية عدة، منها تبرير الانفصال عن كنيسة انگلترا عام 1610، ومقالات أو ملاحظات دينية وأخلاقية، نشرت طبعتها الأولى عام 1628 والثانية عام 1638، ومقالة حول شرعية تعاليم رجال الدين في الكنيسة الانكليزية، ونشرت عام 1634. توفي في 19 شباط 1625، وقيل في الأول من آذار. ينظر:

William Allen ,The American Biographical Dictionary, Third Edition, Boston, 1852, pp.706-707.

كبار قضاة المدينة علّق عنهم بقوله: "هؤلاء الانكليز يعيشون بيننا منذ اثنتي عشرة سنة، ولم نتخذ لحد الآن بحق أي منهم إجراءً أو دعوةً قضائية" مما يدلل على إنهم مسالمون لا يحبذون خرق القانون[1].وتم ترتيب إجراء نقلهم الى العالم الجديد، بأن يغادر خمسة وثلاثون من حجاج لايدن نحو ساوثامبتون في انكلترا، لينضم اليهم بعض المستقلين من لندن، وينطلق الجميع على متن السفينتين (Speedwell) و(Mayflower). ولكن بعد متاعب تعرضت لها السفينة سبيد، تم نقل جميع المهاجرين الى السفينة ماي فلاور. وفي السادس عشر من أيلول من عام 1620، غادرت الرحلة ميناء بلايموث بمائة شخص واثنين، في طريقها الى مكان أراد هؤلاء أن يعبدوا الله فيه على طريقتهم. وعوضاً عن وجهتهم الحقيقية، فقد دفعتهم الريح شمالاً فرسوا في خليج رأس القد (Cape Cod Bay)، وذلك في التاسع من تشرين الثاني من العام نفسه. وفي الحادي عشر منه، وقبيل نزولهم الى الشاطئ، صاغ هؤلاء ما عرف بميثاق ماي فلاور، الذي أصبح أول دستور للمستعمرة. وبما ان المكان الذي نزلوا فيه كان خارج سلطة وصلاحيات شركة فرجينيا القانونية ومدرائها، والتي ليس لها الحق في تعيين أي حاكم عليهم، فقد حرروا أنفسهم من أي ارتباط بالحكومة، وقرروا تشكيل حكومة خاصة بهم، وممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية بحرية خالصة. ومن هذا التاريخ أُعلن عن تأسيس مستعمرة بلايموث، التي ازدهر فيها الأبرشيون المستقلون عن كنيسة انكلترا، وانتخبوا جون كارفر John Carver (1585- 1621) ليكون حاكماً عليهم. عانى الحجاج الأبرشيون مصاعب جمة في شتاءهم الأول، فالأمراض والبرد القارص قضت على العديد منهم وبما يقارب النصف، إلا إنهم تمكنوا بعد أن

---

1) Charles A. Goodrich, The Ecclesiastical Class book, Hartford, 1835, pp. 176-177; Harold U. Faulkner, etal , America, Its History and People , New York , 1938, pp. 20-22.

تلقوا مساعدة من الهنود الحمر من تخطي الظروف القاسية، إذ علموهم كيف يصطادون الطرائد والأسماك ويزرعون الذرة. وبعد وفاة كارفر في نيسان عام 1621 انتخب ويليام برادفورد William Bradford (1590- 1657) خلفاً له، وشغل هذا منصب الحاكم لخمس مرات، ما بين عامي 1621 و 1657. واحتفاءً بأول حصاد لهم، احتفل الحجاج في تشرين الثاني من عام 1621 ولعدة أيام على سلامتهم ونجاتهم، وأقاموا أول صلاة لعيد الشكر([1]).لكن هذا الحدث لم يصبح تقليداً سنوياً حينها.

أخذت شركة خليج ماساشوسيتس التي تأسست نتيجة عوامل تجارية منها ضمان عمليات الصيد وتنمية تجارة الفراء في Cap Ann بعد إنشاء محطة هناك عام 1623، على عاتقها مهمة الحصول على مرسوم لتأسيس مستعمرة تمتد لمسافة ثلاثة أميال جنوب نهر تشارلس ولنحو ثلاثة أميال شمال نهر ميريماك Merrimack، ومنها غرباً نحو المحيط الهادي. فوصل في عام 1628 الى نيوانجلند تجمع آخر من البيوريتان حطوا رحالهم في نامكيگ Naumkeag أو ساليم بقيادة جون اينديكوت John Endicott، لكنهم لم يكونوا منشقين عن الكنيسة الانكليزية، إنما من غير المنسجمين، على الرغم من عدم رضاهم عن سياسة الملك شارل الأول (1625- 1649) وأسقف لندن ويليام لويد William Laud (1573- 1644) الدينية، والذي أصبح عام 1633 كبير أساقفة كنتربري ولغاية عام 1645. وقد حصلت تلك الشركة على براءة ملكية في آذار عام 1629، وفي آب من ذلك العام شيدت أول كنيسة في ساليم طبقاً للأسس الأبرشية. ومع مجيء صيف عام 1630 لحقت بهم هجرة انكليزية كبيرة أخرى، بنحو ألفي مستعمر بقيادة جون

---

[1]) John Garraty, A Short history of the American Nation, New York, 1981, pp. 11-12.

وينثروب John Winthrop (1587- 1649) الذي انتخب حاكماً عليها، فأسس هؤلاء مدناً عدة، منها مدينة بوسطن في أيلول من العام ذاته، والتي أصبحت عاصمة للمستعمرة، وقد نمت بشكل سريع للغاية، ففي غضون سنة ازداد عدد الوافدين اليها الى ما يقارب الألف، وعلى الفور تأسست فيها في مايس 1631 الجمعية العامة، التي ضمت مائة وثمانية عشر عضواً من الأحرار[1].

إن حلم الحرية الدينية الذي راود البيوريتان[2] في وطنهم الأم، ورافقهم الى أميركا سرعان ما تلاشى، ودفع بهم الواقع الجديد لإنكاره على الآخرين، فعمدوا الى ربط الكنيسة بإدارة الدولة بشكل صارم، فجرى تقييد التسامح الديني وحرية التعبير والامتيازات السياسية للأشخاص من غير البيوريتان، الذين كان يحق لهم العيش في مستعمرة الخليج إن أطاعوا التعاليم بدقة، من دون السماح لهم بالمشاركة في الحكومة أو إنتقاد الكنيسة الأبرشية الرسمية، التي يتحتم عليهم دفع ضرائب لدعمها. وسنت سلسلة قوانين وعقوبات بحق المخالفين والمجدفين، ويكف أن نذكر بأن خمس عشرة جريمة كانت عقوبتها الموت[3]. هذا واتفقت الحكومتان المدنية والدينية في تقرير العقوبات التي تفرض على المتهمين بالهرطقة، فإما يكون الجلد بالسياط أو النفي والإبعاد أو بتر الأطراف، وقد تصل أحيانا الى القتل. فما دام الإنجيل هو الدستور

---

1) Ibid, pp. 12-13;

هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق ص63-64.

2) انطلق البيوريتان بأعداد كبيرة للهجرة الى العالم الجديد ما بين عامي (1629-1640)، وقدّر عددهم حينها بعشرين ألف انكليزي، تمركزوا في بلايموث وخليج ماساشوسيتس وكونكتكت ونيوهافن ورود ايلند . وازدادت موجات هجرتهم مرة أخرى من (1641- 1660) بالتزامن مع الحرب الأهلية الانكليزية وحكم اوليفر كرومل.

3) John Francis Bannon, Op. Cit.

الجوهري والأساسي للدولة كما هو بالنسبة للكنيسة، كان يطلب من رجال الدين مراراً إبداء آرائهم في القضايا السياسية المهمة[1].

امتزج الالتزام الدقيق بتعاليم البيوريتان، مع التنوع الذي شكل نقطة فارقة في أنموذج نيوانجلد. فقد كان الدين والكنيسة محور حياة الفرد اليومية، والتوراة مصدر القوانين والتشريعات السائدة. فعطلة يوم السبت Sabbath[2] كانت تطبق في كافة مرافق الحياة، سواء في العمل أو السفر، وكل وسائل اللهو كانت تتوقف بدءاً من الساعة السادسة صباحاً من ذلك اليوم، ولم يكن يسمح لأي أحد بالدخول أو الخروج من بوسطن مثلاً. وكان على جميع الفرق المخالفة دفع ضرائب لدعم الكنيسة، ولا يسمح لهم بانتقادها. وعلى الرغم من ازدياد أعداد الانكليكان هناك فقد منعوا من الوعظ في منابر أبرشية، لكنهم حصلوا على دعم ضرائبي فيها وفي بورتسموث ايضاً[3].

إن المبدأ الأساس الذي قامت عليه كنيسة بلايموث وجميع كنائس نيوانجلند، التي صيغت لاحقاً وفق الخطة الأبرشية كان الاستقلالية، فلكل كنيسة الحق الحصري باختيار رجال دينها، وممارسة نظامها حسب فهمها للكتاب المقدس، وبمعزل عن أي تدخل أو تأثير خارجي. وقد تعددت صيغ الأبرشيين، ويمكن تصنيفهم الى الأبرشيين المنفصلين الذين رفضوا نظام حكم الشيوخ Presbyterians للكنيسة، فضلاً عن حكم الأساقفة Bishops، والأبرشيين غير المنفصلين، الذين شاركوا البيوريتان تمسكهم بكنيسة انكلترا، وأدانوا الانفصال عنها وعدوه إثماً وخطيئة. وكان هؤلاء

---

[1]) Nelson M. Blake, Op.Cit., p. 66.

[2]) تعد من الوصايا المقدسة عند اليهود والارثدوكس الشرقيين والروم الكاثوليك ومعظم البروتستانت واللوثريين، ويعتقد اليهود انه تزامن مع حدثين مهمين وهما: 1- أن الله ارتاح في هذا اليوم السابع بعد انتهائه من خلق الكون في ستة أيام. 2- وإنقاذ بني إسرائيل من العبودية وخروجهم من أرض مصر.

[3]) Allam Nevins, A History of The American People From 1492, Oxford, 1965, p.33.

يقبلون النصح والمشورة في بعض التفاصيل من أعضاء كنيسة بلايموث الأبرشية المستقلة، وهم من البيوريتان أيضاً، إلا إنهم رسموا حداً فاصلاً وصارماً مع كنيستها عموماً، وحكموا وأداروا شؤونهم ومارسوا عباداتهم مع ذلك بطريقة مختلفة وبعيدة عن الانگليكانية. وتجدر الإشارة أيضاً الى إن ماساشوسيتس أصبحت مستعمرة ملكية عام 1691، وقد انضمت اليها مستعمرة بلايموث، التي ظل نموها بطيئاً. وما بين عامي 1620 لغاية 1650 أصبح عدد الكنائس في نيو انگلند أربعين أبرشية، يخدمها ثمانون رجل دين، لحوالي سبعة آلاف وسبعمائة وخمسون نسمة، وقد أدت كلية هارفارد، التي تأسست عام 1636 دوراً مهماً أول الأمر لتزويد تلك الكنائس برجال الدين وتدريبهم أيضاً. لقد ازدادت كنائس بلايموث واتسعت لتمتد الى كونكتكت، وخاصة في ويندسور Windsor و هارتفورد Hartford وويذرسفيلد Wethersfield. هذا ووضعت كل من مستعمرة نيوهافن، ومختلف مدن وادي كونكتكت عام 1662 تحت إدارة موحدة، بعد أن حصلت على البراءة الثانية من الملك شارل الثاني (1660- 1685) لمستعمرة كونكتكت التي كانت قد تأسست عام 1638[1].

رود ايلند هي مثال فريد لعملية فصل الكنيسة عن الدولة، أصبحت ملاذاً آمناً يرحب بكافة الطوائف الدينية. كان روجر ويليامز Roger Williams (1603-1683) أحد رجال الدين في كنيسة ساليم، لكنه رفض أي تواصل مع كنيسة بوسطن، بدعوى أن أعضائها لم يعترفوا بالذنب، نتيجة استمرارهم بالتودد الى الكنيسة الأسقفية الانكليزية. وأعلن آخر المطاف انفصاله عن كنيسة ساليم نفسها، إذ انتقد

[1]) Nelson M. Blake , A Short History of American Life , New York , 1952, pp. 63-64 ;

هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص 64.

تـدخل الحـاكـم والقضـاة في شؤون الأخيرة، وصرح بـأن ميثـاق خليج ماساشوسـيتس باطل؛ لان أرض أميركا تعود الى سكانها الأصليين من الهنود وليس لملك انكلترا، وليس للدولـة أن تتـدخل في شـؤون الفـرد وميولـه الدينيـة ومعتقداته. وبعـد رفضـه الرجـوع عـن آرائه حكمت عليه المحكمة العليا في المستعمرة بالنفي والإبعاد في شتاء 1636، حيث عاش مدة مع الهنود الحمر في البراري، ثم قرر مع أتباعه تأسيس مستوطنة جديدة هي بروفيدانس Providence[1]. وفي عـام 1639 قـام ويليـامز بمراسيم إعـادة التعميـد أو تجديـد العمـاد، وأسـس الكنيسـة المعمدانيـة Baptistism[2]. إلاَّ انـه لم يواصـل

---

[1]) Nelson M. Blake , Op,Cit , pp.66-67; Harold U. Faulkner, Op.Cit,p.29.

[2]) تقوم الكنيسة المعمدانية على مبدأ الثالوث، وتستمد جذورها من الكلمة الإغريقية Baptizo أي تغطيس أو غسل، وهي دستورهم الذي استمد سلطاته من المسيح عيسى (عليه السلام) والحواريين من بعده، فيسوع المسيح مارس أول طقس للمعمودية وهو بعمر ثلاثين عاماً، وقيل قبل بلوغه سن الأربعين. وعوضاً عن شعيرة رش أو نثر الماء، يكون التعميد بالغمر بالماء لأداء الطقوس، وهو مقتصر على الذين يؤمنون بالمسيح، ويعترفون بتوبتهم وندمهم عن ارتكاب الآثام والخطايا. يعدون رسالتهم إنسانية عالمية لجميع الثقافات والحضارات. يرجح البعض أن أصول فرقتهم تعود الى طائفة انابابتستس Anabaptists، التي رفضت مثلما رفض أتباع هوليدرخ أو اولريخ زوينجلي Huldrych Zwingli (1484-1531) الأسرار الكنسية المقدسة السبعة، وأثارت هياجاً عارماً في ألمانيا ما بين 1524 حتى 1533، بالتزامن مع انتفاضة الفلاحين الكبرى. كما إن توماس منزر Thomas Müntzer (1489- 1525) زعيم القرويين خلال تلك الحرب، كان قد رفض عمادة الأطفال، لكن من غير أن يخلص منها الى تكرار عمادة البالغين أي المعمدانية الجديدة. توحدت الطائفة على يد مينو سيمون (1496 أو 1492- 1561) Menno Simon في عام 1536، وتعتقد الطائفة بتجديد طقوس ومراسيم التعميد ؛ لان تعميد الرضع والأطفال غير ديني وباطل، لذا يجب إعادة تعميد المؤمنين من أتباعها، وهو ليس تكراراً للعملية؛ لأنها من وجهة نظرهم تعد التعميد الأول، فيتم للبالغين فقط، ويرون ان معمودية الأطفال سطو على معمودية المسيح الحقة. كان سيمون كاهناً كاثوليكياً، استقال من منصبه بالتزامن مع ظهور مارتن لوثر، وعدت فرقته التي عرفت باسم مينونتيين Mennonites عقيدة وسطاً ومعتدلة أكثر من انابابتستس Anabaptists، إلا إنها انقسمت الى جناحين متشدد ومعتدل. تعرض المعمدانيون الى التنكيل في انكلترا في عهد الملك هنري الثامن، وقتل الكثيرون منهم لغاية عهد الملكة إليزابيث الأولى، وقد هرب العديد منهم الى هولندا. في عام 1608 بدأ بعض المستقلين في انكلترا بالانفصال عن طائفتهم، ورفضوا منذ ذلك الوقت اسم انابابتستس Anabaptists و مينونتيين Mennonites وتبنوا اسم المعمدانيين Baptists، والتي انقسمت بدورها عام 1611 الى general وparticular. عانى المعمدانيون الانكليز عموماً مع بقية الطوائف الأخرى، كما دخلوا في

انتمـاءه لأي طائفـة أو معتقـد ديـني، إذ أصبـح مقتنعـاً بـأن العـالم المسـيحي اسـتحال فاسداً، وليس هناك من شخص مؤهل للائتمان على الأسرار الكنسية المقدسة. وظل ويليـامز ينشـد الخـلاص، وانكفـئ للكتابـة، وانتظـار اللحظـة الـتي سيرسـل فيهـا المسـيح حواريين جـدد لغرس كنـائس نقيـة في الأرض. ونشـر عـام 1643 أولى مسـاهماته ضـد الاضـطهاد بسـبب اعتبـارات عقائديـة. كمـا سـافر في العـام نفسـه الى انكلـترا لغـرض الحصول على اعتراف رسمي بمستعمرته، وحصل على ذلك بمرسوم صدر من البرلمان في العـام التـالي. ونتيجـة لجهـوده تلـك عـدت رود ايلنـد أول مسـتعمرة في أميركـا تتبـنى قـيم الحرية الدينيـة الخالصـة، وقبـل ميريلانـد بثلاثـة عشـر عامـاً. وبعـد تزايـد عـدد مسـتوطنيها منحها شارل الثاني براءة ملكية عام 1663[1].

كرد فعل على ما عدته تطرفاً، أقرت الجمعية العامة في ماساشوسيتس في أيلول عام 1644 قانوناً، يعاقب بالنفي كل من يرفض أو يعارض تعميد الأطفال، أو من يؤمن بتجديديـة العمـاد، وظـل التنـافس والعـداء بـين الطـرفين لفـترة طويلـة. إلا إن المعمدانيـة ازدهرت في بنسلفانيا ونيوجيرسي ورود ايلند، بسبب روح التسامح الديني هناك. لكن حتى عـام 1753 فـان سلسـلة القـوانين الـتي مـررت في ماساتشويسـتس كانـت موجهـة ضـد كنيسـتهم، وعشـية انـدلا ع الثـورة كـان عـدد مـن سـجن منهـم، بسـبب رفضـه دفـع ضـريبة كهنوتيـة في نورثهـامبتون وحـدها ثمانيـة عشـر معمـدانياً. وربمـا كانـت تلـك القيـود

صراع وخلاف مع الكويكرز. إلا إنهم تمتعوا بمزيد من التسامح في 1688 بحلول الثورة الجليلة، بعد أن منعوا منذ عام 1662 من الوعظ في منابر الكنائس، بعد صدور مرسوم الانسجام الديني في عهد شارل الثاني. انضوت تحت لواء المعمدانية العمومية مذاهب أخرى مثل Rogerenes , Free Willers , Six Principle Baptists. للمزيد ينظر:

Goodrich,Op.Cit,pp.188-190.

1) Nelson M. Blake, Op.Cit., p. 67.

والمضايقات دفعت جون آدمز ليعلن" إن تغيراً في النظام الشمسي سيكون متوقعاً حال حدوث تغير في النظام الكنسي في ماساشوسيتس"[1].

أما في فرجينيا فقد بدأ المعمدانيون، الذين تحتم عليهم دفع ضرائب لرجال الدين الانگليكان وقبول وعاظ منهم لمباركة مراسيم زواجهم ودفن موتاهم، بعد عام 1768 بمحاولة للتخلص من مضايقات الكنيسة الانكليزية، إلا أن ثلاثة منهم اعتقلوا على يد شريف مقاطعة سبوتسلفانيا Spottsylvania، واتهموا بالتبشير "بإنجيل مخالف للقانون". وقد صدح صوت باتريك هنري (1736- 1799) خطيب الثورة الأمريكية فيما بعد، في المحاكمة مدافعاً عنهم[2].

آراء مشابهة حول علاقة الدولة بالكنيسة تبنتها آنا هاتشنسون Anna Hutchinson (1591- 1643) التي كانت هي الاخرى أحد رعايا كنيسة بوسطن، لكنها بدأت تعرب عن ميولها الدينية بحلقات متواصلة في بيتها لشرح التوراة، وحقيقة أن الله كلمها مباشرة ليحمّلها الرسالة. وقد رفضت نظرية التبرير بالإيمان Justification by grace through Faith ، التي جاء بها مارتن لوثر (1483- 1546) وتبنتها الكنيسة الانكليزية، فقاضتها المحكمة العامة في كامبريدج لثلاثة أسابيع في تشرين الثاني عام 1637، وجرى آخر المطاف نفيها من المستعمرة، فأسست هي وأتباعها مستوطنتين في إقليم بروفيدانس الأولى في بورتسموث، والأخرى في نيوبورت. وكانت آنا قد شاطرت ويليامز مناشداته باحترام حق الهنود بامتلاك أراضيهم[3]. وربما كانت كونكتكت في جملة القوانين الجنائية التي مررتها ما بين الأعوام

---

1) لم تلغ ولاية ماساشوسيتس دعمها للدين حتى عام 1830.

Quoted in: J.L. Diman ,Op.Cit., pp.8-9.

2) John Fiske, The Critical Period of American History, Cambridge , 1888, p. 81.

3) Nelson M. Blake, Op.Cit., p. 67.

1650 و1660، قد طبعت فكرة الالتزام الديني بطابع متزمت للغاية، غلفت العديد من جوانبه بنصوص من الكتاب المقدس، وكانت امتداداً للتعاليم البيوريتانية. فمن كان يعبد غير الرب يطبق فيه حد الموت، والى جانب هذا، فان عقوبة التجديف والشعوذة والزنا وعقوق الوالدين كانت مماثلة. وكانت قضية الحفاظ على البنيان الأخلاقي والعادات الحميدة في المجتمع من الأمور البالغة الأهمية. فالكذب إن أدى الى إساءة يعاقب فاعله بالغرامة أو بالجلد، وأيضاً يعاقب من أفرط في تناول الخمر، ومن تخلف عن حضور القداس يتم تغريمه وقد تصل العقوبة الى حد صارم[1].

استقر المشيخيون الأوائل Presbyterians في المستعمرات الأميركية قادمين من اسكتلندا وشمال ايرلندا، في بنسلفانيا وديلاوير وميريلاند وغرب جرسي. وما بين عامي 1705- 1775 وصل الى أميركا أكثر من خمسمائة شخص من مقاطعة اوليستر، واستقروا في المستعمرات الوسطى، فضلاً عن الكارولينيتين، حيث سمح لهم بممارسة عقائدهم الدينية. أما في نيوانجلد فلم يرحب البيوريتان بهم، على الرغم من اتفاقهم معهم في العقيدة، إذ لم يحبذ هؤلاء إقامة أشخاص يختلفون معهم في مسألتي العلاقة مع الحكومة ونظام الكنيسة[2]، وكذلك فعل الانگليكان في فرجينيا ونيويورك. وأسس

---

[1]) ألكسي دو توكفيل، عن الديمقراطية في أميركا، ترجمة : بسام حجار، الطبعة الأولى، بغداد - بيروت، 2007، ص76- 78 .

[2]) يعد جون نوكس John Knox (1505- 1572) مؤسساً للمشيخية في اسكتلندا ، كان قد عاد من جنيف متأثراً بآراء جون كالفن، وبدأ يبشر بالمذهب في اسكتلندا بحدود عام 1559 - 1560. ويختلف المشيخيون عن الابارشة في نيو انگلند في نقاط عدة، أهمها انهم متساهلون في اختباراتهم لمنح الرخص الرسمية، ورسامة وتنصيب الكاهن فيما يتصل بالدين التجريبي، إلا إنهم متشددون حيال اعتراف ويستمنستر للإيمان Westminster Confession of faith انبثق من سلسلة لقاءات دعا اليها البرلمان بتأثير البيوريتان بين عامي (1643- 1648) في كنيسة ويست منستر، لاقتراح تعديلات أكثر لإصلاح كنيسة انكلترا، فأنجزت وثائق عدة كان من بينها هذا الاعتراف، ليحل محل التسعة والثلاثين مادة دينية في تلك الكنيسة، الى جانب استبدال كتاب العبادة والصلاة الانكليزي المشترك (BCP) بصيغة أخرى ، وان تصبح حكومة الكنيسة مشيخية بدلاً من الأسقفية، إلا إن المقترح لقي معارضة شديدة في انكلترا، ورحبت به

المشيخيون أول تجمع في فيلادلفيا عام 1704، تطور عام 1716 أو 1717 ليصبح مجمعاً كنسياً بعنوان مجمع فيلادلفيا، مكوناً من تسعة عشر رجل دين وأربعين كنيسة لرعية تقدر بثلاثة آلاف عضو. إلا إن انقساماً حصل بين صفوفهم عندما قرر مشيخيو نيويورك تأسيس مجمع كنسي آخر في المستعمرة عام 1740[1]. وبحلول عام 1770 تحكم كل من المشيخيون والمعمدانيون بمفاصل الإدارة في الكارولينيتين، وعلى امتداد حدود فرجينيا[2].

ساد نوع من التوتر بين كل من البيوريتان والانگليكان في فرجينيا، وأدت الأحداث التي شهدتها انكلترا، البلد الأم دوراً بتأجيجه في مراحل عدة. فخلال أربعينيات القرن السابع عشر، وقعت جملة حوادث بدءاً من عام 1642، عندما ظهر ثلاثة مبشرين أبرشيين من مستعمرة ماساشوسيتس في فرجينيا، فقد أثار هذا موجة اضطراب، مما دفع بالجمعية العامة في الأخيرة الى سن قانون جديد، يحظر دخول أي رجل دين اليها ما لم يرض الحاكم بمعتقده. هذا وقد حقق البيوريتان من جانبهم تقدماً ملحوظاً خلال عهد

كنيسة اسكتلندا. صادق عليه البرلمان الانكليزي وكنيسة اسكتلندا عام 1649، ليصبح أنموذج عقيدة كنيسة اسكتلندا، وترك لها اختيار المشيخية مذهباً رسمياً، وعدم فرض الأسقفية الانكليزية. يتألف الاعتراف من ثلاثة وثلاثين فصلاً تضم أسس المذهب، باعتبار إن التوراة هي كلام الله، وعقيدة القضاء والقدر، والثالوث، والفداء بالمسيح وسيلة للنجاة، الى جانب سري التعميد والعشاء الرباني المقدس، فضلاً عن رجوع أرواح الموتى الى الله حال وفاتهم). هذا ورفض المشيخيون والمعمدانيون والأبرشيون مرسوم الانسجام الديني الذي أصدره شارل الثاني عام 1662 والذي عدّ الكنيسة الانگليكانية الكنيسة الشرعية والرسمية للبلاد. يؤكد المشيخيون على ضرورة تعليم معلمي الرعية بشكل جيد وليس مجرد تدريب لرجال الدين في جامعات أجنبية، كان قساوستهم يتحدثون من دون مذكرة أو ورقة ملاحظات مدونة، ويعارضون طقوس التبشير والوعظ المكتوبة، وهم يميلون الى شرح الكتاب المقدس، بينما كان رجال دين نيو انگلند يلجأون الى مخطوطات مكتوبة، وهم يقرأون فصلاً من التوراة في طقوس العبادة العامة. ويفضل المشيخيون الفصل التام للكنيسة عن الدولة، على عكس البيوريتان في نيوانجلند.

J.L. Diman,Op.Cit,p.19.

[1]) Charles Goodrich, Op.Cit., pp. 184-185.

[2]) Allan Nevins, Op.Cit, p.35.

الكومنويلث وحاولوا فعل الشيء نفسه، إلا إن عودة ملكية آل ستيوارت في انكلترا 1660 عززت موقف الانگليكان مرة أخرى. وتعد عودة الحاكم ويليام بيركيلي William Berkeley (1606- 1677) لمنصبه في آذار من العام نفسه ولغاية 1676 بداية لتضاؤل نفوذ البيوريتان في فرجينيا، فغادر نحو ألف منهم المستعمرة متوجهين الى ميريلاند. وكان بيركيلي قد انتخب حاكماً على فرجينيا منذ عام 1642، إلا انه أُرغم على ترك منصبه عام 1652، خلال فترة خلو العرش الانكليزي. وقد وصفت سياسته الحكومية بأنها الأكثر طغياناً في إدارة المستعمرة والكنيسة على حد سواء، فقد كان حماسياً في تنفيذ القوانين ضد جرائم الهرطقة الدينية، فضلاً عن اضطهاد غير المنسجمين والمعمدانيين وأتباع طائفة الكويكرز Quakers[1] والتنكيل

---

[1]) يعرفون باسم جمعية الأصحاب، أسسها جورج فوكس، وهو انكليزي ولد في دريتون Drayton مقاطعة - Leicestershire عام 1624، وتوفي في لندن عام 1690. بدا بالإفصاح عن ميوله ومشاعره الخاصة إزاء سلبيات رجال الدين وبعض سلوكيات الكنيسة منذ عام 1647. سجن عام 1649، وعندما أطلق سراحه زار مناطق عدة في انگلترا وايرلندا واسكتلندا وهولندا وألمانيا والمستعمرات الأمريكية والهند الغربية. وكان يدعو الى نبذ الصيغ التقليدية للدين، وتبني النور الإلهي الباطني أو روح القدس الذي يسموه نور المسيح، الذي أضاء العقل البشري، والكفيل بإيصال الإنسان الى بر الأمان، وأنكر الحاجة الى وحي من السماء ليكون وسيطاً، تتغير ملامح وجوههم وتعابيرهم خلال طقوس العبادة. يرفض الكويكرز وجود إرسالية إنجيلية منتظمة، لكنهم يسمحون للذكور والإناث بالوعظ. كما رفض فوكس عقيدة القضاء والقدر، وأكد أن الرب كشف عن ذاته في الكتاب المقدس، وعن طريق الاتصال المباشر مع الأفراد من خلال النور الداخلي الكامن، كما يرفضون شعائر السبت وطقوس التعميد والعشاء المقدس، ويعارضون كذلك أداء اليمين أو القسم أو حتى خلع قبعاتهم بحضور حاكم أو قاض، ولا يقبلون التورط في الحروب والمنازعات، ملابسهم أنيقة وهندامهم بسيط ومتناسق وموحد. وليس لديهم صلاة دينية أثناء تناول وجبات الطعام، عُرفوا بحبهم المفرط للنظام وبالرزانة والرصانة، وهم يعارضون بشدة العبودية والرق. من ناحية نظامهم الكهنوتي هم قريبون جداً للكنيسة المشيخية باجتماعاتهم الشهرية والفصلية والسنوية. رضخ فوكس في عهد اوليفر كرومل، ووافق على كتابة نص تعهد فيه هو وأتباعه بعدم حمل السلاح ضده أو ضد أي رجل، وان لا يعكر صفو الجمهورية، في وقت تزايدت فيه أعدادهم في انكلترا، إلا إنهم تعرضوا للتنكيل في عهد شارل الثاني، وحتى قيام الثورة الجليلة 1688 لم ينعم الكويكرز بسلام داخلي في بلادهم. رفض وأتباعه دفع أية ضريبة لدعم الكنائس الرسمية، ولم يقبله كل من الانگليكان والبيوريتان. ارتبط اسم الطائفة بالارتجاف عند ذكر كلمة الله. والحقيقة انه في عام 1774 برزت فرقة عرفوا باسم الرجافين Shakers، يعتقد أن مؤسسها هو جيمس

بهم[1]. وقد قررت الجمعية التشريعية بعد إعادة تأسيس الكنيسة الانكليزية، حظر أي نشاط تبشيري، ما لم يكن حاصلاً على مباركة أساقفة انكلترا، الى جانب قانون يفرض غرامة باهظة تقدر بخمسة آلاف باوند من التبغ، لمن يستورد أو يستقدم أفراداً من الكويكرز، واستثنى من ذلك من قد يتم جلبهم من انگلترا قانونياً للتبشير بموجب القانون. وكانت عقوبة الموت بسبب العودة للمستعمرة بعد النفي أو الإبعاد سارية فيها، إلا إن عدداً قليلاً منها نفذ، وقد جرى إلغاء هذا التشريع بعد قيام ثورة عام 1688[2].

نجح الهولنديون بتأسيس محطتين تجاريتين في الباني وجزيرة مانهاتن عام 1614، ودخلوا حالاً في خلاف مع حكومة فرجينيا، التي حاولت إخضاعهم إلا إنها فشلت. وبعد نحو عشر سنوات قامت شركة الهند الغربية الهولندية بإرسال مستوطنين الى نيو نيذرلاند، وبدأ هؤلاء بالاستقرار في المناطق الواقعة قرب نهر ديلاوير ونهر كونكتكت، فضلاً عن لونج آيلند. وفي عام 1626 اشترى الهولنديون جزيرة مانهاتن من الهنود بأربعة وعشرين دولاراً. إن انتماء الهولنديين لأمة مختلفة عن الانكليز، لها مصالح متباينة، ومحاولاتهم المستمرة للإفادة في كل مناسبة للتضييق على مستعمرات نيوانجلند، وادعاءاتهم بأجزاء من كونكتكت جعل من إحتمالية التناغم بين الجانبين أمراً مستبعداً.

واردلي Wardley، وهو انكليزي انسحب من الكويكرز في انگلترا عام 1747، وبدأ وأتباعه يمارسون معتقداتهم الدينية، ومما يعتقدون " إن ظهور المسيح ثانية بات وشيكاً" فعرفوا باسم الكويكرز الرجافين، انطلقوا عام 1774 بقيادة امرأة هي آن لي الى أميركا، وأقاموا في بلدة بالقرب من الباني، ولهم بعض المعتقدات الخاصة بهم.

Goodrich, Op.Cit., pp. 195-197.

1) Nelson M. Blake, Op.Cit., p. 61; Oliver P. Chitwood, etal, Op. Cit, pp.35-36.

2) James Grahame, The History of The United States of North America from The Plantations of The British Colonies Till Their Revolt and Declaration of Independence , Vol: I, London, 1836, pp.106,140.

ومع حلول آب عام 1664 انضمت نيو أمستردام، التي تغير اسمها الى نيويورك الى الممتلكات الانكليزية، بناء على مرسوم من الملك شارل الثاني، تيمناً بأخيه دوق يورك والباني، والذي سيخلفه على العرش جيمس الثاني (1685- 1688)، وبدأت محاولات الانكليز لجعلها انگليكانية. إن تحول نيويورك الى مستعمرة ملكية عام 1685، كان من أهم الخطوات لضمها مع اتحاد نيو انگلند في عهد جيمس الثاني. ونتيجة لميول هذا الملك الكاثوليكية، وتعيين موظفين كاثوليك فيها، فقد تصاعد الخوف في مجتمعها البروتستانتي من اضطهاد ديني قد يطالهم. وعلى الرغم من إعلان كنيسة انگلترا كنيسة رسمية في نيويورك عام 1693، فقد بقت المدينة تضم خليطاً متجانساً من الهولنديين الكالفينيين والفرنسيين الهوگونوت Huguenots وأقلية من المشيخيين الانكليز والايرلنديين. هذا ولم يجد الاسكتلنديون حرج عام 1717، في تشييد كنيسة مشيخية وتعيين راعٍ لها، مما جعلها تستقطب مزيداً من المهاجرين[1].

حمل السويديون اللوثرية Lutheranism الى أولى مستعمراتهم في أميركا عام 1627، في عهد الملك غوستاف الثاني ادولفس Gustavus II Adolphus (1594- 1632) عند مصب نهر ديلاوير جنوباً من نيويورك، وقد اتسعت رقعة أراضيهم الى مساقط نهر ديلاوير والهدسون. لكنهم دخلوا لاحقاً في نزاع مع الهولنديين، الذين انتزعوا كافة مراكزهم وضموها اليهم في حدود عام 1655، وسمحوا بالمقابل لسكانها بالبقاء والعيش في ممتلكاتهم، التي أُلحقت بعد حين الى إدارة نيو نيذرلاند. وبعد امتلاك الانكليز للأخيرة، وبمرور الوقت اندمج السويديون في كل من بنسلفانيا وديلاوير مع رعية الكنيسة الرسمية، وأصبحت كنائسهم ورجال دينهم تدار

---

1) Charles A. Goodrich, A History of The United States of America from The First Discovery To The Fourth of March , 1882, New York, 1825, pp.44-66; Oliver P. Chitwood, etal,Op.Cit,p.63.

من قبل الانگليكان، بعد أن تحولت الكنائس السبعة العائدة اليهم الى أسقفية وذلك بعد عام 1670[1].

كانت المستعمرات الأمريكية ملاذاً آمناً للهوگونوت من فرنسا، الذين تضاعفت هجرتهم اليها، في المدة بين حصار روشيل Rochelle (1627- 1628) ولغاية قيام الملك لويس الرابع عشر Louis XIV (1638- 1715) عام 1685، بإلغاء مرسوم نانت Nantes، الصادر عام 1598 في عهد هنري الرابع (1589-1610)، وقد أُجبر البروتستانت على مغادرة بلادهم، فهاجر كثير منهم الى العالم الجديد. وكان الهوگونوت قد بدأوا منذ عام 1564 بالاستيطان قرب فلوريدا، ووصلت أعداد منهم الى مستعمرات ماساشوسيتس عام 1662 وميريلاند عام 1666 وفرجينيا عام 1671 وكارولينا الجنوبية عام 1696 ونيويورك عام 1703. وقد ضمنت لهم سلسلة قوانين حق العيش فيها والتملك كمواطنين، وبمرور الوقت بدأ هؤلاء باستعمال اللغة الانكليزية، وانصهر قسم منهم في الكنيسة الرسمية، في حين إن الكثير اختاروا الانضمام للكنيسة المشيخية. والى جانبهم فقد استقطبت المستعمرات الانكليزية قوميات أوربية أخرى، كالبولنديين في نيوجرسي، والسويسريين البروتستانت في كارولينا الجنوبية، وآلافاً عدة من الايرلنديين والاسكتلنديين والألمان[2].

الكاثوليكية تفد مع مستوطني ميريلاند.

دخلت الكاثوليكية الرومانية الى المستعمرات الانكليزية مع المستوطنين الأوائل في ميريلاند، التي سميت بهذا الاسم تيمناً بالملكة هنريتا ماريا (1609- 1669) ابنة الملك هنري الرابع ملك فرنسا وزوجة شارل الأول. ففي عام 1632 منح شارل الأول

---

1) John D. Lang, Religion and Education in America with Notices of the State and Prospects of American Unitarianism, Popery, and African Colonization ,London,1840, p.17.

2) Ibid,. pp.21-29.

براءة لجورج كالفرت لورد بالتيمور الأول، لامتلاك منطقة تشمل أراضٍ خصبة قرب خليج تشيزابيك، لكنه توفي قبل صدورها فحصل عليها ابنه. وفي العام التالي انطلق نحو مائتي كاثوليكي اليها، لتأسيس مستوطنة قرب مصب البوتوماك على الجانب الشمالي، وعرفت حينها سانت ماري St. Mary's، فأصبحت ملاذاً وملجأً آمناً للكاثوليك من انكلترا وايرلندا. إلا إن روح الاضطهاد والملاحقة تبعتهم الى هناك عبر الأطلسي، فقد حُرموا من التمتع بثمار أجورهم العادلة لقاء العمل، كما استبعدوا من أي منصب للربح والمنفعة أو يتطلب الثقة في المستعمرة التي استوطنوها، كما أرغموا على إبقاء رجال دين بروتستانت، كما مورست بحقهم العديد من القوانين الجنائية الانكليزية. في عام 1633 أصبح ب.ف اندرو وايت (1579- 1656) وهو انكليزي يسوعي، أول كاهن رافق المستعمرين اليها. ومنذ ذلك الحين ولغاية اندلاع حرب الثورة الأميركية، أصبحت الشؤون الدينية لكاثوليك كل من ميريلاند وفرجينيا تدار من خلال إرساليات يسوعية ترسلها لندن. إلا إن سمة التعايش السلمي، التي طبعت المستعمرة تجسدت عام 1649، عندما أصدر للورد بالتيمور الثاني سيسيليوس مرسوم التسامح الديني، لكافة الطوائف التي تعترف بعيسى المسيح في ميريلاند، لكنه استثنى من ذلك اليهود وغير المؤمنين والربوبيين أو معتنقي الديزم Deism[1].

[1]) الديزم أو الربوبية: مذهب يعترف بوجود الله الذي خلق الكون، ووضع له قوانين تحكمه وتديره، لكنه ينكر تأثيره في الطبيعة والمجتمع بعد ذلك، فلا له علاقة له بمنظومات الإنسان المعرفية والأخلاقية والجمالية التي تستند الى الطبيعة / المادة، فالإله بالتالي، شأن خاص. يعتقد أتباع المذهب بالدين الطبيعي (natural religion)، الذي لا يعتمد على الوحي والمعجزات، بل على الطبيعة والأسباب. ويؤكد أن على الإنسانية الإيمان بالله وتبجيله، وربط العبادة بالفضيلة والقيم الأخلاقية، وإمكانية حدوث المغفرة في حال الندم والتوبة عن الخطايا، فضلاً عن حتمية الثواب والعقاب في الحياة وبعد الممات. ويعد فولتير وتوماس بين وادم سميث وتوماس جيفرسون وبنجامين فرانكلين أهم رواده. ينظر:

عبد الوهاب المسيري، فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، الطبعة الأولى، 1998، دار نهضة مصر، ص 11-17. وأيضاً الموقع الالكتروني

http://aljsad.com/forum9/thread28490.

إن أساس الحرية الدينية الذي قامت عليه هذه المستعمرة تجاه الكاثوليك لم يمنع من تأثرها بتعاليم البيوريتان، خلال عهد الكومنويلث Commonwealth، الذي أعقب الحرب الأهلية الانكليزية، ووصول اوليفر كرومل وإعلان الجمهورية، ما بين عامي (1649- 1660)، لكن تمت إدارتها فيما بعد من قبل رعاة الكنيسة الانكليزية. وأخذ عدد البروتستانت بالتزايد فيها، وبحلول عام 1691 أصبحت ميريلاند مستعمرة ملكية، لتعلن الانگليكانية بعد ذلك بعام كنيستها الرسمية، ودعمت بالضرائب العامة، التي توجب على الكاثوليك والمنشقين دفعها. وفي عام 1700 بدا أسقف لندن بإرسال رجال دين انگليكان للخدمة فيها، إلا ان الكاثوليك منعوا منذ عام 1715 من حق التصويت، وظل هذا المنع سارياً لوقت طويل حتى بعد انتهاء حرب الاستقلال. وحتى في رود ايلند التي استقبلت معظم الطوائف المنشقة، فقد حرم فيها الكاثوليك من حقوق المواطنة. في عام 1720 ادخل الأب گرايتون (F.Grayton) وآخرون الكاثوليكية الى بنسلفانيا، حيث ازدادت أعدادهم هناك بعد مدة قصيرة وبشكل لافت[1].

ظل وضع الكاثوليك في المستعمرات الأمريكية يعاني من تذبذب، فيما يتعلق بالحصول على حقوقهم المدنية والدينية أسوة بالبروتستانت. ففي ماساشوسيتس كان الكهنة الكاثوليك عرضة للسجن مدى الحياة، وكل من يجرأ على التمادي في التأمل بطبيعة المسيح أو في فلسفة فكرة الخلاص، أو التعبير عن شكوكه بين نسختي التوراة كان خاضعاً للسجن أو للغرامة الثقيلة[2]. لكن بعد عام 1783 ازدهرت الكاثوليكية الرومانية، فساهم قتال الفرنسيين والأسبان الى جانب الأميركيين في حرب الاستقلال

1)"Our Earliest Printed Church History of the United States", The Catholic Historical Review, Vol. 6, No. 3, (Oct. 1920), pp. 343-344.
2) John Fiske, Op. Cit, p.78.

بتقارب كبير بين العقيدتين، وألغيت العديد من القوانين التعسفية بحقهم. وفي رود ايلند امتد حق المشاركة في التصويت عام 1784 ليشمل الكاثوليك، وهي الميزة التي انفردت بها عن بقية الولايات في هذه المرحلة[1]. كما إن الدستور الفدرالي الذي سن عام 1787، فضلاً عن لائحة الحقوق التي ألحقت به عام 1789، وأُقرت في كانون الأول عام 1791، قد ضمنا لهم التمتع بالمشاركة المتساوية في الحقوق كافة كبقية أقرانهم، وعلى وجه الخصوص الحرية الدينية.

شجعت هذه التطورات رجال الدين الكاثوليك في الولايات المتحدة لمخاطبة البابا في روما، وأرسلوا اليه عرائض عدة، لغرض تأسيس مقر للأبرشية، وتعيين أسقف عنه فيها. واستجابة لذلك، فقد تم اختيار الدكتور جون كارول[2] ليكون أول أسقف لبالتمور- ميريلاند 1789[3]. ازداد عدد الكاثوليك بعد أن كانوا بحدود 600

---

1) Ibid, p. 344; David L .Holms, Op. Cit, p.33; John Fiske, Op.Cit , P. 79.

2) ولد جون كارول في 8 كانون الثاني 1735 لأسرة كاثوليكية ثرية في ميريلاند، كان والده دانيال مهاجراً ايرلندياً عمل تاجراً ومزارعاً للتبغ، أرسل الى أوربا لإكمال دراسته نتيجة المضايقات التي تعرض لها الكاثوليك في المستعمرة، وتخرج عام 1753 من إحدى مدارس فرنسا. دخل الى جمعية الجزويت وقضى مدة بالتدريب في فرنسا وبلجيكا. بعد ترسيمه عام 1769 بدا يدرس اللاهوت والفلسفة في مدارس الجزويت، كما قام بتدريس التعاليم الكاثوليكية للانكليز عبر أرجاء القارة الأوربية. صُدم بشدة عندما ألغى البابا كليمنت الرابع عشر جمعية الجزويت عام 1773 فعاد الى أميركا. ناصر القضية الوطنية بحماسة، وكان ابن عمه تشارلس كارول الكاثوليكي الوحيد الذي وقع إعلان الاستقلال. اجتمع عام 1783 مع خمسة كهنة في Whitemarsh للتباحث حول وضع كنيستهم في البلاد، وافتقارها الى أسقف أو غطاء رسمي، وصاغوا قواعد للرهبان في الولاية، كما أرسلوا عرائض الى البابا لتزويدهم بتوصيات بشأن كنيستهم. وسرعان ما استجاب البابا، وقرر في السادس من حزيران 1784 تعيين كارول كبير ممثلي البعثة الرومانية الكاثوليكية في الولايات المتحدة. وفي السادس من تشرين الثاني عام 1789 عينه البابا بيوس السادس أسقفاً لأبرشية بالتيمور، التي تغطي معظم أرجاء الولايات المتحدة من فيرمونت الى لويزيانا، ولدى وفاته في الثالث من كانون الأول عام 1815، كان للكنيسة الكاثوليكية الأميركية أربعة أساقفة وكبير للأساقفة.

Edward L.Queen II ,(ed) etal , The Encyclopedia of American Religious History , Third Edition , New York, 2009, pp.236-237.

3) Chester Gillis, Catholic faith in America, Third Edition, New York 2009, pp. 20-21.

شخص فقط عام 1784 في عموم نيو انگلند ، اما في بقية الولايات فكان 2500 في نيويورك و1700 في نيوجيرسي وفي ديلاوير وبنسلفانيا كانوا 7700 ، أما في ميريلاند فكانوا عشرين ألف، في حين إن عددهم بين المستوطنين الفرنسيين، القاطنين على طول الضفة الشرقية لنهر المسيسبي وصل الى 12000 شخص. هذا وشيدت أول كنيسة رومانية كاثوليكية في بوسطن عام 1789[1].

كانت بنسلفانيا التي أسسها ويليام بن بمرسوم من الملك شارل الثاني عام 1681، مجتمعاً يرحب بكافة الطوائف المضطهدة، وكل من يعترف بأن الإله الواحد الأبدي هو خالق الكون وسيده يعامل بتسامح، لكن المسيحيين فحسب كان بإمكانهم المشاركة في الحكومة، ولهم حق الانتخاب وتقلد الوظائف العامة، وبتأثير من البلد الأم، فقد منع الكاثوليك واليهود أيضاً من ذلك الى جانب حق التصويت. وقف الكويكرز فيها بالمقدمة بممارسة النفوذ، وجاء المشيخيون والمعمدانيون من بعدهم، فضلاً عن الرومان الكاثوليك والهولنديين وبعض الطوائف الألمانية كالمورفيين Moravians[2]،

---

1) John Fiske, Op. Cit, p.85.

2) كانت كل من مورفيا وبوهيميا قد اتحدتا تحت لواء الكنيسة الإغريقية بحدود عام 890 م، الا أنهما أرغمتا على الخضوع لكنيسة روما. وقد عُرف المورفيون قبل عصر الإصلاح الديني بوقت قصير باسم الإخوة المتحدة United Brethren، كانوا قد راسلوا مارتن لوثر وبقية المصلحين وتأثروا بهم. وعندما اندلعت الحرب الأهلية في بوهيميا عام 1620 ممهدة لحرب الثلاثين عام، هرب كثير منهم الى انگلترا وبقية أقطار أوربا، بعد أن جرى التنكيل برجال دينهم. لكن قسماً منهم بقي متمسكاً بكنيسة روما الكاثوليكية. يؤرخ تأريخهم الحديث بعام 1722، عندما تحركت جماعة صغيرة من Fulneck في مورفيا تحت قيادة شخص عرف بدافيد الى ممتلكات الكونت زنزيندروف Zinzendorf. . وفي عام 1735 قام زنزيندروف الذي كان يعتنق اللوثرية بإتباع عقيدتهم، وعدّ الأب الروحي للطائفة حتى وفاته عام 1760. تشبه معتقداتهم معتقدات الكويكرز كثيراً. انتشروا في المانيا والدنمارك وهولندا واسكتلندا وروسيا وبولندا. وأول ظهور لهم في أميركا كان ما بين عامي 1736-1741. واستوطنوا في Bethlehem – بنسلفانيا.

174-176. Charles Goodrich, Op. Cit, pp.

والمينونتيين Mennonites[1]، ونتيجة هذا التنوع، أصبح للدين فيها وقعاً مميزاً، على الرغم من إن كنائسها كانت أصغر حجماً مما عليه الحال في نيو انكلند[2].

لم يحظ الكويكرز في مجتمع نيو انكلند بالتناغم الطائفي بادئ الأمر، فأول محاولة لهم بالظهور في ماساشوسيتس ـ بوسطن عام 1656 قوبلت بالاستهجان، وأُحرق كتابهم علانية، وسجن الوافدون أسابيع عدة، وتم ترحيلهم بعد ذلك الى بربادوس في جزر الهند الغربية. وصدر في العام نفسه قانون يفرض غرامة باهظة، على قباطنة السفن الذين ينقلون الكويكرز الى المستوطنة، ومن يدعو صراحة الى أفكارهم ويدافع عنهم، سوف يغرم ويودع بالحبس ثم يطرد من المقاطعة، كما عوقب بالجلد والسجن من نجح بالدخول اليها. إلا إن محاولاتهم للاندماج وسط البيوريتان لم تتوقف، فاتخذت السلطات إجراءات متطرفة بحقهم، ففي العام التالي مرّرت الهيئة التشريعية قراراً يقضي بقطع أُذن الكويكرز من الذكور المنفيين في حال عودته للمستعمرة، وان عاود الكرة مرة أخرى تقطع أُذنه الثانية، أما الإناث العائدات فيجري جلدهن بقسوة، وفي حال عاد الذكور والإناث للمرة الثالثة، يتم ثقب لسان الذكور أو الإناث بالحديد الحامي. لكن الكويكرز استمروا في المجيء، الى أن قررت المحكمة العامة عام 1658 عقوبة الموت شنقاً، وهي ذات العقوبة التي كانت تطبق بحق الرهبان اليسوعيين والكاثوليك، الذين

---

[1]) نسبة الى مينو سيمون. وهم يشابهون فرقة انابابتستس Anabaptists الذين لم يكن لديهم أي أسرار كنسية، لكنهم يقومون بطقوس وشعائر منها، غسل القدمين وتعميد الراشدين البالغين. وصلت أعداد من المينونتيين عام 1692 الى بنسلفانيا، واستقروا في Germantown ، حيث مارسوا طقوسهم وعقائدهم بحرية تامة وتسامح كبيير. وهم يميلون الى الفصل التام بين الكنيسة والدولة، وقد عارضوا أداء اليمين أو القسم أو اللجوء الى المحاكم أو الخدمة في الجيش أو تقلد أي منصب عام أو حتى ارتداء ملابس حديثة وأنيقة. للمزيد ينظر:
David L. Holmes, The Faiths of The Founding Fathers, New York , 2006, pp.6-7.

[2]) Ibib, pp. 5-6. Harold U. Faulkner, America Its History and People, New York, 1938,p. 42; Oliver P. Chitwood, Op. Cit, p. 65.

يعودون بعد نفيهم منذ عام 1650. وفي عام 1659 أُعدم أربعة من الكويكرز ومرة أخرى عام 1660. إلا إن القضاة بعد ذلك بداوا ينحون نحو تزمت وتطرف أقل حدة، وبضغط من الحكومة الانكليزية، علّقت ماساشوسيتس العقوبة البدنية بحق الكويكرز بعد عام 1661، على الرغم من إن قوانينها تسمح لها بفرض وتطبيق عقوبة الإعدام ضدهم[1].

فرجينيا هي الأخرى مررت جمعيتها التشريعية في عام 1659 قراراً يغرم كل شخص يجلب أفراداً من الكويكرز، أو يحملهم على متن السفن الوافدة اليها بمبلغ مائة جنيه، وجرى سجن جميع الكويكرز المتواجدين في المستعمرة، لحين إعلانهم التخلي عن معتقدهم جهراً أو إعطاء ضمانات بمغادرة المدينة، وفي حال عودتهم يتم محاكمتهم كمذنبين بجريمة خطرة، وتجددت سلسلة القوانين الصارمة بحقهم بعد عام 1660[2]. وغدت بنسلفانيا وفق ما جاء في أحد التقارير عام 1749، المكان الملائم الذي ازدهر فيه الكويكرز، الى جانب الرومان الكاثوليك والإخوة الهولنديين، حيث شكل الكويكرز الفرقة الأكثر عدداً فيها مقارنة بالانكليكان، فضلاً عن نيوجرسي وكارولينا الشمالية، كما كانت رود ايلند أكثر تفهماً لمعتقداتهم[3].

شكل المشيخيون والأبرشيون مجتمعاً مؤثراً في نيوجرسي، لكن جرى مع ذلك الترحيب بكافة الفرق الأخرى. كما إن مساعي الكويكرز فيها قاومت جميع المحاولات لجعل الكنيسة الانكليكانية رسمية بعد عام 1702. وحتى اندلا ع حرب الاستقلال كانت أعداد الانگليكان تزداد فيها بشكل بطيء[4].وعلى نحو متصل كان الكاثوليك

---

1) Nelson M. Blake, Op.Cit., p. 67;

الكسي دو توكفيل، المصدر السابق ، ص 78-79.

2) Ibid , p. 68; John D. Lang, Op.Cit , p. 27.

3) David L. Holmes, Op.Cit., p.31.

4) Ibid, pp. 30-31.

قد عُوملوا بخشونة، إذ كان عامل الخوف من أن يؤدي رجال الدين الكاثوليك دوراً داعماً للفرنسيين في كندا ضد سكان المستعمرات سائداً بين الأميركيين[1].

اليقظة العظمى تنعش الفتور الديني.

شهدت أميركا في القرن الثامن عشر الذي وصفه الكثيرون بعصر العقل، ما عرف باليقظة أو الصحوة العظمى Great Awakening، ويمكن عدها محاولة إنعاش للحماسة الدينية التي أصابها الفتور خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن، وتشغل الفترة الممتدة مابين عامي1720- 1770. وهي جزء من حمى الانبعاث الديني التي انتابت غرب أوربا أيضاً، ولاسيما انكلترا وألمانيا خلال القسم الأخير من القرن السابع عشر ومعظم القرن اللاحق. فالى جانب ازدهار مذهب الديزم والنزعة الشكوكية والتوجهات الليبرالية، التي رفضت عقيدة الاختيار أو الانتخاب الإلهي والقضاء والقدر، ربما كان تضاعف موجات الهجرة الى المستعمرات الأمريكية، سبباً في عدم خلق تناغم ديني بين المجاميع المتعددة. ولعل امتزاج قيم المدنية بالثروة، الى جانب الدين قد صيّر طقوس العبادة الى إطار جامد. كما إن الحروب التي كانت المستعمرات ميداناً واسعاً لها، كانت سبباً في استقدام أفكار جديدة، انعكست سلباً على الدين. فقد حملت الحرب الفرنسية الهندية أو ما تعرف بحرب السنوات السبع (1755- 1763) على سبيل المثال، محاربين أجانب ليقاتلوا الى جانب قاطني نيوانجلند، وكان في الجيش كثير من الملحدين، ممن طبعوا ونمّوا بجد ونجاح مبادئهم في أذهان صغار ملاك الأراضي هناك[2]. والحقيقة إن الرتابة التي ترافقت مع أداء الكنيسة لم تعد مرضيةً لجيل جديد من رجال الدين، ممن تطلعوا الى طرق وعظ جديدة تتحرر من القيود التقليدية[3]. وباختصار هي

---

1) Allan Nevins, Op.Cit., p. 34.

2) Charles A. Goodrich, The Ecclesiastical Class book, Op. Cit. p. 183.

3) Oliver P. Chitwood, etal., Op.Cit, p. 127; Bannon, Op.Cit., p. 304.

رد فعل لانتشار العقلانية الجافة في مستعمرات نيوانجلند، والشكلية في الطقوس الدينية وسط طوائف الهولنديين المصلحة، وإهمال الإشراف الرعوي في الجنوب. شدد المبشرون في هذه المرحلة على التلويح بالعقاب المستقبلي للمذنبين والخاطئين، ممن سيحرمون من نعمة الرب الأبدية، "ومن العبر في الولادة الجديدة ليسوع المسيح"[1].

ارتبطت تلك الانطلاقة مع أسماء عدة في أميركا وانگلترا على حد سواء، ففي نيوجرسي برز القس ثيودوريوس ج. فريلنج هايزن Theodorus J. Frelinghuysen (1692- 1747)، الذي بدأ منذ عام 1720 بإحياء كنائس الهولنديين المصلحة في المستعمرة، ووليام تينت William Tennent (1637- 1746)، الذي تخرج من جامعة أدنبرة، وانتهى به المطاف مبشراً بين جموع المشيخيين في نيوجيرسي وشرق بنسلفانيا. شيد عام 1735 مدرسة في بنسلفانيا Neshaminy عرفت باسم Long College، زودت هذه الأكاديمية رعيته بما يقارب عشرين مبشراً يافعاً. كما ذاع صيت ابنه الأكبر جلبرت تينت Gilbert Tennent (1703- 1764)، الذي بدأ الوعظ في نيوبرنسويك - نيوجرسي منذ عام 1729، كما انتشرت مواعظه على نطاق واسع في نيوهافن وبوسطن، وأصبح عام 1743 كاهن الكنيسة المشيخية الجديدة في فيلادلفيا[2]. ومن أبرز من ارتبط اسمه بهذه الحركة كان جونثان ادواردز (1703- 1758) Jonathan Edwards من نورثمبتون – ماساشوسيتس، وهو رجل دين أبرشي كالفيني، تمكن بسلسلة خطبه منذ عام 1734 حول اعتماد البشر المطلق على الرب لتحقيق الخلاص، وحول عقيدة

[1]) Quoted in: Don S. Armentrout and Robert B. Slocum (ed.), An Episcopal Dictionary of The Church: A User Friendly Reference for Episcopalians, New York, 2000, p.226.

[2]) Nelson M. Blake, Op.Cit., pp. 74-75.

التبرير بالإيمان، من أن يجعل موضوع الدين الشغل الشاغل لأحاديث مدن المقاطعة ولشهور عدة[1]. كما يعرف جورج وايتفيلد George Whitefield[2] برسول اليقظة الكبرى في أميركا، عرف بقدرته الفذة على استقطاب الجماهير خلال اجتماعات الوعظ الذي عقدها في أبرشيات سافانا، وكان الناس يتهافتون للاستماع اليه ويقفون خارج أبوابها وشبابيكها. كما زار عام 1739 نيويورك وميريلاند وفرجينيا والكارولينيتين وبوسطن عام 1740، وعاد مجدداً الى جورجيا، حيث أسس مدرسة للأيتام، وكان يحلم بإنشاء كلية فيها. عدّ وايتفيلد قساً مشهوراً ومؤثراً للغاية وسط جموع المؤمنين في الكنيسة، كما أصبحت الأماكن العامة ميداناً رحباً لخطبه الدينية والإنسانية[3].

---

1) Ibid,p,76.

2) ولد جورج وايتفيلد في گلوسستر في 16 كانون الأول عام 1714، وتوفي فيNewburyport ماساشوسيتس بداء الربو Asthma في 30 أيلول عام 1770. هو مؤسس الميثودية المنهاجية الكالفينية. درس في جامعة اوكسفورد، وانضم للنادي المقدس Holy Club الذي أسسه الأخوان تشارلس وجون ويزلي، حيث بدأت الطائفة المنهاجية بالظهور. توجه عام 1737 الى لندن للوعظ في إحدى الكنائس الصغيرة، وتلقى في العام ذاته خطابات من جون ويزلي، الذي كان حينها في أميركا يدعوه للقدوم اليها. وهناك بدأت حماسته في مشروع خيري لجمع الأموال لبناء دار للأطفال الأيتام قرب سافانا. كان الاثنان صديقان مقربان، جمعتهما مهمة التبشير والوعظ بالتعاليم الميثودية. عقد في شباط عام 1739 جلسة وعظ في الهواء الطلق بإحدى الحقول قرب بريستول، وتنقل من مكان الى آخر للوعظ بين مختلف الشرائح. قام بست رحلات لأميركا، فقد زار فيلادلفيا في آب من العام نفسه عبر نيوجيرسي، والى نيويورك ومنها انطلق الى جورجيا. كما زار نيوانجلند، حيث عقد حلقات وعظ لما يقارب عشرين ألفاً من سكان بوسطن. حدث انشقاق بينه وبين جون ويزلي عام 1741، على خلفية تأثر الأخير بآراء القس الهولندي ارمينيوس، حول عقيدة القضاء والقدر، ولم يتفق الاثنان بعد ذلك حولها أبداً. كان قساً لامعاً وذا قاعدة شعبية كبيرة، حقق نجاحاً في انگلترا وايرلندا واسكتلندا.

James Paterson Gledstone , The Life and Travels of George Whitefield, London, 1871.

3) Hodges, Op.Cit., pp. 69-70; Bannon, Op.Cit., p. 305; Chitwood, Op.Cit., pp. 127-128.

أثمرت اليقظة العظمى بمتغيرات عديدة، طبعت الفترة الكولونيالية بميزات مهمة ستتبلور فيما بعد وستساهم برسم معالم البلاد. فقد توسعت أفق الممارسات والتجارب الدينية من خلال حلقات الوعظ والتبشير الجديدة والمتنقلة أو المتجولة، فكسرت حاجز النظام الأبرشي القديم، وكانت فاتحة لمرحلة من التسامح الديني. كما حفزت البعثات التبشيرية بين السكان الأصليين الهنود والزنوج العبيد، وشيدت بفعل الحماسة الفكرية مؤسسات تعليمية عدة. ولان هذه الحركة أخذت مداها بشكل أكبر وسط صفوف الأبرشيين والهولنديين والمعمدانيين والمشيخيين وبعض الانگليكان، فقد كانت عملية نهوض بالمسار الكالفيني، فالأخيرة تؤمن بشدة على أهمية التعليم المدني، لذا فان ثلثا المؤسسات التعليمية في المستعمرات الانكليزية كانت ذات أصول وجذور كالفينية. ففي عام 1747 ساهم المشيخيون بتأسيس كلية نيوجيرسي College of New Jersey ، والتي أصبحت لاحقاً بجامعة برنستون، وكانت مدرسة كنسية لتدريب الرهبان. كما أسس المعمدانيون عام 1764 كلية لهم في رود ايلند، والتي أصبحت عام 1804 تعرف بجامعة Brown University، عكست تسامحاً كبيراً، بفسح المجال لغير المنتمين للطائفة بالدراسة فيها. وفي نيويورك أسس الانگليكان King's College عام 1754، وفي فيلادلفيا قبل ذلك بثلاثة أعوام وضعت نواة ما أصبح جامعة بنسلفانيا، كما شيد الهولنديون المصلحون Queen's College عام 1766[1].

---

1) Don S. Armentrout and Robert B. Slocum, Op.Cit, p.226; Bannon, Op.Cit, p.306.

إن مد العقلانية المفرط الذي جاء به عصر الاستنارة Enlightenment[1] للمستعمرات كان بمثابة إحياء للصراع بين الدين الرسمي والدين غير المنسجم، وبين مبادئ الحقوق الطبيعية. وعلى الرغم من إن اليقظة العظمى قد ساهمت بالحد من هذا التيار نسبياً، إلا إن انعكاسه على تطور البناء الفكري والديني والاجتماعي في أميركا سيظهر بقوة خلال مراحل النزاع مع الوطن الأم وبعده، عندما سترتفع الأصوات منادية بحقوق دينية واسعة النطاق، وتحجيم لدور المؤسسة الكنسية المنفرد في البلاد[2].

كان معظم عظماء أميركا ممن رسموا بحكمة وحماسة ملامح الجمهورية الفتية، عقب تطور النزاع مع بريطانيا العظمى وإعلان الاستقلال، من رعايا الكنيسة الرسمية المخلصين، على الرغم من إن كثيراً ممن صاغوا الإعلان كانوا من أتباع مذهب الديزم، الذي اثّر كثيراً في رجال أميركا، وهو يؤمن بالعقلانية وسمو الأخلاق وتعزيز قيم النهوض بالفرد. لكن وقع الدين كان مهماً خلال تطور مراحل النزاع الثوري. فالمؤتمر القاري الأول الذي اجتمع في فيلادلفيا في أيلول عام 1774، افتتح جلساته بأداء صلوات ترأسها القس جايكوب داشي (1737- 1798) Jacob Duché راعي كنيسة

---

1) عصر الاستنارة : ويقال لفكر الاستنارة أحياناً « فلسفة الأنوار» أو« فلسفة التنوير»، وهي حركة نهضوية عاشتها أوربا خلال القرنين السابع والثامن عشر في مختلف ميادين المعرفة، ،كانت بمثابة إعادة لاكتشاف الإنسانيين للماضي بقيمه وأفكاره ونظرياته، مما فسح المجال لنقد واسع للمؤسستين الدينية والسياسية. وتعالت فيه الأصوات المؤيدة للنزعة الفردية، التي تعد الفرد محور الوجود الحقيقي، فضلاً عن الشكوكية. ولهذا يطلق عليه بعصر العقل، حيث راجت فيه الفلسفة العقلية، لأن رواده نادوا به ليكون المرجع الأعلى للتمييز بين الخطأ والصواب، الى جانب الرؤية العلمية والمادية. تعود جذوره الى كتابات توماس هوبز (1588-1679) واسحق نيوتن (1642- 1726) ورينيه ديكارت (1596-1650) وباروخ اسبينوزا (1632-1677) وجون لوك (1632-1704). ويضم الجيل الأول من ابرز مفكريه جان جاك روسو (1712- 1778) وفرانسوا فولتير(1694-1778) ومونتسكيو (1689-1755) ودينيس ديدرو (1733-1784) الذي نشر عام 1751 الجزء الأول من موسوعته الشاملة، وعمانويل كانت (1724-1804) وآدم سميث (1723-1790). للمزيد ينظر: عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، ص 9-10.

2) Edward L.Queen II ,(ed) etal,Op.Cit, pp.28-29.

Christ في فيلادلفيا، وقد وصفها جون آدمز في رسالة الى زوجته، "بأنها كانت صلاة رائعة، لقد صلّى من أجل أميركا والكونغرس ومدينة بوسطن المحاصرة"[1].

الكنيسة عشية الثورة الأمريكية.

بلغ عدد كنائس أميركا إبان اندلاع الثورة (3105) كنيسة محلية، (658) أبرشية معظمها في نيو انگلند و(543) كنيسة مشيخية و (498) كنيسة معمدانية و(480) كنيسة انگليكانية و (295) كنيسة للكويكرز و (251) كنيسة للهولنديين والألمان و (151) كنيسة للوثريين و (50) كنيسة للكاثوليك، فضلاً عن تجمعات يهودية في تشارلستون ونيويورك ونيوبورت. كما وسجل منذ عام 1733 وجود بعض اليهود في جورجيا، حيث سمح لهم بالبقاء حينها، لكن جرى التضييق عليهم بقوانين صارمة، وبلغ عدد اليهود في عموم المستعمرات ما يقارب الألف، ولم يسمح لهم حينها بتشييد معابد أو كنيس Synagogue، إلا بنهاية القرن الثامن عشر في ريشموند وفيلادلفيا وسافانا[2].وكانت معظم مستعمرات نيو انگلند باستثناء رود ايلند، تدفع رواتب لرجال دينها الأبرشيين من المال العام. وفي ماساشوسيتس وكونكتكت كان أعضاء الكنيسة المعمدانية والكويكرز قد أُعفوا من ضرائب دعم الكنيسة، وان التي يدفعها الانگليكان كانت تذهب لرجال دينهم، وما عدا ذلك يدفع الجميع ضرائب لدعم الدين والكنيسة. أما في فرجينيا فان المنشقين والمنسجمين على حد سواء، يؤدون ضرائب لصالح رجال الدين الانگليكان[3].

تأثر وضع الكويكرز الذين حتمت عقيدتهم عدم الدخول أو المشاركة في الحرب أو تأييد أي جانب إبان الثورة ، فضلاً عن بعض الطوائف الألمانية والمهاجرين

---

1) Quoted in : Hodges , Op.Cit., pp. 76-77.

2) Nelson M. Blake ,Op.Cit,p77; David L. Holmes, The Faiths of The Founding Fathers ,p. 1.

3) Ibid, p.77.

الاسكتلنديين، في حين إن المشيخيين الذين انضموا للقضية الأميركية، عانوا بسبب قيام البريطانيين بتدمير ما يقارب خمسين كنيسة تعود لهم، وهم يفتخرون بأن جون ويذرسبون John K. Witherspoon (1723- 1794) رجل الدين الوحيد الذي وقع إعلان الاستقلال كان مشيخياً. كما واصلت الكنيسة الأبرشية في نيوانجلد مسيرتها، وتعد من الكنائس التي ناصرت الاستقلال، هذا وبدأ المعمدانيون الذين ساندوا بدورهم القضية الثورية، والمهاجرين الايرلنديين، وفرق أخرى يطالبون بحرية دينية كاملة في الشمال وفي فرجينيا أيضاً[1].

مثلما أرعب مشهد الحرية السياسية الكثيرين، فان موضوع الحرية الدينية وعلى نحو مشابه قد أحدث هلعاً بالغاً عند آخرين. إذ إن فكرة المجتمع المدني بعيداً عن روح الكنيسة كانت مخيفة، إن لم تكن بنظر الكثيرين طائشة وغير مسؤولة، وهذا بكل تأكيد بسبب شخصية الثورة الأمريكية المحافظة. ولو القينا نظرة على كيفية نضوج هذه الفكرة، لرأينا أن نيويورك على سبيل المثال، كانت الولاية الوحيدة التي لم تربط في دستورها الأول الصادر عقب إعلان الاستقلال عام 1776 بين الدين والدولة، في حين ان ميريلاند أدرجت في دستورها للعام نفسه، فقرة تجعل من إعلان الإيمان بالدين المسيحي شرطاً أساسياً لتولي وتقلد أي منصب عام، وبعد أربع سنوات وضعت ماساشوسيتس الشرط نفسه في دستورها. أمّا في بنسلفانيا كان على كل عضو من أعضاء جمعيتها التشريعية المجاهرة بإيمانه بالله والوحي والعهد القديم والجديد، بينما طالبت ديلاوير من كل موظف عام إعلان إيمانه بعقيدة الثالوث الأقدس، أمّا في جورجيا والكارولينيتين فقد استلزم تقلد أي وظيفة الاعتراف بالعقيدة البروتستانتية. ومن

1) Walter B. Posey, Op.Cit., p. 7;" Like a phoenix From the Ashes, The Reinvention of the Church in Virginia 1760-1840" The Virginia Magazine of History and Biography, Vol. 115, No.2, 2007, p. 203.

الواضح إنها كانت محاولة لتوكيد الأسس الدينية للحكومة المدنية، على الرغم أن البعض رآها نوعاً من الإقصاء للعديد من الطوائف والفرق الدينية وسلب لحقوقها المدنية[1].

الاستنتاجات.

لم تسر حركة التناغم الديني في المستوطنات الأميركية منذ تأسيسها على وتيرة واحدة، بل اعترتها جملة تحديات رافقت تطورها على مدى عقود طويلة. فالانگليكانية أو مذهب الكنيسة الإنكليزية، لم تكن ذات سطوة كبيرة مماثلة كما كانت في انكلترا، إلا إنها وجدت رغم ذلك أرضاً خصبة في جيمستاون – فرجينيا، الى جانب خمس مستعمرات أخرى في فترات لاحقة، لتصبح فيها كنيسة رسمية، تتمتع بحماية تشريعية وتمويل ضريبي، لكن ذلك لم يمنع فرقاً عدة غيرها من تأكيد حضورها. ونستطيع القول بأن البيوريتان نجحوا بتشييد الركائز الأولى للمجتمع الأمريكي، على الرغم من انفتاح الأخير على العديد من الطوائف المسيحية الأخرى. ويرتبط نجاح البيوريتان هذا بنجاح الكالفينية، على وجه الخصوص. فباستثناء الكاثوليكية الرومانية، التي حافظت بثبات على هويتها في مجتمع سادت فيه قيم الجمهورية، وبعض الفرق اللوثرية، لم تكن معظم الطوائف البروتستانتية بعيدة عن المد الكالفيني. وحتى الكويكرز، كانوا يوصفون بأنهم بيوريتان البيوريتان، ممن انبثقوا من الجناح اليساري للحركة البيوريتانية في إنكلترا، وازدهروا في مستعمرتي بنسلفانيا ورود ايلند، في حين تعرضوا للتنكيل في فرجينيا وماساشوسيتس، بسبب معتقداتهم الرافضة للتورط بالحروب والانخراط في الخدمة بالجيش وقضايا أخرى. وعلى الرغم من إن فرجينيا على سبيل المثال، كانت قد أقرت عام 1699 مبدأ التسامح الديني، إلا إن الكنيسة الانكليكانية كانت لا تزال مفضلة على بقية الكنائس. وينطبق الحال على مستعمرتي رود ايلند، التي عدت مثالاً واضحاً

---

1) J.L. Diman ,Op.Cit, pp.7-10.

على نضوج فكرة إبعاد تأثير المؤسسة الدينية عن واقع الفرد وحياته اليومية، وكل من بنسلفانيا وميريلاند، اللتين تبنتا نظاماً للتعايش السلمي بين غير المنسجمين والمنشقين وحتى المنفصلين، مع خصوصية عدم تقبل المجتمع آنذاك لغير المؤمنين بعقيدة الثالوث واليهود والربوبيين. ولم تكن القضية تتعلق باضطهاد ديني فحسب، بل للأمر علاقة ببناء مجتمع متكامل فاضل ومثالي، أشبه بجنة على أرض جديدة، بعيدة عن مساوئ العالم القديم، وأساليب إدارة كنيسته، من قبل رجال غير أكفاء، فضلاً عن تناقضات الاعتقاد بيسوع المسيح وفكرة الخلاص. فجميع الفرق البروتستانتية التي برزت بعد حركة الإصلاح الديني، وان تباينت مسمياتها، تعتقد أنها لم تأت بعقائد جديدة، بل إنها استعادت المسيحية، التي وصفت في العهد الجديد وكتابات آباء الكنيسة الأوائل، وكرد فعل على توظيف الكنيسة القديمة هيئة متنفذة من رجال الدين لصالحها. في حين انقسمت صيغ البروتستانتية هي الأخرى في نقاط جوهرية، تمثلت بعقيدة القضاء والقدر، وحكومة الكنيسة مشيخية كانت أم أسقفية، وحضور وغياب جسد ودم المسيح في القربان المقدس، وأخيراً في أي عمر يمكن للمسيحي أن يعمّد. إن رفض البيوريتان تمسك كنيسة انكلترا بممارسات كاثوليكية، جعلهم مصدراً للإرباك والفوضى التي عاشتها البلاد، خلال أحداث القرن السابع عشر، وفسح هذا المجال للتفكير بوطن بديل يمارسون فيه معتقداتهن بحرية تامة، فكانت أميركا أفضل مكان لهم. ولهذا حاولوا بعد ذلك تقليد تجربة التضييق على الفرق الأخرى المخالفة لهم، وعلى الرغم من نجاحهم لفترات طويلة، إلا إن واقع البلاد قد تغير بعد اندلاع حرب الاستقلال وانفصام عرى الارتباط ببريطانيا. وانقسم الجميع بين مؤيد ومعارض للقضية الوطنية، وهو ما ترتبت عليه نتائج مهمة انعكست على مدى تطور وازدهار تلك الفرق فيما بعد. لقد قلصت تجربة الحرب الثورية، وانضمام العديد من الفرق الى قضية الاستقلال

كالكاثوليك والأبرشيين والمشيخيين والمعمدانيين وحتى اليهود، من حجم الفوارق والتناقضات الدينية فيما بينها، فضلاً عن الشكوك في مسألة الولاء للوطن. وكانت فاتحة لتجارب أوسع تأثيراً وهي بمثابة نقلة نوعية في نضوج العلاقة بين الدين والدولة. وأعطى ذلك التنوع الطائفي، الذي عاشته المستعمرات الأميركية، حتى إعلان الاستقلال دافعاً كبيراً لفكرة فصل الدين عن الدولة، وهيأ ميداناً رحباً للتطبيقات العلمانية في إدارة المؤسسات المدنية، بمعزل عن التناقضات العقائدية. لقد طبعت كل طائفة وفدت الى أميركا بصمتها، لتشكل مجتمعاً متعدد الثقافات والانتماءات، تمكن من تخطي العقبات الدينية والقومية، وأصبح جزءاً مهماً من أمة لاحقة.

3

الولايات المتحدة والاسلام
الاستشراق الامريكي ونشأة الدراسات القرآنية

أ. د. اسراء حسن فاضل
الجامعة المستنصرية/كلية الآداب

نشأة الاستشراق الامريكي.

ستتحدث هنا عن نبذة مختصرة عن نشأة الاستشراق الامريكي، فمن المعروف أن دولة كالولايات المتحدة الامريكية قد نشأت حديثاً وقامت على أيدي ساكينيها الجدد القادمين إليها من القارة الأوربية فلا بد لها من أن ترتبط أرتباطاً ثقافياً وفكرياً بالقارة الأم ولهذا فأنها ورثت عنها الافكار والمفاهيم والتصورات التي وضعوها حيال الشرق العربي الاسلامي، بتراثه وانسانيته وثقافته، تلك الأدبيات التي تراكمت منذ القرون الوسطى والتي شهدت التنافس والصراعات العسكرية المتمثله بالفتوحات الاسلامية والحروب الصليبية والاندلسية خاصة، حتى أكتشاف أمريكا وما تلاها من هجرة أوربية واسعة للاستقرار على أراضي القارة الجديدة[1].

تمثل المرحلة الاولى من الاستشراق الامريكي الذي أبتدأ منذ اعلان الاستقلال عام 1783م وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م وكان أول كتاب تأريخي أمريكي مهم حول الاسلام ظهر عام 1830م، بعنوان (حياة محمد) وقد خطه رجل دين أمريكي أسمه جورج بوش وهو مؤرخ كان يتبع خطى كاتب السيرة الأوربية همفري بريدو[2]. وعلى الرغم من غلبة الطابع الديني على حركة الاستشراق الامريكية في

---

[1] محمد الدعمي، الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الاسلامي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2008م، ص125-126.

[2] محمد الدعمي، الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية، ص126.

البداية الا أنه سرعان ما هيمنت عليه الاطماع السياسية، فكيف يكون لبريطانيا امبراطورية لا تغيب عنها الشمس ولا يكون لأمريكا اهتمامات أمبريالية، فأشترك الهدفان وتأسست الجمعية الشرقية عام 1842م، وأكد جون بكرينغ رئيس الجمعية هذه السياسة في اجتماعها السنوي عام 1843م، عندما طرح النقطة التالية : (وهي أن أمريكا أرتأت لنفسها دراسة الشرق من أجل أن تقتفي مثل القوى الامبريالية الاوربية)[1].

تبعها دخول الولايات المتحدة الامريكية بنهضة شاملة نحو دراسة الشرق الادنى بعد منتصف القرن العشرين، وهنا تبدء المرحلة الثانية من الاستشراق الامريكي – ففي آواخر الخمسينيات بدأت الحكومة الفيدرالية في تمويل (دراسات المناطق)، الاسم المتطور للاستشراق، فخصصت الاموال لتأسيس مراكز دراسات الشرق الاوسط وجذب هيئات التدريس والباحثين الذين كانوا أغلبهم من أوربا والشرق الاوسط في بداية الأمر، ففي عام 1944م أصبح المؤرخ اللبناني فيليب حتي رئيساً لقسم برنستون للغات والاداب الشرقية، ثم بعد ذلك تم أنشاء برنامجاً في برنستون لدراسة الشرق الادنى يعد الاول من نوعه عام 1947م، ثم تتابع أفتتاح المراكز لدراسة الشرق الاوسط في الجامعات الامريكية مثل هارفارد والذي ترأسه هاملتون جب وأخر في جامعة كاليفورنيا والذي كان يديره جوستاف فون جرنباوم في فينيا [2].

كانت هنالك دوافع عديدة لظهور الاستشراق والاهتمام بالشرق الاوسط ودراسته من قبل الولايات المتحدة الامريكية يأتي في مقدمتها:

---

[1] ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة : كمال ابو ديب، ط4، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، 1995م، ص293.

[2] دوجلاس ليتل، الاستشراق الامريكي (الولايات المتحدة والشرق الاوسط منذ 1945م)، ترجمة طلعت الشايب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ص21-22.

1.الدافع المعرفي والأدبي: وهو ما حمله إليهم الباحثين والعلماء والآثاريين من أوربا حول الشرق وأساطيره وعاداته وتقاليده فأرادوا الاطلاع عليه بأنفسهم ودراسته وفهمه بشكل أعمق فلا يكونون تابعين للموروث الاوربي بأفكاره وكتاباته، كما أن القصص الادبية التي تحدثت عن البلاد العربية ورسمت صورا لها مثل مجلة (هاربرز ماجازين) كألف ليلة وليله والتي كانت حافلة بالصور الغرائبية عن الشرق، وما كتبه المستشرقون عن حياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل واشنطن إيرفنج (الذي يعد أباً للادب الامريكي) مرصعه بالصور الاستشراقية عنه، كما أن القارئ الامريكي المثقف قد توفرت له مؤلفات مهمة بقدر تعلق الأمر بالعرب وحضارتهم مثل (المعجم التاريخي) لـ بايل (Bayel) و (تاريخ الجزائر) لـ مورغان (Morgan)، و(تاريخ العرب) لـ أوكلي، فضلاً عن (تاريخ الحملات الصليبية) لتشارلس، وغيرها من التواريخ العامة تناولت الماضي العربي الاسلامي بضمن سياق كوني، كل هذا وغيره قد ساعد في أشاعة جو من الاهتمام وحب الاطلاع بين الجمهور الامريكي الى جنب أزدهار حركات التنقيب عن الآثار في أوربا في بلاد الرافدين والنيل وفلسطين وغيرها من بقاع البلدان العربية، فزادت لديهم الرغبة في أرتياد المشرق العربي بحثاً عن الكنوز الأثرية وتقصياً لقصص الاديان والحضارات الدفينة في هذه البقاع العتيقة القابعة برائحة التاريخ[1].

2.الدافع الديني: ومع بداية الاهتمام الامريكي بالشرق الاوسط كانت الروح التبشيرية للكنيسة المسيحية مهيمنة على العمل الاستشراقي فقد وصلت البعثات التبشرية مع

---

(1) محمد الدعمي، الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ الاسلامي، ص127-128.

بدايات القرن العشرين الى أرمينيا وسوريا وغيرها من أركان الإمبراطورية العثمانية حاملين معهم الانجيل وأفكار العالم الجديد[1].

3.الدافع السياسي: لا يخفى على القارئ في الاستشراق أن الدوافع والاغراض السياسية كانت عاملاً محرضاً على هذا الاهتمام نحو الشرق الاوسط خاصة بعد الحرب العالمية الثانية اذ بدى واضحاً لدى السياسة الخارجية الامريكية اهتمامها بهذه المنطقة لاحتوائها على مخزون هائل من البترول خاصة وأن الولايات المتحدة الامريكية قد استنفذت الكثير من مخزونها النفطي في ميادين القتال في أوربا، فكان لابد من الزحف الى تلك المصادر الغنية بعد أن وضعت الحرب اوزارها وأنسحاب القوات البريطانية من بعض قواعدها في الشرق الاوسط، مما فسح المجال لأمريكا أن تكون خليفة لبريطانيا في منطقة الشرق الاوسط ولتبدء في البحث عن الاستثمارات النفطية في المنطقة حتى أصبحت الشركات الامريكية عمالقة بترول وسياسة وذلك لأرتباط تلك الشركات بالمؤسسات الحكومية الامريكية كوزارة الدفاع وهيئة أركان الحرب المشتركة وأجهزة الاستخبارات والأمن القومي ووزارات الخزانة والطاقة الى جانب رجال النفط في تكساس ورجال المال في دول ستريت [2]. ولإبقاء السيطرة على منافذ البترول مستقرة في تدفقها الى الغرب كان لابد من الحفاظ على أراضي البترول تحت السيطرة السياسية وللتحقيق هذه الاهداف كان يتم استخدام وسائل متنوعة سواء كان منها العمل العسكري أو الديني أو الاقتصادي الا أنها لابد أن تستعين بالدراسات والابحاث العلمية للمؤسسات والمراكز البحثية التي تم دعمها وتأسيسها من قبل المؤسسات السياسية الأمريكية، وبهذا أصبح الاستشراق داعماً للحكومة الامريكية في منطقة

---

[1] ينظر: دوجلاس ليتل الاستشراق الامريكي، ص14.

[2] ينظر: دوجلاس ليتل، الاستشراق الامريكي، ص17.

الشرق الاوسط بما يقدمه لها من آراء وابحاث ونظريات تساعدها في رسم السياسة المناسبة للحفاظ على مراكزها في هذه المنطقة وأدامة سيطرتها عليها[1].

نشأة الدراسات القرآنية في الاستشراق الامريكية.

يعد القرآن الكريم قمة الاعجاز والبلاغة في اللغة العربية، وكان محط أنظار المستشرقين في دراساتهم وبحوثهم منذ بداية عملهم في مجال الاستشراق، فقام فئة منهم بتأليف كتب ورسالات في مختلف مجالات البحث العلمي في القرآن الكريم[2] . غير ان هذه الدراسات حول القرآن الكريم والاسلام بصورة عامة لم تكن تسير وفق منهج علمي مدروس منصف بصورة عادله لموضوعاته ففي الغالب أنها قد تقولبت وفق منهج الغرب وتطلعاته ومصالحه السياسية والاقتصادية والدينية في المنطقة ويؤكد ذلك أدورد سعيد بقوله: (إن المستشرقين نصبوا أنفسهم ولاة مسؤولين عن الاسلام والبحث في حقيقته، وفي الحديث عن الشرق وحضارته بما يمليه عليه فكرهم وبما توحي إليه مشارعهم صدقاً أو كذباً، وهذا مايقره نظام الوصايا أو الانتداب المستمد من النظم العسكرية والاستعمارية المعتمدة على أغتصاب الحق وإنكساره)[3].

تعددَّ الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم، فكانت أهم الاعمال والجهود التي بذلوها حول الدراسات القرآنية تدور حول الموضوعات التالية بحسب أهميتها عندهم أو بحسب ما أنتجوه فيها[4]:

---

[1] ينظر: دوجلاس ليتل، الاستشراق الامريكي، ص17 وما بعدها.

[2] عبد الله خضر حمد، القرآن الكريم شبهات المستشرقين – قراءة نقدية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019، ص42.

[3] Edward Said , Orientalism , Keganpaul , London, 1980, p.6.

[4] محمد حسين الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، ط1، دار المؤرخ العربي، بيروت، 2012م، ص7.

- تأريخ القرآن الكريم، وكل ما يتعلق بأسباب نزوله، وتأريخ سوره، مكية ومدنية، وقراءاته ولهجاته، وكتابته وتدوينه، وما دار في هذا الفلك من رآي أو فكرة أو نظرية.
- ترجمة القرآن الى مختلف اللغات العالمية والألسن الحيّة، ترجمة حرفية أو تفسيرية أو لغوية جزئية وكلية.
- نشر ما كتب عن القرآن الكريم وما ألف فيه، وتحقيق النصوص القديمة في آثاره، والتدوين والفهرسة بمختلف الأصناف.

بعد هذا كانت هنالك البحوث العامة، والدراسات المتنوعة التي تنبثق عن القرآن الكريم وعلومه وفنونه وبلاغته، ومسايرته للحياة في الفن والفلسفة والاجتماع فكانت أداة صالحة للدراسات الموضوعية الجادة.

جاء اهتمام الولايات المتحدة بالدراسات القرآنية متأخراً عن الدراسات الاوروبية وهو أمر بديهي فهذه البلاد كانت تنازع داخلياً وخارجياً لتأسيس دولة مستقلة ذاتياً وموحدة داخلياً وذات سيادة عالمية ولهذا فأن الاهتمام بهذا المجال مر بمراحل عدة تزامنت وتداخلت مع نشأة الاستشراق الامريكي بصورة عامة، وكانت البداية الاولى للاتجاه نحو الدراسات القرآنية عندما أنشأت الولايات المتحدة الامريكية الجامعة الامريكية في بيروت عام 1866، وأطلق عليها في ذلك الوقت (الكلية البروتستانية السورية)، أسسها الداعية الامريكي دانيال بليس (1823-1916م) وكان هو أول رئيس لها، ثم تطورت الكلية الى جامعة عام 1920م وسميت الجامعة الامريكية في

بيروت وتم جمع التبرعات في الولايات المتحدة الامريكية لغرض هذه التوسعة وتحولها من المدرسة الكلية الى الجامعة[1].

اما المفردات التي اعتمدتها الكلية في سنتها الاولى (1866-1867م) يشمل (اللغة العربية والانكليزية والفرنسية والتركية واللاتينية، ثم الرياضيات وتاريخ العرب القديم وتاريخ الديانات والتوراة)، ثم تطورت بعد ذلك وأفتتحت العديد من الكليات العلمية كالطب والعلوم والفنون والزراعة والهندسة والعمارة وادارة الاعمال. كما أنشأة لها فرع آخر في القاهرة عام 1919 م.

أن انشاء جامعة من التبرعات الامريكية في الشرق الاوسط في وقت كانت امريكا في مرحلة الحرب الاهلية واعادة بناء الدولة (1850-1877م) يلزمنا ان نقف قليلاً حول الغاية التي أنشأت من أجلها هذه المؤسسة التعليمية خاصة وأن مؤسسها هو داعية ومبشر امريكي، وبمنهاج يتضمن دراسة الاسلام والاديان الاخرى واللغة العربية، فلابد ان تكون الفكرة من وراء ذلك هو التغلغل الى العالم الاسلامي ولكن بأسلوب ومنهج جديد يختلف عن الاساليب الاوروبية السابقة، وليكون مركزاً لبث الافكار وتبني نظريات الغرب حول الاسلام في المنطقة.

ثم بدء هذا النشاط يتطور تدريجياً ويتقدم نحو الدراسات القرآنية، ففي عام 1921م بدء شارل واتسون C.watson، (وهو اول رئيس للجامعة الامريكية في القاهرة والذي كان من ضمن اعضاء الارسالية لكنيسة امريكا الشمالية المشيخية الموحدة ، كما كان والده سابقاً في البدء)، بالبحث في القرآن الكريم وانتدب لهذا العمل المستشرق ذات الاصول الاسترالية آرثر جيفري A.Jeffery (1892-

---

[1] الجامعة الامريكية في بيروت مقال منشور على موقع المعرفة www.marefa.org؛ الجامعة الامريكية في بيروت مقال منشور على موقع .www.wikipedia.org

1959م)، والذي كان في ذلك الوقت يدّرس في كلية مدراس المسيحية في الهند، وعلى الرغم من كونه غير معروف في دوائر الدراسات الاسلامية الغربية، ففي هذه الفترة كان لايزال شاباً ولديه شهادة ماجستير وكانت المدرسة بحاجة الى خدمات مستشرق كفء يتمتع بوضع أستاذ [1]. الا أنه لم يكن لديه خبرة في الدراسات الاسلامية فلم تسجل له اباحث سابقة حول هذا الموضوع، لكن أختيار شارل واطسن له كان يعتمد فيه على ما كان يتميز به من نشاط وذكاء في سعيه العلمي فلم يقف ذلك حجر عثرة في تنفيذ مهمته وربما أستعان ببعض المستشرقين ممن كان يتواجد في مصر، وبلاد الشام والمهتمين بالدراسات القرآنية كأمثال المستشرق الالماني بيرجشتراسر (ت1932) [2]، ونحن نعلم مدى تفوق الألمان وسبقهم في مجال الاستشراق عامة والدراسات القرآنية خاصة، أضافة الى وجود العديد من الشخصيات ضمن طاقم الجامعة الامريكية من نجوم الاستشراق التنصيري البروتستاني مثل صمويل زويمر، وإريرل إلدر، وكانون تمبل جاردنر، مما ساعد آرثر جيفري في أقتحام مجال الدراسة حول القرآن الكريم، وكتب حول ذلك العديد من البحوث والدراسات وأصدر المؤلفات وحقق بعض المصادر الاسلامية التي تناولت القرآن الكريم ومنها نشره كتاب (المصاحف) للسجستاني (مؤسسة دي خويه، ج11، ليدن 1937م) [3]؛ وكتاب (دراسة عن مختصر شواذ القراءات) لأبن خاوليه، بتحقيقه، نشر في مجلة الدراسات الاسلامية عام 1938م[4]،

---

(1) Grant, Frederick C., the Muslim World, Volume 50, 1960, pp.230-247.

(2) ينظر: عن بيرجشتراسر ونشاطه في الاستشراق القرآني وزيارته لمصر، ناصر بن محمد بن عثمان منيع، المستشرق الالماني بيرجيشتراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، بحث منشور في مجلة العلوم التربوية والدراسات الاسلامية، جامعة الملك سعود، الرياض، م22، 1431هـ/ 2010م، ص127-166.

(3) نجيب العقيقي، المستشرقين، ط3، دار المعارف، مصر، 1964م، ج3، ص1013.

(4) نجيب العقيقي، المستشرقين، ج3، ص1013 ؛ عمر ابراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (دراسة ونقد)، دار طيبة، الرياض، د/ت، ج1، ص143.

كما كتب عن نصوص القرآن الكريم وقراءاته عدة دراسات جاءت تحت عنوان (القرآن) في السنوات 1924 نشر مجلة عالم الاسلام الامريكية وسنة 1924، ايضاً نشرتها الصحيفة الامريكية للغات والآداب السامية، وله أيضاً نصوص من القرآن نشر مجلة عالم الاسلام، عام 1935م [1]. وتحقيق مقدمتان في علوم القرآن لأبن عطية ومؤلف مجهول نشر مؤسسة دي غويه عام 1937، وقراءة زيد بن علي، نشر مجلة الدراسات الشرقية في عامي 1937 و 1940 [2]. كان النقد النصي للقرآن الكريم أحد اهتماماته الرئيسية واستمر في العمل به طوال حياته المهنية، وأول عمل له في هذا المجال هو مواد لتاريخ نص القرآن الكريم المنشور في ليدن عام 1937، وأعقب ذلك في عام 1938م، المفردات الأجنبية للقرآن التي نشرها المعهد الشرقي بارودا، الهند، استندت كلتا الدراستان على العمل الذي قام به لأطروحة الدكتوراه[3]، اذ اصبحت هذه المواضيع في أختصاصه التي أرست الاساس لعمله اللاحق والأوسع نطاقاً في جامعة كولومبيا التي ألتحق إليها بسبب الظروف الصعبة التي سبقت قيام الحرب العالمية الثانية (1939-1945) م وآثرها على الشرق الاوسط مما جعلته يغادر القاهرة والجامعة الامريكية فيها عام 1938م، الى غير رجعة ليشغل كرئيس لغات الشرق الادنى والشرق الاوسط في كلية اللاهوت التابعة الى جامعة كولومبيا [4]، واستمر آثر

[1] نجيب العقيقي، المستشرقون، ج3، ص13 ؛ عمر ابراهيم رضوان، آراء المستشرقين، ج1، ص228.

[2] نجيب العقيقي، المستشرقون، ج3، ص1013 ؛ علي ابراهيم رضوان، آراء المستشرقون، ص221، 224.

[3] Grant, Frederick,C, ARTHUR JEFFFRY- ATRIBUTE, v.50,pp.230-247 .

في عام 1929 م حصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الخاصة من جامعة ادنبره وتبع ذلك دكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف عام 1938.

[4]Grant, Frederick,C, ARTHUR JEFFFRY- ATRIBUTE, v.50,pp.230-247.

جيفري في اصدار مؤلفاته حول القرآن الكريم فكان له كتاب (طريقة كتابة القرآن في سمرقند)، نشر الصحيفة الامريكية الشرقية عام 1942م، وله كتاب القرآن ايضاً نشر عالم الاسلام عام 1950 [1]، وله ايضاً مؤلفات حول الاسلام بدراسات مختلفة. ونظراً لما يتمتع به جيفري من خصائص علمية عمل على تطويرها خلال مسيرة حياته العلمية من خلال أتقانه العديد من اللغات المحلية اثناء تواجده بالهند، وبعد التحاقه بالجامعة الامريكية بالقاهرة صارت لغات الشرق الادنى في مجال عمله ودراسته، جعلته هذه في المرتبة الأولى من المستشرقين الغربيين، ولهذا نرى اسلوبه صب في النقد النصي للقرآن الكريم واستمر العمل فيه طوال حياته المهنية، لقد قدم آرثر جيفري اسهامات علمية جديره بالاهتمام، فقد كان مخلصاً للمشروع التبشيري ولرسالته فيها هدف مسيحي وكيف لا وقد درس اللاهوت واستحصل فيه على شهادة الدكتوراه. فالدين عنده أكثر بكثير من الدراسة الاكاديمية خاصة للأدب المقدس (بشكل رئيسي الكتاب المقدس والقرآن الكريم)، والتاريخ الديني (خاصة الاسلام والمسيحية)، أو تحليل المفاهيم اللاهويتة[2] .

وبهذا فأن أرثر جيفري هو أحد المؤسسين للدراسات القرآنية في الولايات المتحدة وأن كان آرثر جيفري يمثل نواة الدراسات القرآنية التي انطلقت منها الولايات المتحدة للتعرض لنصوص القرآن الكريم وتحليله وعرض مادته بشكل الذي يعكس وجهة نظر المسيحية التبشيرية، الا أن الكتابات بهذا المفهوم او في الجوانب السلبية التي أساءت الى القرآن الكريم استمرت لدى العديد من المستشرقين كما فعل جوهان شارب في كتابه (القرآن : كلمة الله أم خداع الشيطان) عام 2011م في الطعن والتشكيك في

---

(1) نجيب العقيقي، المستشرقون، ج3، ص1013 ؛ علي ابراهيم رضوان، آراء المستشرقون، ص222.

(2) Grant, Fredevick C., ARTHIR JEFFFRY-ATRIBUTE,U.50,pp.230-247.

مصداقية القران الكريم، غير أننا نلحظ على من تناول دراسة القرآن الكريم بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 م، لم تكن تصب في الجوانب السلبية كلها بل ظهر منعطفاً جديداً في شكل ومحتوى هذه الدراسات، ذلك الحدث الذي هز الولايات المتحدة الامريكية جعل العديد من علمائها ومواطنيها يبحثون عن الدين الاسلامي وكتابه المقدس (القرآن الكريم) وما جاء به من أشارات تجاه الشعوب الاخرى وكيفية التعامل معها هل كان حقيقياً ان يسلح القرآن الكريم مسلميه بالعنف والارهاب لنشر تعاليمه ودينه أم هي مجرد أفتراءات وأكاذيب لفقها من يضمر العداوة لهذا الدين فجاء بعض المستشرقين برؤية غربية ايجابية في دراستهم للقرآن الكريم ومنهم الدكتور بروس لورانس [1]، الذي تبوء العديد من المناصب العلمية والادارية في الجامعات والمراكز البحثية الامريكية. وله مكانة مرموقة في وسطه العلمي والاكاديمي، ففي عام 2008م كتب كتابه (القرآن الذي غير العالم) (The Quran Changed the World)، وصف فيه القرآن الكريم بأنه وجه الناس لأكثر من أربعة عشر قرناً المسلمين وغير المسلمين وعندما سأله الدكتور عبد الرحمن ابو مجد في حوار خاص عن ذلك فأجابه : (أعتقد بأن القرآن شغل غير المسلمين لأسباب مختلفة أولاً: أنفعالي جداً لعالمية نصه وعالمية مفاهيمه، أما الشكاكون الذين يشككون في أي دين، أو

[1] هو بروس نيت لورانس، حصل على درجة الدكتوراه في (تاريخ الاديان الاسلام والهندوسية) من جامعة ييل عام 1972، عمل استاذاً مساعداً بقسم الاديان بجامعة ديوك، واستاذ مشاركاً في الجامعة نفسها ورئيس قسم الاديان سنوات مختلفة ومدير مساعد لمؤسسة روكفللر عن الاسلام في ضوء شرق آسيا والعالم الاسلامي كله. واصبح عام 1996م رئيساً لقسم الاديان بجامعة ديوك وغيرها من المناصب التي شغلها والعضويات في أكاديميات أمريكية مختلفة تختص بالاديان كما حصل على منح وجوائز علمية وزمالات من معاهد أمريكية كما له مؤلفات عديدة ومقالة منشورة على موقع آفاق بتاريخ 2 يوليو 2012.ينظر عبد الرحمن ابو المجد، الدراسات الاستشراقية في خدمة القرآن الكريم، مقال منشور على شبكة الالوحة الالكترونية بتاريخ 2013/4/21 . wwalukah.net

المتطرفون في أيمانهم تجاه الآخر الذين يريدون ذبح صفحاته وكلماته ورسائله، لدحض الرسالة، وإثارة الشك حول النبي محمد كرسول الله الموثوق والأخير من ناحية آخرى كان هناك أولئك الذين ظلوا خارج الاسلام) [1].

وذكر أيضاً (يثبت الكثير من الناس بأن القرآن إما كتاب للقراءة أو للرسالة التي ستقرأ، أعتقد بأنه كلاهما كتاب ورسالة، بل أنه أيضاً أكثر من ذلك، إنه رمز الشفقة التدريسية التي تشتغل بما يعد الاحاسيس، أو الفكر البشري) [2].

أما البوفيسور والتر واغنر أستاذ التاريخ والدراسات الاسلامية في كلية مورافيا اللاهوتية، ومؤلف لعدد من الكتب منها كتاب (أفتحو القرآن) عام 2008م، يهدف في كتابه هذا الى تعريف غير المسلمين بالافكار الرئيسية في القرآن الكريم.

وصف والتر واغنر القرآن الكريم بأنه (كتاب يتحدث فيه الله بوضوح يصرح عن ذاته وعن القرآن نفسه، وعن العالم والانسانية كما يقول علماء الدين المسلمين، يمكن ان تعرف الله من خلال القرآن كتاب الله، كتاب مثير يحتوي على الطبيعة وهيكل الانسان الاساسية – الفطرية – والكتب التي أنزلها لرسل الله) [3].

---

[1] عيد الرحمن ابو المجد، الدراسات الاستشراقية في خدمة القرآن الكريم، مقال منشور على شبكة الالوحة الالكترونية بتاريخ 2013/4/21 . wwalukah.net

[2] عيد الرحمن ابو المجد، الدراسات الاستشراقية في خدمة القرآن الكريم، مقال منشور على شبكة الالوحة الالكترونية بتاريخ 2013/4/21 . wwalukah.net

[3] عبد الرحمن أبو المجد، والتر واغنر: القرآن أكمل كتب الله المقدسة، وصوت الله لكل البشرية، حوار خاص على شبكة الالوكة الالكتورنية نشر بتاريخ 2013/2/10 الموقع:

www.alukah.net.

يبدو أن افكار والتر وماكتبه عن القرآن الكريم قد حرك عليه حملة عاصفه تحاول النيل منه بشكل مستفز ووقح حيث قال (أعتبروني خائناً، وزنديقاً، ومخادعاً، وشيطانياً، وأحمق أولئك الذين لايرغبون في فتح كتابي أو فتح عقولهم)[1] .

أما المستشرق فيليب جينكيز[2] أستاذ التاريخ بجامعة بايلور، والمدير المشارك لبرنامج بايلور للدراسات التاريخية في الدين في معهد الدراسات الدينية وله مكانه متميزة علمية وادارية وصحفية فإنه يحرر ويكتب عموداً شهرياً في صحيفة الكريستيان سنتشري ويكتب أيضاً مقالات متنوعة في معظم الصحف الامريكية. وقد ألف كتابه قارة الرب المسيحية، الاسلام (وأزمة الدين في أوروبا) عام 2008م ، عالج المؤلف الكتاب (من وجهة نظر مسيحية مخلصة تحاول الدفاع عن مصالح المسيحية دون الوقوع في فخ التشدد مثل الكتّاب اليمنيين المتشددين الذين يصورون الاسلام والمسلمين على أنهم خطر قائم ودائم أو في فخ التفريط الذي يمثله من يتعاطف مع الاسلام وينسى المسيحية ويدافع عن مسلمي أوربا ويهاجم المسيحين المتدينيين ويتغاضى عن مشاعر الجماهير الاوروبية التي كانت ومازالت تشعر بهويتها المسحية كما يرى الكاتب) [3]. وتعرض فيه الى بعض ماورد في القرآن الكريم؛ خاصة حول موضوع الحروب التي ورد ذكرها في النص القرآني قائلاً: (أود شرح كيف جاء كتابي، بعد هجمات 11 سبتمبر زعم كثير من الناس في الغرب أن الارهاب والقتل الجماعي جزء اساسي في الاسلام ولقد درست العنف في الكتب المقدسة، وتبين لي أن بعض الآيات القرآنية تتحدث

[1] عبد الرحمن ابو المجد، والتر واغنر، حوار منشور على شبكة الالوكه الإلكترونية بتاريخ 2013/2/10 www.alukah.net

[2] عبد الرحمن ابو المجد، فيليب جينكيز في حوار خاص في القرآن والكتاب المقدس، منشور على شبكة الالوكة الالكترونية بتاريخ 2012/12/13م.

[3] دنيا عبد العليم، كتاب جديد يتناول علاقة المسيحية بالاسام في أوربا، مقال منشور في جريدة اليوم السابع الإلكترونية نشر بتاريخ 2008/11/20م،على الموقع:www.alukah.net .

عن العنف والحرب، وصح أيضاً أن الكتاب المقدس به نصوص أكثر دموية، قادت المسيحين واليهود الى ارتكاب أبشع مجازر الابادة في التاريخ حتى اشتكى بعض المسيحيين واليهود عندما وضحت نتائج البحوث في مقالاتي، وقاموا بنفي ماذكرته، وبالرغم من أن النصوص الصريحة التي تحدث عن حروب الابادة ماتزال موجودة ولايمكن نكرانها)[1]. وفي مقابله معه على الاذاعة الوطنية العامة الامريكية عام 2010 م، قال جينكيز (أن العنف الدموي في القرآن أقل بكثير من دموية الكتاب المقدس، وأن القرآن أقل عنفاً من الكتاب المقدس، إذ تدعو التعليمات الصريحة الواضحة في العهد القديم الى الحرب، بأعتبارها حرب إبادة جماعية في حين أن القرآن لايدعو الى الحرب، وإذا اضطرته الظروف إليها، فهي لاتكون إلا حرباً دفاعية)[2].

قدم البرفسور كارل إرنست[3] وهو أحد المتخصِّصين في مجال الدراسات الإسلامية كتاباً جديراً بالاهتمام حول القرآن الكريم بعنوان (كيفيَّة قراءة القرآن: دليل جديد مع الترجمات المختارة)

" How to Read the Qur’an:A New Guide, with Select Translations".

---

(1) عبد الرحمن أبو المجد، فيليب جينكينز في حوار خاص عن الحروب في القرآن والكتاب المقدس، مقال منشور بتاريخ 2012/12/13 على شبكة الالوكة الالكترونية الموقع : www.alukah.net

(2) عبد الرحمن أبو مجد، فيليب جينكينز في حوار خاص عن الحروب في القرآن والكتاب المقدس.

(3) حيث ينصبُّ تركيزه على العرب وجنوب آسيا، بدراسة ثلاثة مجالات؛ هي: القضايا العامة والنقديَّة في الدراسات الإسلامية، وصوفية ما قبل الحداثة والصوفية المعاصرة، والثقافة الهندية الإسلامية، وحصدت اعماله العديد من الجوائز وشارك بور لورنس في تاليف (سلسلة الحضارة الإسلامية والأنظمة الإسلامية) ويتردد بشكل منتظم على دول الخليج وتركيا وايران وجنوب شرق اسيا وفي الوقت الحالي انضم إلى قائمة الأساتذة المميزين لدى مؤسسة وليام آر كينان، جيه آر (2005)، وأصبح المديرَ المشارِكَ في إدارة مركز كارولينا لدراسة الشَّرق الأوسط والحضارة الإسلامية ينظر،عبد الرحمن أبو المجد، في حوار خاص مع كارل أرنست حول كيف تقرأ القرآن مقال منشور بتاريخ 4/5/ 2015م على شبكة الالوكة الالكترونية .www.alukah.net

تناول فيه قراءة القرآن الكريم وترجمته بدراسه علمية قال عنها: (إن التعرُّف على المزايا البِنيَوية للقرآن يجعل التعرف بشكل أفضل على أسباب ترتيبه بهذه الطريقة أمرًا ممكناً، كما أن التعامل مع السورة على أنها وحدة أدبية تتَّسم بالوحدة العضوية والتماسك يوضِّح أن القرآن ليس مجرَّد مجموعة من الآيات المرتبة ترتيبًا عشوائيًّا)[1]. وبالتأكيد فأن اعماله هي الاخرى هوجمت من قبل الذين يرفضون مثل هذه الدراسات.

اما أحدث هذه الدراسات ما كتبه الكاتب الامريكي والبريطاني الاصل اندرو سوليفان، كان رئيس مجلة New Republic وهو محرر ومعلق وسياسي ومدون ، يكتب حول كثير من القضايا السياسية وكذلك الثقافية والمجتمع ، كما أنه حل ضيفاً على العديد من البرامج الاخبارية والتلفزيونية في الولايات المتحدة وأوروبا كما أنه متحدث في الجامعات والكليات والمنظمات المدنية في الولايات المتحدة، وفي 6 حزيران 2012 كتب مقالاً مثيراً في الديلي بيست (بأن القرآن كتاب جيد)، ألا أنه أثار فيه من يقف ضد القرآن الكريم والاسلام بصورة عامة.

جاءت هذه الدراسات الاخيرة لتثبيت أن مهما كانت محاولات الغرب للنيل من القرآن الكريم والاسلام واستغلال الاحداث التي يتعرضون لها من الارهاب للطعن والتشويه ضد الاسلام والمسلمين فأن صوت الحق لابد أن يظهر وعلى لسان حالهم وعلمائهم، ونحن نقول أن من بذر الارهاب وغذاه هو الغرب في كتاباتهم وابحاثهم غير المنصفة حول الاسلام والعرب وتاريخ الشرق الاوسط والعمل على ايجاد بؤر ارهابية تعمل تحت غطاء الدين الاسلامي لتكون واقع يحاكي ادعائاتهم في تزيف الحقائق.

---

[1] عبد الرحمن أبو المجد، في حوار خاص مع كارل أرنست حول كيف تقرأ القرآن مقال منشور بتاريخ 4/5/ 2015م على شبكة الالوكة الالكترونية .www.alukah.net

الدراسات القرآنية والمؤسسة العلمية في الولايات المتحدة الامريكية.

ان الاهتمام بالدراسات القرآنية من قبل علماء وباحثين في الجامعات الامريكية ومراكزها البحثيه رافق نشأة الدراسات الاستشراقية فيها فقد أفتتحت بعض الجامعات الامريكية مراكز للدراسات الاسلامية كانت دراسة القرآن الكريم من ضمنها في فترات معينة وأقدم هذه الجامعات التي أسست فيها الدراسات الاسلامية هي جامعة شيكاغو إذ أفتتحت عام 1950م الدراسات الاسلامية فيها الذي كان يطغى عليها التاريخ والحضارة غير أنه سنة 1968م افتتحت التخصص في الدراسات القرآنية واوكلت ادراته الى الدكتور فضل الرحمن وهو باكستاني الاصل واجه معارضة من علماء باكستان لتوجهه (الحداثي) في دراسة الاسلام في معهد اسلام آباد فقرر الرجوع الى أمريكا التي حصل فيها مسبقاً على شهادته في الدكتوراه حول فلسفة ابن سينا عام 1951م، وعند رجوعه لأمريكا عين بهذه الوظيفة من سنة 1969 م الى تقاعده 1984 منتدبا نفسه للترويج لفهمه الحداثي للقرآن الكريم.

أحدث الجامعات الامريكية التي تهتم بالقرآن الكريم اليوم هي جامعة نوتردام وهي جامعة كاثوليكية في الاصل[1] وهي ألان تقيم الندوات والمؤتمرات الدولية حول موضوعها الذي تكرره دائماً (القرآن والتراث اليهودي النصراني).

كما أن هناك العديد من الجمعيات المهتمه بالدراسات القرآنية وأشهرها اليوم (الجمعية الدولية للدراسات القرآنية) والتي هي جزء من الجمعية الام (جمعية أدب الكتاب المقدس) المسيحية وتهتم بالبحث عن جذور القرآن الكريم في التراث الديني اليهودي المسيحية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وقد اعلنت في عام 2014 م، انطلاق مجلة الجمعية الذي سيصدر عددها مرتين في السنة ابتداءاً من الربع الاول عام

---

[1] مازن مطبقاني، بحوث في الاستشراق الامريكي المعاصر،ط1، 1999م/ 1420هـ،ص39.

2016م. وذكرت الجمعية ان سبب اصدارها للمجلة يعود الى تضاعف الدراسات المهتمة بالقرآن الكريم في الغرب، ومحاورها ينصب في اتجاهين هما : التاريخ (النقدي) للقرآن الكريم والدراسات الادبية للقرآن الكريم ، أضافة الى اهتماماتها بالدراسات حول جذور القرآن الكريم وعلاقته بالتراث الديني السابق ومناهج تأويله وترجمته قديماً وحديثاً وطرق نقل المصحف في ضوء علم الفيلولوجيا وتاريخ النصوص.

أما أهم مجلة مهتمة بالدراسات الاسلامية وتعد من اوائل المجلات ولازالت مستمرة هي مجلة (عالم الاسلام) التي صدرت تحت اشراف صمويل زويمر أكبر مبشر في الشرق الاوسط واليه تأسست في بريطانيا عام 1911م، وكانت شديدة العداء للاسلام والان تصدر من معهد هارتفورد اللاهوتي بأمريكا في ولاية كنديكت، وحالياً تحاول ان تظهر بأنها اكثر حيادية تجاه الاسلام [1].

أن هذه النماذج من المؤسسات العلمية والاكاديمية ليست الوحيدة في الولايات المتحدة الامريكية فبعد احداث الحادي عشر من سبتمبر أصبح الاسلام وكتابه المقدس يجذب العديد من الجامعات والمؤسسات والمراكز البحثية التي تدعم الدراسات الاسلامية ومن ضمنها دراسة القرآن الكريم كما أن الاتجاهات الفكرية لدراسة القرآن الكريم أخذت منحنى جديد في الاشارة الى آيات القرآن الكريم بشكل أيجابي ومنصف الغرض عنه هو دراسة علمية بعيدة عن الاغراض الاستعمارية والتعصب الديني الأعمى الذي لايرى الصواب الا فيما يؤمن به هو.

---

[1] ينظر: مازن مطيفائي، بحوث في استشراق الارميكي المعاصر، ص40؛ عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الاصول العقدية في الاسلام، ط1 ، مطبعة العبيكان، الرياض ، 2001 / 1422هـ، ص38.

4

الفضائح المالية في عهد الرئيس الامريكي وارن ج. هاردينگ

أ.م.د. ايناس سعدي عبدالله
التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

رئاسة وارن غاماليل هاردينگ(4 اذار 1921-2 اب 1923).

كان قد مر على انتهاء الحرب العالمية الأولى اكثر من عامين، كما تم رفض معاهدة ڤرساي من قبل مجلس الشيوخ الأمريكي، وظلت حالة الحرب بين الولايات المتحدة والمانيا قائمة من الناحية النفسية، ومرت البلاد بأوضاع اقتصادية صعبة، وارتفعت مستويات المعيشة[1].

في صيف 1920 اجتمعت مؤتمرات الاحزاب لانتخاب المرشحين للرئاسة، واستقر الديمقراطيون على ترشيح جيمس كوكس، في حين رشح الحزب الجمهوري وارن هاردينگ(Warren Gamaliel Harding) للرئاسة الذي تقدم ببرنامج يدعو الى تعديلات في الحياة السياسية والاقتصادية التي شهدتها البلاد ما بين 1918-1920، ووجدت هذه التوجيهات ترحيباً لدى العديد من الامريكيين الذين وقفوا عند مفترق الطريق بين الجمهوريين والديموقراطيين؛ كما ساند الرأسماليين ترشيح هاردينگ ، وكانوا راضين كل الرضا عن كفاءاته كرئيس. وكان انضمام الولايات المتحدة لعصبة الامم هو الموضوع الاهم للأمريكيين، وكان هاردينگ يسير في طريق العزلة، وبالوقت نفسه لم يرفض العصبة كلياً وإنما تقدم بفكرة "منتدى الأمم" ولكن من دون أن يحدد معالمه؛ أما الديمقراطيون فإن مرشحهم تمسك بالعصبة. وكان الاتجاه العام في الولايات المتحدة نحو الجمهوريين، فالديمقراطيون حكموا البلاد لمدة 8 أعوام، كما أنهم شهدوا تطورات الحرب وتحملوا مشاكلها، أضف إلى

1) Fredrick Lewis Allan, Only Yesterday: An Informal History of The 1920s,(New York,2000),P.107.

ذلك أن الرئيس الامريكي السابق ودرو ولسن(Woodrow Wilson) كان مريضاً وغير قادر على إدارة الرئاسة، والديمقراطيين كانوا منقسمين، وعندما فاز هاردينگ بنسبة 60.33% من الأصوات في تشرين الثاني 1920، اعتقد الكثيرون أن الناخبين صوتوا ضد العصبة، وبذلك لاحت آفاق التشديد على القومية الامريكية، وعاد شعار أمريكا للأمريكيين وحدهم وإليهم فقط يعود رخاؤها[1].

ادى هاردينگ اليمين الدستوري في 4 اذار 1921 بعد فوزه في الانتخابات الرئاسية[2]،واختار كل من المحامي تشارلز ايڤانز هيوز(Charles Evans Hughes) وزيراً للخارجية وهو محامٍ شهير في نيويورك(New York) وكان يروج مصالح الولايات المتحدة في الخارج؛ وبعد ان رفض تشارلز جي. داوز(Charles D. Dawes) منصب وزير الخزانة، عين هاردينگ المصرفي اندرو ميلون(Andrew W. Mellon) من بتيسبرگ(Pittsburg)، وزيراً لهذه الوزارة، وهو احد الاثرياء في الولايات المتحدة، وكان يقود تروست الالمونيوم ويسيطر على امبراطورية خاصة تتألف من ابار للنفط ومن مناجم للفحم ومصانع للفولاذ ومؤسسات للخدمات العامة ومصارف؛ وقد اراد هذا توسيع الاعمال الاقتصادية عن طريق اقناع الكونگرس بتخفيض الضرائب عن ذوي الدخل العالي؛ وفي الوقت نفسه اكد ميلون على الاقتصاد في النفقات الحكومية، فهبطت الديون القومية كثيراً. كما عين هاردينگ هيربرت هوڤر(Herbert Hoover) وزيراً للتجارة، وهو الرئيس القديم لمنظمة العون الامريكية، وكان قد جمع ثروة هائلة قبل الحرب باحتكاره الاسهم غير المستقرة للمناجم النائية، وقد شجع هوڤر المشاريع الصغيرة، والتجارة الخارجية؛ اما وزير الزراعة فكان هنري والاسي الذي حث الكونگرس على تشريع قوانين لفائدة المزارعين في

---

[1]) فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة، التاريخ الاوربي الحديث 1815-1939،(بغداد: مطبعة التعليم العالي،1982)،ص261؛البير كان، الخيانة العظمى، ترجمة: احمد غريبة،(بيروت: منشورات مكتبة العارف، بلا. ت)،ص88، 89.

[2]) Jim Bendat, Democracy's Big Day,(New York,2004),P.108; James K. Libbey, Alben Barkley: A Life in Politics, (Kentuck,2016),P.108;

وسط وغربي الولايات المتحدة عن طريق تقديم القروض للمزارعين الفقراء، وتنظيم تبادل البضائع والمواشي وتشجيع التعاونيات الزراعية. وكان المدعي العام[1] هاري م. دوگيرتي(Harry M. Daugherty)، المستشار السياسي والصديق العزيز جداً على قلب هاردينگ؛ وقد عمل على تشريع قوانين تساعد شركات السكك الحديدية واصحاب المناجم، وحدد المهاجرين الى الولايات المتحدة بـ 164.000 مهاجر سنوياً على ان يكون اغلبهم من اوروپا الغربية مثل بريطانيا، والمانيا، والبلاد الاسكندناڤية؛ ومنع الهجرة من الشرق الاقصى. ونتيجة للسياسة الاقتصادية الجديدة عاد الرخاء الى الولايات المتحدة. وكان وزير الحربية جون يو. ويكس، عضو مجلس الشيوخ السابق عن ولاية ماساشوست وعضو شركة تدعى هورن باوور اندويك دي بوسطن. كما عين هاردينگ البرت بيكون فال(Albert Bacon Fall) عضو مجلس الشيوخ السابق عن ولاية مكسيك الجديدة، والذي كانت له، على اعتباره محاميا ورجل سياسة، صلات وثيقة سرية مع بعض من ملوك النفط. واخيراً، عين وزير البريد، ويل هايس، وهو الرئيس القديم للجنة الوطنية للحزب الجمهوري والمستشار الاول لشركة سنكليراويل كومباني[2].

كانت السياسة الداخلية لحكومة هاردينگ تتلخص بما يلي: الغاء الضريبة على الدخل وعلى التركات، والغاء المكوس المفروضة على الارباح الخارقة الارتفاع التي يحققها ارباب

---

[1]) المدعي العام للولايات المتحدة(United States Attorney General) يتم تعيينه من قبل الرئيس الامريكي لرئاسة وزارة العدل الامريكية(United State Department of Justice). انظر:

David S. Clark, Encyclopedia of Law and Society: American and Global Perspective, F.O,(California,2007),P.672.

[2]) A School of Liberal Arts and Science, The World Almanac and Book of Facts, (New York, 1938),P.377; Eugene P. Trani and David L. Wilson, The Presidency Warreng G. Harding,(Kansas,1977),P.38-39; Scott L. Bills and E. Timothy Smith(editors), The Romance of History: Essays Honor of Lawrence S. Kaplan,(Ohio,1997),P.76; Jan Goldberg, The Department of Commerce,(New York, 2006),P.15.

محمد محمد صالح واخرون، الدول الكبرى بين الحربين العالميتين 1914-1945،(بغداد: مطبعة التعليم العالي،1984)،ص232؛ كان، الخيانة العظمى،ص88-89.

العمل. ولم تبقَ الضرائب على حاجات الترف التي يشتريها الاغنياء هي التي تستعمل من اجل تغطية نفقات الدولة، بل تلك التي تفرض على المنتجات العادية التي تشتريها جماهير الناس. ولقد عاد بالبلاد الامر عمليا، الى جهاز "الامتيازات الجائرة"، والاعانات والمكافآت الممنوحة بموجب قانون هاملتون–وبستر ماك كنيلي بصالح الصناعة الكبرى والبحرية والتجارية...ولم تبقَ الاعمال تحظى باهتمام الحكومة .اذن وفق ذلك ليس هناك من علاقات رسمية بتجار السوق السوداء وبالمتلاعبين والمحتكرين، وليس هناك كذلك من مجهودات تبذل من اجل محاولة تطبيق لأسعار محدودة، او اقامة "جهاز" من الرقابة، ويقابل ذاك تراخ كامل في الضغط الشديد المفروض على السكك الحديدية. وكان اندرو ميلون، وزير المالية، الذي كان هو نفسه يملك ثروة اسطورية، والذي كان يطلق عليه اعضاء الوزارة الاخرون لقب "العم اندي"، وقد صرح قائلاً: "كلنا يعرف ان الرجل النشيط الهمام يستطيع الحصول على كل ما يريده في هذا الحياة... ولكن اذا ما واجه اندفاعه الذاتي جهازا من قوانين وضرائب تجمد حركاته وتسلبه الحق في المساس بحصة معقولة من ارباحه، يقلع عندها عن القيام بأي نشاط ...." .وفي الاجتماع السابع والستين للكونگرس، اصر ميلون على المطالبة بإلغاء قانون عام 1917 المتعلق بالأرباح العالية، وتم له ما اراد. وكان الغاء هذا القانون يعني توفيرا في الضرائب قدره مليار وخمسمائة مليون دولار تحققه المؤسسات الكبرى، ويصيب اندرو ميلون منه، فيمن يصيب، مليون دولار في السنة على مختلف امواله الموظفة[1].

كانت السياسة الخارجية لحكومة هاردينگ ، تسير وفقا لشعار "اميركا اولا" وفقا لنصيحة دوگرتي، وكانت هذه السياسة الخارجية تستند حسب وولتر ليمان الذي كان عندها محررا في الـ نيويورك وورلد الى المفاهيم التالية: "ان مصير اميركا مرتبط بشكل جدي بمصير اوروپا، وعلى اوروبا ان تحك جلدها بظفرها، فبمقدورنا ان نبيع منتوجاتنا الى اوروپا دون ان نشتري منها شيئاً...وفيما اذا لم يرق ذلك لـ اوروبا، فلتقله، ولكنها عندها تكون على خطأ

[1]) كان، الخيانة العظمى،ص91-92.

كامل". وكان الرئيس هاردينگ ، يعلن باسم اميركا ما يلي: "ليحلم الاميون ما طاب لهم من الحلم، وليخرب الشيوعيون ما طاب لهم التخريب، فأننا باسم الجمهورية نطالب حكم المبادئ الاميركية، بحكم اميركا". ولقد كان هنا ، مع هذا النهج السياسي والاقتصادي الاميركي، نقطة لا تنسجم مع مبادئ الانعزالية، فبينما كان رجال الاعمال والرأسماليين الاميركيون يؤيدون علنا منهج هاردينگ الذي كان عليه: "ان يضيع حدا لهذه المخالفات الاجنبية المشوشة"، كانوا من جهتهم، يقومون بمفاوضات سرية مع الصناعيين الالمان واليابانيين والانگليز، وغيرهم ايضا. وكان قد سبق لهم ان اتموا وضع منهج طموح، من اجل محاولة التغلغل في اسواق اوروپا واسيا واحتكارها. وكان هاردينگ يصرح علناً قبل وقت وجيز من انتخابه: "ان من الفضيلة منح الدين انطلاقا جديدا...وليس بمقدورنا الاعتقاد ان حكومة ما تستطيع السير في سياسة صحيحة اذا لم تكن على اتصال بإلهنا الخارق القوة... وانه من المثير لفضولكم ان تعلموا انني لم اكن في الماضي قارئا مداوماً للتوراة ، وانني لم اقرأها قط بمثل الانتباه الذي قرأتها به خلال هذه الاسابيع الاخيرة، مع ان اهتمامي كان منصبا على ما سوف اقوم به من عمل...". ووفقاً لسياسته الخارجية اعلن هاردينگ بأن الولايات المتحدة لن تشترك في الشؤون الاوروبية وابرم صلحاً منفرداً مع المانيا عام 1921؛ كما وعد بالرجوع الى الاحوال الاعتيادية في البلاد وانهاء حالة الحرب التي تزامنت مع اشتراك الولايات المتحدة في الحرب العالمية الاولى[1].

تُعد مدة رئاسة هاردينگ من اسوء الحقب في القرن العشرين، نظرا للفضائح الكبيرة التي لاحقت حكومته بسبب تورط عدد من اعضاءها بقضايا فساد، إذ كان اثنان من الوزراء المعينين من قبل هاردينگ قد شوهوا سمعة ادارته بسبب تورطهم في الفضائح السياسية البرت

---

[1] محمد محمد صالح واخرون، الدول الكبرى بين الحربين العالميتين 1914-1945،(بغداد: مطبعة التعليم العالي،1984)،ص232؛ كان، الخيانة العظمى،ص92-94.

بيكون فال وزير الداخلية؛ ودوگيرتي المدعي العام[1]؛ حيث ادى تنصيبهما الى معارضة قوية من قبل الاوساط السياسية والصحفية، إذ واجه تعيين فال معارضة قوية من قبل دعاة الحفاظ على البيئة من امثال جيفورد بينشوت(Gifford Pinchot) الذي كتب قائلاً: "كان من الممكن اختيار رجل اسوء لوزارة الداخلية..."[2]؛ كما سخرت صحيفة نيويورك تايمز من تعيين دوگيرتي قائلة: "بدلاً من اختيار احد افضل العقول، كان هاردينگ راضياً باختيار افضل صديق له..."[3].

عين هاردينگ عدداً من الاصدقاء المقربين له في المناصب الفيدرالية، خدم بعضهم بكفاءة عالية من امثال تشارلز سوير(Charles E. Sawyer) الطبيب الشخصي لـ هاردينگ الذي نبّه الرئيس الامريكي على فضيحة مكتب المحاربين القدامى؛ ودانيال كريسنجر(Daniel R. Crissinger) وهو محام من ماريون، عينه هاردينگ مراقب مالي للعملة، وبعد ذلك محافظاً لمجلس الاحتياطي الفدرالي؛ فضلاً عن صديقه القديم فرانك سكوبي(Frank Scobey) الذي تم تعيينه مدير سك العملة؛ في حين كان آخرون فاسدين والذين اطلق عليهم اسم: عصابة اوهايو(Ohio Gang)، وهذا هو الاسم الذي اطلقته الصحف على اصدقاء الرئيس المنحدرين من مسقط رأسه وآخرين من خارجه، وكان ينتمي الى هذه المجموعة المدعي العام دوگيرتي، فضلاً عن وزير الداخلية البرت فال، ووزير البحرية ادوين دينبي. وعقب مرور عدة اسابيع على استلام حكومة هاردينگ زمام

---

1) Peter G. Renstrom, The Taft Court: Justices, Rulings, and Legacy,(Califonia,2003),P.106; John W. Dean, Warren G. Harding,(New York, 2004),P.89; David M. Kennedy and Lizabeth Cohen, The American Pageant,(Boston, 2014),P.691.

2) Mary C. Rabbitt, Minerals, Lands, and Geology for the Common Defense and General Welfare,(United State Government Printing, 1986),Vol:3, 1904-1939,P.221; Daniel Yergin, The Prize: The Epic Quest for Oil, Money, and Power,(New York,2008),P.195.

3) Margaret Leslie Davis, Dark Side of Fortune: Triumph and Scandal in the Life of Oil Tycoon Edward L. Doheny, (Los Angeles,2001),P.127

الامور، كانت مدينة واشنطن تغص بجمهور غريب من الجمهوريين، ومن رجال الاعمال النافذين، ومن قطاع الطرق من اعضاء عصابة اوهايو، ومن الاخصائيين بضروب سوء الائتمان، وكان عدد هؤلاء يكاد يفي بحاجة المراكز المهمة في الدولة الجديدة. وكانت المؤسسات الكبرى تستخدم اخرين من اجل الحصول على عون السلطات؛ وقد جاءوا جميعا من اجل تقاسم الغنيمة. وكان رجال السياسة هؤلاء ضيوفاً دائمين في البيت الابيض، يجتمعون في كل الايام تقريباً في غرف هادئة هناك ويلعبون: "جلسات البوكر"، التي تستمر حتى الصباح، والتي تم خلالها تناول الكحول بكثرة رغم منعها، والتي قدمتها غالباً زوجة الرئيس فلوسي. وروت اليس لونگ وورث في كتابها ساعات العمل المرهقة ما يلي: "لا اعتقد ان الشعب كان يساوره شك ما، حول ما كان يجري في الاماكن العليا، ابان حفلات الاستقبال الرسمية الكبرى، في مساء احدى الحفلات الاستقبال سألني احد الاصدقاء فيما اذا كنت احب الصعود الى المكتب، وكان قد سبق لي ان سمعت بعض الاقاويل حول هذا الموضوع ، مما اثار في الفضول للنظر بنفسي فيما اذا كنت الاقاويل تفوق الحقيقة. لقد كان المكتب يعج بالأصحاب...وكان الجو عابقاً بالدخان في كل مكان تقريبا...وكانت الصواني مملؤة بمختلف قناني الكحول، وكانت اوراق اللعب مهيأة للبوكر". فضلاً عن ذلك عمدت عصابة اوهايو الى اختيار ملجأ امين سري يقع في منزل في شارع ك رقم 1625، وكان هذا المنزل الذي دعي بـ "البيت الاخضر الصغير"، مأجور من هوارد مانيگتون، وهو محام وسياسي من مدينة كوكومبوس في ولاية اوهايو. ورغما عن انه لم يكن لـ مانيگتون اي مركز رسمي في الحكومة، إلا انه كانت له صلات تكاد تكون يومية مع النائب العام دوگرتي، ومع غيره من الشخصيات النافذة في الحكومة. وكانت لـ مانيگتون كذلك صلات مع بعض مشاهير قطاع الطرق في البلاد، اولئك الذين كانوا لدى مرورهم في واشنطن، ينشئون مركزا لأركان حربهم في بيت شارع ك. ومن هناك كانوا يحصلون على اجازات تمكنهم من شراء كميات كبيرة من الكحول من اماكن التقطير التي تشرف عليها الدولة. ومن البيت الاخضر الصغير كذلك كان يحصل على منع محاكمة المجرمين المدانين من قبل المحاكم الاتحادية، وعلى

مراكز قضاة اتحاديين لحقوقي المستقبل. وكان لعصابة اوهايو مركز اخر للالتقاء، هو البيت الواقع في شارع رقم 1509، حيث كان يعيش المدعي العام دوگرتي وصديقه ومعاونه الخاص جيس سميث[1].

فضحية مكتب المحاربين القدامى(Scandal of Veterans' Bureau).

كانت اولى الفضائح خلال رئاسة هاردينگ هي فضيحة مكتب المحاربين القدامى التي تورط بها تشارلز فوربس(Charles Forbes) رئيس المكتب الذي تم تأسيسه عام 1921، والذي كان يضم 30.000 موظف. ففي بداية رئاسة هاردينگ، عُهد الى وزارة الخزانة سلطة بناء المستشفيات للمحاربين القدامى، لكن فوربس سعى الى تعزيز السيطرة على مستشفيات المحاربين القدامى عن طريق بناءها عبر مكتبه بحجة ان بناء المستشفيات عن طريقه سيكون ارخص واسرع من وزارة الخزانة؛ فضلاً عن ذلك انه قام باتهام وزارة الخزانة بعدم اهليتها لبناء تلك المستشفيات، وطالبوا البيت الأبيض بنقل كامل المسؤولية الى مكتبه؛ ورغم معارضة وزير الخزانة ميلون اصدر هاردينگ امراً تنفيذياً في 29 نيسان 1922بنقل صندوق بناء المستشفيات الذي يُقدّر بقيمة 53.600.000 دولار من دائرة الصحة العامة الى مكتب المحاربين القدامى، واصبح له الحق بأن يكون الاشراف على المستشفيات وادارتها ومستلزماتها الطبية، بضمنها مستودع المستلزمات الكبير في ميرلاند[2]. كانت مهمة

---

1) Congressional Record: Proceeding and Debates of the First Session of the Sixty-Eighth Congress of the United States of American, (Washington, 1924),Vol: LXV-Part:9,P.8959; Dumas Malone(Editor), Dictionary of American Biography,Vol:8,(New York,1932),P.256; William R. Hunt, Front-Page Detective William J. Burns and Detective Profession 1880-1930,(Ohio,1990),P.176.

اودو زاوتر، رؤساء الولايات المتحدة الامريكية منذ 1789 حتى اليوم،(لندن: دار الحكمة،2006)،ص200-201؛ كان، الخيانة العظمى،ص94-98.

2) General Accounting Office, Decisions of the Comptroller General of the United State, Vol:1, July, 1, 1921-June, 20, 1922,(Washington, 1922),P.651; Philip R. Moran, Warren Harding 1865-1923: Chronology-Document-Bibliographical AIDS,(New York,x1970),P.13; Trani and Wilson, The

فوربس الرئيسة لهذا المشروع هو ضمان بناء مستشفيات جديدة في جميع انحاء البلاد لمساعدة 300.000 من قدامى المحاربين الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى[1].

اغتنم فوربس هذه الفرصة لتعيين اصدقائه في المراكز الاضافية والصغرى، وكان هؤلاء أُناساً موثوقين بالنسبة له، يعملون ما يُوحى اليهم، دونما وازع من ضمير، اذا ما تعلق الامر بفساد او بتحويل للمال، وهم بذلك يفضلونه ويفوقونه قدراً؛ وسرعان ما عجت مكاتب مصلحة قدماء لمحاربين باللصوص المهرة، وبصغار تجار السوق السوداء، الذين كانوا ينظمون حفلات الترف من الاموال الحكومية المعدة لمد يد العون الى عجزة الحرب[2].

مع بداية عام 1922 التقى فوربس بوكيل شركة تومسون-بلاك للإنشاءات(Thomson-Black Construction Company) الياس مورتيمر(Elias Mortimer) في سانت لويس(St. Louis) والتي اعتُمدت لبناء تلك المستشفيات؛ وسرعان ما توطدت العلاقة بين الرجلين الى درجة قام مورتيمر بدفع تكاليف سفر فوربس اثناء ذهابه الى غرب الولايات المتحدة الامريكية، من اجل الاطلاع على مواقع المستشفيات المحتمل اقامتها لجرحى قدامى المحاربين. وفي شهر نيسان، عُقدت جلسة صغيرة في جناح فوربس في واشنطن، حضرها فوربس ومورتيمر وج. ف تومبسون وجيمس بلاك مدراء شركة تومبسون-بلاك. واخبر فوربس الاخرين بأنه على اهبة القيام بعدة التزامات مهمة من اجل تشييد مستشفيات، لم تذع بعد اية معلومات عن الامكنة التي سوف تقام بها. وبعد ذلك وجه فوربس كلاماً الى المديرين: "بمقدوركما الاهتمام بأعمالنا في شيكاگو

Presidency Warreng G. Harding,P.181-182; R.E. Ringer, Modern History,(Sydney, 2007), P.151; Bankston, Great Events from History 1904-1972,Vol:1,P.89-90; David L. Hudson, The Handy Presidents Answer Book,(Detroit,2012),P.314;

كان، الخيانة العظمى،ص102.

1) VA Practitioner: The Magazine for Physicians and Pharmacists of Veterans Administration, Vol:4, No.1-6, 1987,P.21.

2) كان، الخيانة العظمى،ص103.

فسوف نبني مستشفى يكلف خمسة ملايين دولار ، ومستشفى في ليڤرمور ، في ولاية كاليفورنيا، واخر في اميركاليك بالقرب من تاكوما". ثم انفرد فوربس ب مورتيمر بأنه بحاجة الى خمسة الاف دولار، ولم تكن هذه الاموال ماهي الا دفعة مسبقة. وكان على فوربس ان يقبض، حسب الاتفاق الذي عقد بين فوربس والمقاولين، ثلث الأرباح التي تحققها شركة تومبسون-بلاك من بناء المستشفيات. فضلاً عن ذلك كان ل فوربس علاقة صداقة جيدة مع تشارلز ف. هيرلي(Charles F. Hurly) مالك شركة هيرلي-ماسون للبناء(Hurly-Mason Construction Company) في واشنطن. وكان هاريدنگ قد امر بأن تكون جميع العقود بموجب اخطار عام، لكن الثلاثة فوربس ومورتيمر وهيرلي توصلوا الى صفقة تحصل بموجبها الشركتان على عقود بناء المستشفيات مقابل عمولات تم دفعها الى فوربس، في وقت ذهبت بعض الاموال الى كبير مستشاري المكتب تشارلز ف. كريمر(Charles F. Cramer)[1].

رغم ان العلاقة بين فوربس وموريتمر قد توترت قليلاً بسبب مشاحنات جرت بينهما، لكن مورتيمر كان لا يدع لمشاحنات شخصية ان تسيء الى علاقات العمل بينه وبين فوربس. وخلال هذا الوقت كان رجل الثقة لدى فوربس، هو كريمر الذي يتلقى في واشنطن العروض في مغلفات مختومة من اجل التزامات مستشفيات الدولة. ووفقا لتعليمات فوربس، فتح كريمر جميع المراسلات، وابرق بجميع التفاصيل فورا الى فوربس، عندها نقل فوربس هذه المعلومات السرية الى مورتيمر، لكي تتمكن مؤسسة تومبسون-بلاك ان تضع عرضها بالاستناد الى عروض الاخرين. وكان فوربس معجباً بالطريقة التي كانت الامور تسير

---

[1]) Stanly Paul Caine, Colonel Forbes and Veteran's Bureau: A Portrait of the Harding Era,(Wisconsin,1964),P.37; Robert K. Murray, The Harding Era: Warren G. Harding and his Administration,(Newtown,1969),P.460; Glen Jeansonne and David Luhrssen, A Time of Paradox: America Since 1890,(New York,2006),P.132;

كان، الخيانة العظمى،ص105-106.

بموجبها، وكان يؤكد لـ مورتيمر بحماس ويقول: "سوف نقوم جميعاً بعمل رائع". ولكن الوضع، بالقياس الى مورتيمر، كان يزاد عسرا باطراد، بالرغم من الارباح المتزايدة، وفي نهاية الصيف نفذ صبر مورتيمر واعلن بحزم نهاية علاقته بـ فوربس، وذلك لأسباب شخصية؛ وانفصلت في الوقت نفسه عُرى التعاون بين فوربس ومؤسسة تومبسن–بلاك. ولم تكن النسب التي يتقاضاها فوربس من بناء المستشفيات، سوى واحد من المداخيل التي حصل عليها ابان وجوده على رأس مصلحة المحاربين القدماء. فمن اجل الحصول على الارباح قام فوربس بخداع الحكومة عن طريق زيادة تكلفة بناء المستشفيات؛ من جانب اخر تم السماح لـ فوربس بشراء قطع الاراضي في سان فرانسيسكو(San Francisco) كانت قيمتها 20.000 دولار لكن فوربس اشتراها بمبلغ 105.000 دولار في وقت تم اقتسام الفائض المالي من النقود بين فوربس وكريمر. كما قام فوربس، بشراء البضائع للحكومة بأسعار خيالية ثم بيعها بعشر ثمنها، وبذلك حاز على تقدير جميع رجال الاعمال، الذين كانوا لا يرفضون، بالطبع، ان يقتسموا الارباح مع فوربس، ومثال على ذلك اشترى فوربس بـ 70.000 دولار مواد ومنتوجات من اجل تنظيف وتلميع ارضيات الغرف. ولقد قدر فيما بعد ان مصلحة قدماء المحاربين تستطيع، بهذا المبلغ، ان تؤمن حاجاتها من تلك المنتوجات والمواد طيلة مئة عام؛ كما دفع فوربس 87 سنتاً ثمنا لأربع ليترات من المواد المشار اليها، بينما كان ثمنها يبلغ، في الواقع سنتين. وكانت اهم المعاملات التي نجح فوربس في اجرائها، تدور حول المستودع الواسع لبضائع الحكومة في بيريڤيل، من ولاية مريلاند، إذ امتلأت هناك ما يزيد عن خمسين بناية بكميات من الادوية والمنتجات الاخرى، وقد باع فوربس لشركة تومبسن–بلاك، من بوسطن، ملكية جميع البضائع التي كانت تمتلئ بها مستودعات بيريڤيل، بالخفاء ودون اذاعة للنبأ. وفي اليوم نفسه لتوقيع العقد، وصلت خمس عشرة سيارة شاحنة الى مستودعات سكك الحديد في بيريڤيل، وخلال اقل من اسبوع، كان اكثر من مئة وخمسين سيارة شاحنة قد حملت بكميات هائلة منتجات ومواد من مستودع بضائع الحكومة.

وبالاختصار ان شركة تومسون-بلاك اشترت من بيريڤيل بما يقارب من 600.000 دولار بضائعاً كان سعرها الحقيقي يبلغ، حسب الاسعار المسجلة، 6.000.000 دولار[1].

عند نهاية عام 1922 ، اخذت تتفجر في كل مكان تقريباً، اقاويل لاذعة القسوة، حول الموضوع، واخذت منظمات المحاربين القدماء، وكبار ضباط الجيش والبحرية، ورجال الاعمال الذين لم تتح لهم الفرصة التعامل مع مصلحة قدماء المحاربين، اخذ هؤلاء جميعا يغرقون فوربس بوابل من انتقاداتهم، وسارت قضية بيريڤيل بالوضع الى ذروته. سرعان ما اكتشف الطبيب الشخصي للرئيس وهو تشارلز سوير ان فوربس كان يبيع مستلزمات المستشفيات القيمة لمتعهد بناء في الخفاء بأقل من السعر؛ وفي البداية لم يصدق هاردينگ، لكن سوير قدم دليلاً على ذلك في مطلع كانون الثاني 1923؛ فاستدعى الرئيس هاردينگ فوربس الى البيت الابيض، ووصل هذا حاملا رزمة من اوراق قديمة مبعثرة، اراد ان يثبت بواسطتها ان البضائع التي باعها في بيريڤيل كانت: "غير ذات قيمة". ولم يكن لهذا تأثيرها على الرئيس الذي طلب الى صديقه ان تتوقف الاعمال غير الشرعية في مصلحة قدماء المحاربين، وطلب منه تقديم استقالته. ولما كان الرئيس لا يرغب في افتضاح القضية للرأي العام سمح لـ فوربس بالهروب الى اوروپا، ومن فرنسا بعث باستقالته في 15 شباط الى الرئيس هاردينگ. لكن الاخبار سرعان ما وصلت لمجلس الشيوخ الذي امر بفتح تحقيق في المسألة، وفي الربيع افتتح مجلس الشيوخ تحقيقاً حول مكتب قدماء المحاربين، وبدأ التحقيق في 23 تشرين الأول وتولى كبير مستشاري مجلس الشيوخ جون ف. اوريان(John F. Oryan) التحقيق في واشنطن، وعلى مدى الاسابيع الثلاثة التالية تم الكشف عن الرشوة والفساد في مكتب المحاربين. وكان من بين الاشخاص الذين كان عليهم ان يمثلوا امام التحقيق، فوربس، واعلن بتصريح حول مركزه كمدير لمصلحة قدماء المحاربين، ما يلي: "كنت اعمل ست عشرة ساعة في اليوم على الاقل، ولم يكن هناك من انسان يكّن ما اكنه من مودة

---

1) Murray, The Harding Era,P.460;

كان، الخيانة العظمى،ص107-109.

للمسرحين". وكان من بين الشهود كذلك، متعهد البناء الياس موريتمر الذي وصف بأدق ما يكون من التفاصيل، جميع الاعمال التي قام بها بالاشتراك مع فوربس، بما فيها تلك التي لها صلة بالسيدة مورتيمر. وعقب هذه الشهادة جاء محامي السيدة مورتيمر يطلب السماح لموكلته بات تدلي بشهادتها وتدافع عن سمعتها. وفي كانون الأول 1924 خُتم التحقيق بعد ان ثبت ان فوربس واصدقائه المقربين قد استغلوا منصبهم للكسب الشخصي، وهذا ما توصل إليه هاردينگ قبل عام لكنه فشل في اتخاذ اجراءات حياله، ورغم اننا لا نعرف ما هو الدافع الذي جعل الرئيس هاردينگ لم يتخذ اي اجراءات ضد فوربس، إلا اننا يمكن ان نرجح ان ذلك كان بسبب عدم رغبة الرئيس في افتضاح امر حكومته. فأحيل فوربس الى المحكمة الاتحادية، التي عدته مجرماً، وحكمت عليه بسنتين من السجن وبغرامة قدرها 10.000 دولار. وقدر ان العمليات التي اجراها فوربس على رأس مصلحة قدماء المحاربين، قد كلف الشعب الامريكي ما يقارب من مئتي مليون دولار، ذهب القسم الاعظم منها الى جيب فوربس نفسه؛ اما كريمر فقد انتحر في 14 اذار 1923[1].

---

[1]) Patrick Renshaw, The Longman Companion to American in the Era of the two World Wars,1910-1945,(London, 1996),P.28; Henry F. Graff, The Presidents: A Reference History,(New York,1997),P.397; Robert K. Murray, The Politics of Normalcy: Government Theory and Practice in the Harding-Coolidge Era,(New York,1973),P.103;Comer Vann Woodward, Responses of the Presidents to Charges of Misconduct,(Gorege,1974),P.268; Trani and Wilson, The Presidency Warreng G. Harding,P.182, 294; ; Lawrence M. Salinger, (Editor), Encyclopedia of White- Collar Corporate Crime,(London,2005),Vol:1,P.208; Jeansonne and Luhrssen, A Time of Paradox,P.132; Jolyon P. Girard(Editor), Presidents and Presidencies in American History: A Social, Political, and Cultural Encyclopedia and Document Collection,(Califonia,2019),P.905; Sidney M. Mikis and Michael Nelson, The American Presidency: Origins and Development, 1776-2018,(Los Angeles,2020),P.324; Girard, Presidents and Presidencies in American History,P.905.

كان، الخيانة العظمى،ص109-111.

فضيحة تيبوت دوم(Scandal of Teapot Dome).

تُعد فضيحة تيبوت دوم اسوء فضيحة من نوعها في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية؛ ففي عشرينيات القرن العشرين اصبحت فضيحة تيبوت دوم(Teapot Dome) مرادفاً آخراً للفساد الحكومي والفضائح في عهد الرئيس وارن هادرينگ؛ فمنذ ذلك الوقت، تم استخدامها في بعض الاحيان لترمز الى قوة وتأثير شركات النفط في السياسة الامريكية؛ اذ وصفها احد المؤرخين بأنها: الفضيحة الاعظم والاكثر اثارة في تاريخ السياسة المالية الامريكية[1].

تيبوت دوم هي مخزون نفطي في ولاية وايومنگ(Wyoming) سميت نسبة الى صخرة تيبوت، وكذلك نسبة الى موقع حقل النفط الموجود هناك. وفي عام 1915 قام الرئيس وودرو ولسن بتخصيص هذا المخزون النفطي كاحتياط للنفط البحري؛ وهذا العمل مشابه لما قام به الرئيس وليم هوارد تافت(William Howard Taft) عام 1912 عندما حدّد حقل رقم(1) في الك هيلز(Elk Hills)، وحقل رقم(11) في بوينا ڤيستا هيلز(Buena Vista Hills) في ولاية كاليفورنيا(California) على التوالي كأول احتياط بحري للنفط في البلاد. وقد تم انشاء هذه الاحتياطات لضمان حصول البحرية الامريكية على امدادات كافية من النفط في وقت الحرب[2].

يعد وجود تلك الحقول كاحتياط للبحرية الامريكية ضرورياً بمرور الوقت فبحلول عام 1920 كانت الولايات المتحدة تصدر ما يقارب 80% من نفطها الى العالم، فضلاً عن قيام البحرية الامريكية بتحويل محركات سفنها من الفحم الى النفط، كما ان تزايد صناعة السيارات ادى الى زيادة الطلب على النفط؛ ونتيجة لذلك اعتقد الخبراء ان احتياطات

---

1) Robert W. Cherny, "Graft and Oil: How Teapot Dome Became the Greatest Political Scandal of its Time", in: The Gilder Lehrman Institute of American History, Issue: 20, June: 2009.

2) Robert La Follette, On the Teapot Dome Scandal, May 1922, February 1924, in: salempress.com, P.28;

كان، الخيانة العظمى،ص113.

النفط ستنفذ خلال 10-20 عام[1]. ومع ذلك، فإن انشاء تلك الاحتياطات كان مثيراً لأصحاب النفوذ في الشركات النفطية لأنهم ارادوا تطويرها عن طريق شركاتهم الخاصة؛ فضلاً عن ذلك، ان الآبار الخاصة بحقول النفط المستثمرة من قبل الشركات قد احاطت بمحميات الاحتياطات البحرية، مما ادى الى تسرب رواسبها تحت الأرض. وكان هذا هو الموقف الذي واجه فال وزير الداخلية عام 1921[2].

كان البرت فال محامياً في اقليم نيو مكسيكو(New Mexico)، وقد مثل شركات التعدين والاخشاب والنفط، واستثمر هو ذاته امواله في التعدين ايضاً. ورغم ان فال اصبح سيناتوراً امريكياً عام 1912 إلا انه كان يفكر بترك منصبه العام لإيجاد طرق جديدة للحصول على الاموال من اجل سداد ديونه المستحقة وتحسين حالة مزرعته المتداعية. وبعد انتخاب صديقه السيناتور هاردينگ لمنصب الرئاسة، اصبح فال وزيراً للداخلية، لكنه لا يزال لديه الكثير من المشاكل المالية[3].

لم يبدِ فال اهتماماً كبيراً بحركة الحفاظ على البيئة، كما عده دعاة الحفاظ على البيئة بقيادة هاري سلاتري(Harry Slattery) وجيفورد بينشوت(Gifford Pinchot)، معادياً لأفكارهم. وكان الصراع بين الطرفين محتدماً فعندما حاول فال فتح آبار النفط ومناجم الفحم، والخشب في الاسكا(Alaska) امام الاستثمار الخاص، سارع دعاة الحفاظ على البيئة على افشال خططه. وعندما اراد فال نقل الغابات الفدرالية ودائرة الغابات الفدرالية تحت سيطرته، قاموا بمنعه. وكان هؤلاء يعتمدون على مساعدة عدد من

---

1) Bryan Craig, "Making The Teapot Dome Scandal Relevant Again", in: Miller Center, University of Virginia, April 11, 2017.

2) Salinger, Encyclopedia of White- Collar Corporate Crime,Vol:1, P.795; Congressman Jerry McNerney and Martin Cheek, Clean Energy Nation: Freeing American From The Tyranny of Fossil Fuels,(New York, 2012), P.77.

3) David R. Dewberry, "Checking the Checking Value in the Teapot Dome Scandal", in: Communication Law Review, Vol:15, Issue: 2, 2015,P.37-38.

التقـدميين[1] في الكـونگرس ، ولاسـيما السـناتور روبـرت لا فوليـت(Robert La Follette)، زعيم الجناح التقدمي للحزب الجمهوري[2].

بعد فشل جهود فال للسيطرة على الموارد الطبيعية في غرب البلاد وجعلها تحت يد المستثمرين، تحولت مشاريعه الى احتياط النفط البحري؛ ولأجل ذلك اقنع كل من وزير البحرية ادوين دينبي(Edwin Denby)، والرئيس هاردينگ بنقل احتياطات النفط البحرية الى وزارة الداخلية، وتم ذلك في 21 ايار 1921، إذ وقع هاردينگ الامر التنفيذي رقم 3474 الخاص بنقل الاحتياطات النفطية. وفي ربيع 1921 ، اجتمع هاري سنكلر(Harry Sinclair)، من شركة ماموث النفطية(Mammoth Oli)، وجيمس اي. اونيل، رئيس حقول اويل اند غاز كومباني، التي يشرف عليها روكفلر، بأثنين من شركائهما، للتداول في قضية نفط على قدر بالغ من الاهمية، سوف تُوظف فيها عدة ملايين من الدولارات؛ كانت القضية السرية التي يناقشها هؤلاء الرجال الاربعة تتعلق باستئجار عدد من الحقول النفطية الواقعة في خزان البحرية النفطي، في تيبوت دوم. وعقب مرور اسبوع على نشر مرسوم هاردينگ ، ارسل الوزير فال كتاباً سرياً الى ادوارد ل. دوهيني،(Edward Doheny) وهو مليونير وصديق قديم لـ فال، رئيس شركة پان

---

[1]) يشير مصطلح الحركة التقدمية في تاريخ المجتمع الامريكي والسياسة الامريكية الى حركة اصلاحية متعددة الجوانب في السنوات الاخيرة للقرن التاسع عشر، وازدهرت بحلول القرن العشرين وحتى عام 1920، ثم تلاشت في مطلع العشرينيات من القرن العشرين. وعلى مستوى السياسة الوطنية، حققت هذه الحركة اعظم انجازاتها فيما بين عامي 1910 و1917. وابرز الزعماء التقدميين من الحزب الجمهوري هم: ثيودور روزفلت(Theodore Roosevelt)؛ وروبرت ام لا فوليت(Robert M. La Folllete)؛ وتشارلز ايفانز هيوز(Charles Evans Hughes)؛ ومن زعماء التقدميين في الحزب الديموقراطي وليم جينينگز بريان(William Jannings Bryan)؛ وودرو ويلسن(Woodrow Wilson) وآل سميث(Al Smith). انظر:

والتر نوجنت، الحركة التقدمية في امريكا، ترجمة: مروة عبد الفتاح شحاتة، مراجعة: مصطفى محمود فؤاد،(القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2016)،ص11.

[2]) Dewberry, Checking the Checking Value in the Teapot Dome Scandal,P.37, 38.

امريكا للبترول والنقل(Pan-American Petroleum) في كاليفورنيا قال فيه: "لن يكون هناك مجال لحصول اصطدام ما، من الان وصاعداً، بين هذه الوزارة ووزارة البحرية، ذلك لأنني اخبرت الوزير دينبي بانني سوف اهتم بقضايا التأجير هذه تحت اشراف الرئيس مباشرة، فلن يكون علي اذن قط ان الجأ الى الوزير دينبي ، فيما عدا طلب نصيحته، بصورة شخصية، حول مسائل الاجراءات. انه يتفهم الوضع ويعرف انني سوف اهتم بالأمر على افضل ما يمكن من الوجوه...". وكان ادوارد دوهيني قبل سنوات من ذلك، قام مع فال بأعمال التنقيب في اراضي المنطقة الجنوبية-الغربية، وكان على هذين الرجلين ان يجتمعا من جديد ليتقاسما ارباح محققة من جراء احتكار نفطي. ومنعت بعض العقبات الوزير فال من تقديم خزانات البحرية النفطية، على الفور، الى شركة دوهيني، إذ كان هناك، مثلا، اللجنة المسؤولة عن المحروقات والنفطية للبحرية، التي كانت قد شُكلت من اجل الحفاظ على الخزانات النفطية. وبعد ان الغى شريك الوزير فال، وزير البحرية دينبي، اعضاء لجنة المحروقات والنفط للبحرية. استدعى الوزير فال، هاتفيا دوهيني الذي كان اذ ذاك في نيويورك، وقال له: "انني على استعداد ، الان لقبول هذا العرض"، فارسل دوهيني، فوراً ولده ادوارد ل. دوهيني، الى المصرف، حيث سحب اوراقاً نقدية بقيمة مئة الف دولار . ثم ذهب الى واشنطن، وهناك قدم مئة الف دولار الى وزير الداخلية، الذي قام في 12 تموز 1921 بتأجير حقول نفط الك هيلز وتحديداً احتياطي البحرية رقم (1) الى شركة پان امريكا للبترول والنقل التي يملكها ادوارد دوهيني لمدة خمسة عشر عاماً. وقد كتب بول ج. ماك كورميك، قاضي محكمة كاليفورنيا فيما بعد، حول موضوع هذه الترتيبات: "ان تسليم ما يقارب من 30.000 آر(وحدة قياس ارضية) من الاراضي النفطية المنتجة، مع جميع ما كانت تحويه من نفط، اي بين 75.000.000 صفيحة الى 250.000.000 صفيحة سنوياً، خلال خمس عشرة عاماً ، ان هذا التسليم كان بالواقع تنازلاً تاماً عن هذه الثروة". وكان دوهيني ، في ذلك الحين، يعرض الوضع على نحو اكثر بساطة: "لن نكون محظوظين حقا اذا لم نجن مليون دولار من الارباح". في ذلك الوقت كان الوزير فال يقوم بمفاوضات سرية مع دوهيني مع

هاري سنكلير مع شركة ماموث النفطية. وفي صباح 31 شهر كانون الاول 1921، وصل سنكلير ومحاميه، ج.ف. زيفيلي، بقطار خاص من نيويورك الى "ثري ريفرز" في ولاية المكسيك الجديدة. وقد جاء هذان السيدان لزيارة الوزير فال الذي كان يقضي عطلة عيد الميلاد في مزرعته. ولم تكن اللياقة هي الدافع الوحيد لهذه الزيارة، فالأمر كما قال، فيما بعد، سنكلير نفسه: "ذهبت لمقابلة...فال في ثري ريفرز، للمداولة في استئجار تيبوت دوم". وبعد عدة مقابلات خاصة بين سنكلير وزيفيلي، في واشنطن ونيويورك، كُتب عقد ايجار سري في واشنطن في مكاتب زيفيلي، يمنح بموجبه رئيس شركة ماموث النفطية هاري سينكلر حق التصرف بالحقول النفطية في تيبوت دوم- من دون تقديم مزايدات تنافسية- وتحديداً احتياطي البحرية رقم(3). وفي 7 نيسان 1922، وقع الوزير فال عقداً مع سنكلير وعقب مرور شهر على ذلك، ذهب سنكلير الى واشنطن وقدم لصهر فال، م. أ. افرهارت، مبلغ 198.000 دولار، وخلال شهر نفسه، ذهب افرهارت الى نيويورك ليقبض ايضا من مكاتب سنكلير، مبلغ 35.000 دولار وصولات، و36.000 دولار قطعاً نقدية، ويقدمها لحماه. وعندما ذهب سنكلير لرؤية فال في مزرعته ابان الخريف، قدم ايضاً 10.000 دولار الى وزير الداخلية، قطعا نقدية، وفي شهر كانون الثاني عام 1923 ، قدم سنكلير في جناحه في فندق واردام بارك اوتيل، في واشنطن الى الوزير فال ، كذلك مبلغ 25.000 دولار. وبلغ مجموعة ما قضبه الوزير فال وصهره افرهارت، من هاري سنكلر 223.000 دولار وصولات على الخزينة، و71.000 الف دولار قطعا نقدية. وكانت هذه العملية، من وجهة نظر سنكلير، مأمونة الربح. وعندما مثل سنكلير، في شهر كانون الثاني 1923، امام لجنة التحقيق اعلن: "انني اقدر ممتلكات ماموث النفطية عهد ذاك – ليس هذا سوى مجرد تقدير- بما يزيد على 100.000.000 دولار"[1].

---

1) United State Senate, "Senate Investigates the Teapot Dome Scandal", April 15, 1922; Sheet Metal Workers Journal, in: Sheet Metal Workers International, Vol: 28-29, Year: 1923-1924,P.38; La Follette, On the Teapot Dome Scandal,P.28, 31-32; The Chicago Daily New Almanac and

بعد عقود الايجار، شوهد فال وهو ينفق المزيد من الاموال، كما قام بدفع جميع الضرائب المتراكمة عليه؛ زيادة على ذلك قام بإجراء العديد من التحسينات واسعة النطاق على مزرعته في نيو مكسيكو واشترى الاراضي القريبة منها؛ كما اشترى الكثير من الماشية عالية الجودة من هاري سينكلير؛ وسرعان ما اخذت الشكوك تدور حول اموال فال، وكان التساؤل الذي اخذ ينتشر هو: من اين حصل فال على هذه الاموال بهذه السرعة؟؛ كما انتشرت الشائعات في وايومنگ حول عقود الايجار للشركات النفطية، فتأجير خزان النفط في تيبوت دوم وفي الك هيز، قد اثار الشك في نفوس بعض من ضباط البحرية ومن اعضاء الكونغرس؛ وقد لفتت تلك الشائعات انتباه السيناتور عن ولاية وايومنگ جون كيندريك، الذي وجه اسئلة عن هذه الشائعات وعقود الايجار الى وزارة الداخلية، لكنه لم يتلق اجابات حولها[1].

Year Book, in: Chicago Daily News Company, Vol: 41, 1925, P.300; Murray, The Politics of Normalcy,P.107; Trani and Wilson, The Presidency Warreng G. HardingmP.183; Annals of Wyoming, in: Wyoming Historical Department, Vol:53, Spring, 1981,P.17; Salinger, Encyclopedia of White- Collar Corporate Crime,Vol:1,P.795; Dewberry, Checking the Checking Value in the Teapot Dome Scandal,P.37; McNerney and Cheek, Clean Energy Nation,P.77; George K. Yin, "Preventing Congressional Violations Tax Payer Privacy", in: Tax Lawyer, Vol: 69, No. 103, 2015,P.119; Gary M. Pecqute and Cliford Thies, "Reputation Overrides Record How Warren G. Harding Mistakenly Became the Worst President of the United States", in: The Independent Review, Vol:21, No.1, Summer 2016, P.34; George K. Yin, "Congressional Authority to Obtain and Release Tax Returns", in: Tax Notes, Vol:154; No.8, February 20, 2017 ,P.1014;

كان، الخيانة العظمى،ص114-118.

[1]) Dewberry, Checking the Checking Value in the Teapot Dome Scandal,P.38; Pecqute and Thies, Reputation Overrides Record How Warren G. Harding Mistakenly Became the Worst President of the United States,P.34.

في 14 نيسان 1921 كشفت صحيفة وول ستريت جورنال تلك الصفقة السرية قد تم اكتشاف عقد الايجار عن طريق سلاتري؛ ونقلت المجلة عن متحدث باسم وزارة الداخلية، الذي امتدح عقد الايجار قائلاً: "عقد الايجار يمثل واحد من اعظم التعهدات البترولية في العصر"[1]؛ غير انها لم تكن هي الصحيفة الوحيدة التي كشفت عقود الايجار، فقد اعلنت دينفر بوست عن عقود الايجار في اليوم نفسه، وقد حصلت على تلك المعلومات من صاحب شركة نفط صغيرة في وايومينگ يدعى ليو ستاك(Leo Stack)[2]. كما نشر عقود الايجار جون سي. شيفر(John C. Schaffer) الناشر في روكي ماونتن نيوز(Rock Mountain News)، وكان هذا يدير عدة صحف يومية اخرى وهي شيكاگو ايفنينگ بوست(Chicago Evening Post)، وصحيفة دينفر تايمز(Denver Times)[3]. وكان هناك صحفيون آخرون لعبوا دوراً رئيساً في نشر تلك الفضيحة منهم كارل ماجي(Carl Magee) الذي ادار العديد من الصحف في نيو مكسيكو مثل مجلة البوكيرك مورنينگ(Albuquerque Morning)، وصحيفة ماگي اندبيندينت(Magee' Independent)، وصحيفة نيو مكسيكو ستايت تريبيون(New Mexico State Tribune)، وصحيفة بول واي(Pual Y)[4].

في 15 نيسان دعا مجلس الشيوخ، وبناءً على اقتراح السيناتور جون كندريك الذي طالب بمزيد من المعلومات فيما يخص عقود الإيجار من وزارتي البحرية والداخلية، في الوقت ذاته اثار محافظو البيئة ومستثمرو النفط الصغار في وايومنغ عاصفة من الاحتجاجات، إذ اعترضوا على السرية التي تمت بها الصفقة، فضلاً عن عدم وجود مزايدات تنافسية. وفي 21

---

1) La Follette, On the Teapot Dome Scandal,P.28; Dewberry, Checking the Checking Value in the Teapot Dome Scandal,P.38.

2) Dewberry, Checking the Checking Value in the Teapot Dome Scandal,P.39.

3) Dewberry, Checking the Checking Value in the Teapot Dome Scandal,P.43.

4) Dewberry, Checking the Checking Value in the Teapot Dome Scandal,P.44.

نيسان قدم السناتور الجمهوري عن ولاية وسكنسن(Wisconsin) روبرت لا فوليت بعد التشاور مع سلاتري طلباً يدعو فيه مجلس الشيوخ الى اجراء تحقيق حول املاك الدولة وحول مراقبة عقدي ايجار خزاني البحرية النفطيين في تيپوت دوم وفي الك هيلز، وتمت الموافقة على الطلب من قبل المجلس، وفي الوقت نفسه ، انفجرت عاصفة من احتجاجات عنيفة بين اصحاب الشركات النفطية التي لم يتح لها حتى الافادة من المناقصات، وازدادت المطالبات طلب باستقالة الوزير فال[1].

كتب هاردينگ رسالة الى مجلس الشيوخ يقول فيها انه وافق على سياسة الايجار، مما جعله مرتبط بشكل مباشر بفضيحة تيپوت دوم[2]؛ اما فال فقد اوضح ان اجراءاته كانت قانونية ومفيدة للبحرية، لأن الاحتياطات النفطية كانت مهددة من قبل آبار النفط المملوكة من الشركات الخاصة، التي كانت تستنزف نفط البحرية الامريكية؛ وان منح عقد ايجار واحد لضخ النفط المحجوز، كان الوسيلة الأكثر كفاءة لإنقاذه. وقد تطلبت عقود الايجار من سنكلير ودوهيني حساب العائدات التي حصلوا عليها مقابل النفط الذي ضخوه من الاحتياطات البحرية، واستخدام تلك العائدات لبناء وتعبئة منشآت تخزين الوقود للبحرية في كاليفورنيا وپيرل هاربر(Pearl Harbor) في هاواي(Hawaii)، واماكن اخرى. وكان سينكلير انشأ خط انابيب من وايومنغ الى كانساس سيتي(Kansas City)، وان

---

1) United State Senate, "Senate Investigates the Teapot Dome Scandal", April 15, 1922; La Follette, On the Teapot Dome Scandal,P.28; Salinger, Encyclopedia of White- Collar Corporate Crime,Vol:1,P.317; Rabbitt, Minerals, Lands, and Geology for the Common Defense and General Welfare,Vol:3, P.229; Dewberry, Checking the Checking Value in the Teapot Dome Scandal,P.38-39;Pecqute and Thies, Reputation Overrides Record How Warren G. Harding Mistakenly Became the Worst President of the United States,P.34

كان، الخيانة العظمى،ص118.

2) Pecqute and Thies, Reputation Overrides Record How Warren G. Harding Mistakenly Became the Worst President of the United States,P.34.

تلك الانابيب ستكون متاحة لمستثمري النفط الآخرين كذلك. وقد ادعى فال ان السرية، وعدم تقديم مزايدات تنافسية، كانت ضرورية لأنه يعده سراً عسكرياً لأن منشآت التخزين يمكن ان تكون اهدافاً في الحرب[1]. غير ان الوثيقة التي تم الكشف عنها في وقت متأخر من التحقيق اشارت انه في تشرين الثاني 1921 تلقى فال قرضاً بقيمة 100.000 دولار من دوهيني[2].

عندما افتتح مجلس الشيوخ تحقيقه، قام فال بتسليم الوثائق المطلوبة الى اللجنة، ثم استقال من منصبه في 4 اذار 1923؛ ثم استقال وزير البحرية دينبي في 10 اذار[3]. ونظراً لأن هذا الأمر كان يمثل تحقيقاً شاقاً، فقد سمحت اللجنة للديموقراطي توماس والش(Thomas Walsh) من مونتانا(Montana)، برئاسة اللجنة[4]. وقد بدأ التحقيق اخيراً في تشرين الأول من ذلك العام بقيادة السناتور الديموقراطي وبمساعدة سلاتري، ورغم انه لا يوجد شيء يبدو غير قانوني في الوثائق التي قدمها فال، إلا ان والش

---

1) Congressional Record: Proceeding and Debates of the First Session of the Sixty-Eighth Congress of the United States of American, (Washington, 1924),Vol:LXV-Part:2,P.1541;Pecqute and Thies, Reputation Overrides Record How Warren G. Harding Mistakenly Became the Worst President of the United States,P.34.

2) McNerney and Cheek, Clean Energy Nation,P.77; Philip Lefton and David A. Midgley, Barron's How to Prepare for Sat: American History and Social Studies, in: Barron's Educational Series,(New York,1998),P.191; Hudson, The Handy Presidents Answer Book,P.314.

3) Dan La Botz, Edward L. Doheny: Petroleum, Power, and Politics in the United States and Mexico,(New York,1991),P.137;Pecqute and Thies, Reputation Overrides Record How Warren G. Harding Mistakenly Became the Worst President of the United States,P.32, 34.

4) United State Senate, "Senate Investigates the Teapot Dome Scandal", April 15, 1922.

بدأ بالبحث عن التقارير الموجودة في مزرعة فال[1]. وكان من بين الاسئلة الصعبة والكثيرة التي وجهها والش هي: كيف اصبح وزير الداخلية فال ثرياً بهذه السرعة؟"[2].

ومع استمرار التحقيقات شعر فال بالخطر، لذا اتصل بصديقه ادوارد ب. ماكلين(Edward B. McLean) وهو ناشر في صحيفة واشنطن بوست ان يقابله في اتلانتيك سيتي(Atlantic City)، وطلب منه ان يقول انه قدم قرضاً له بمبلغ 100.000 دولار، وقد وافق على قول ذلك، وقدم شهادته امام لجنة والش. اما فال فقد انكر امام اللجنة انه ارتكب اي مخالفات قانونية، ويبدو ان شهادة ماكلين كانت تفسيراً ملائماً لثراء فال المفاجئ؛ لكن ذلك لم يُقنع والش. ولاسيما وان ماكلين قد اختبأ في پا لم بيتش(Palm Beach) مدعياً ان مشكلة الجيوب الانفية كانت شديدة للغاية بحيث لم تسمح له بالسفر من فلوريدا الى واشنطن للإدلاء بشهادته علناً الامر الذي دفع والش الى عقد لجنة فرعية لأخذ شهادة ماكلين في ولاية فلوريدا والتي اعترف امامها بأنه لم يقدم قرضاً الى فال، الامر الذي اكد شكوك والش بأنه امام قضية فساد، مما جعله يطلب من ماكلين الامتثال امام اللجنة في واشنطن والادلاء بشهادته التي افاد فيها بأنه لم يكن مصدراً للأموال التي حصل عليها فال؛ وهكذا انكشف امر فال بتسلمه قروضاً مالية من رجال النفط البارزين ادوارد دوهيني وهاري سنكليربما قيمته 400.000 دولار[3].

في كانون الثاني 1924، وفي شهادته امام اللجنة، كشف دوهيني انه اقرض فال 100.000 دولار بدون فائدة، وان ابنه ادوارد دوهيني الابن، مع صديق له وهو هيو بلانكيت(Hugh Plunkett)، قاما بتسليم النقود الى فال في حقيبة؛ مع ذلك، نفى

---

1) Cherny, "Graft and Oil: How Teapot Dome Became the Greatest Political Scandal of its Time", in: The Gilder Lehrman Institute of American History, Issue: 20, June: 2009.

2) United State Senate, "Senate Investigates the Teapot Dome Scandal", April 15, 1922.

3)Pecqute and Thies, Reputation Overrides Record How Warren G. Harding Mistakenly Became the Worst President of the United States,P.34.

دوهيني بأن يكون للقرض اي صلة بعقد ايجار الك هيلز، لكن اعضاء مجلس الشيوخ بدأوا يتساءلون عما اذا كان القرض سهل له التعاقد ومنحه الحق في الوصول غير القانوني الى احتياطات النفط؛ في وقت ذاته اكتشف والش ان شركة ماموث النفطية قد قامت باستثمارات في مزرعة فال في نيو مكسيكو؛ لكن سنكليراعترف انه قد اعطى فال بعض المواشي لكنه نفى ان يكون لذلك صلة بعقد تيبوت دوم[1]. غير ان ارشيبالد روزفلت(Archibald Roosevelt) الذي يعمل في شركة سنكليرشهد ان وزير النفط في حكومة هاردينگ قد اخبره شيئاً عن دفع مبلغ 68.000 دولار لأحد العاملين في مزرعة فال. الا ان وزير النفط في شهادته قال انه كان يتحدث عن 6 أو 8 ابقار تم ارسالها الى مزرعة فال وليس 68.000 دولار[2].

بناء على تلك الاعترافات طلب الكونگرس من الرئيس اتخاذ اجراءات لإلغاء عقود الايجار، وتعيين محامٍ خاص للتحقيق مع المسؤولين عن اي مخالفات ومقاضاتهم[3].

انقذ وفاة هاردينگ المفاجئ في اب 1923 ادارته التي كانت تعاني من فضائح مالية والسبب يعود الى تعيينه اصدقائه من امثال فال لشغل مناصب عليا في الحكومة حيث اخذ الكثير منهم رشاوى واختلسوا اموال حكومية وارتكبوا عمليات احتيال؛ لكن وفاته قبل انتهاء التحقيقات لم تحدد مدى ارتباطه الكامل بأنشطة اصدقائه الفاسدين خلال فترة حكمه[4].

---

1) The Federal Reporter, in: West Publishing Company, 1925,P.65;Annals of Wyoming, P.17,P.21; John T. Noonan, Bribes,(Berkeley, 1987),P.566;Barry Hankins, Jesus and Gin: Evangelicalism, The Roaring Twenties and Today's Culture Wars,(New York,2010) P.16.

2) Robert, "Uncovering a Cover up on Teapot Dome", in: The Washington Post, June 9, 1977.

3) Cherny, "Graft and Oil: How Teapot Dome Became the Greatest Political Scandal of its Time", in: The Gilder Lehrman Institute of American History, Issue: 20, June: 2009.

4) Cherny, "Graft and Oil: How Teapot Dome Became the Greatest Political Scandal of its Time", in: The Gilder Lehrman Institute of

في 27 كـانون الثـاني 1924 القـى الـرئيس كـالفين كـوليج(Calvin Coolidge)، الذي تولى الرئاسة بعد وفاة هاردينگ، بياناً قال فيه انه سيعين مدعين عامين، احدهما ديموقراطي والآخر جمهوري، لتولي التحقيق؛ وكان المحامي البارز اوين جي روبرتس(Owen J. Roberts)، هو المحقق الجمهوري، في حين كان السيناتور السابق اتلي پومرين(Atlee Pomerene)، من اوهايو، هو المحقق الديموقراطي؛ وهذه هي المرة الاولى التي يقرر فيها رئيس امريكي قيام اشخاص من خارج وزارة العدل بالتحقيق في قضايا فساد. وقد كشفت التحقيقات ان احدى شركات سنكليرقد دفعت مبلغ 233.000 دولار من سندات الحرية، وهي سندات اصدرتها الحكومة الفيدرالية اثناء الحرب العالمية الأولى من اجل دعم الحلفاء ضد دول الوسط، الى صهر فال؛ وان سنكليرتبرع بقوة للحزب الجمهوري[1]. وكرد فعل على فضيحة تيپوت دوم طلب الكونگرس الامريكي من الرئيس كوليج الاقرارات الضريبة لكل اولئك الذين تورطوا فيها[2]. في وقت كانت علاقة ماكلين بالبيت الابيض، ومع الرئيس هاردينگ وكوليج واضحة الى حد كبير، لكن مع ذلك لم يكن هناك اي دليل على تورط كوليج بالفضيحة[3].

ساعدت فضيحة تيپوت دوم الديموقراطيين في حملتهم الرئاسية لعام 1924 التي استندت على فساد الجمهوريين؛ فقد كانت تلك الفضيحة المثال الاكثر اثارة لفساد المسؤولين المعينين من قبل هاردينگ؛ فضلاً عن فضائح اخرى اخذت تظهر خلال ادارته

American History, Issue: 20, June: 2009; The Denver Post, January 30, 2015.

1) Jim Hargrove, The Story of the Teapot Dome Scandal,(Children's Press,1989),P.25;Pecqute and Thies, Reputation Overrides Record How Warren G. Harding Mistakenly Became the Worst President of the United States,P.34.

2) U.S. House Representatives, in The United States District Court for the District of Columbia, Case 1: 19-CV-01974, P.10.

3) Robert, "Uncovering a Cover up on Teapot Dome", in: The Washington Post, June 9, 1977.

كفضيحة مكتب المحاربين القدامى؛ كذلك ما حدث في مقر حماية ممتلكات الاجانب وهو المكلف بحماية ممتلكات الالمان والاجانب الآخرين الذي أُنشأ خلال الحرب العالمية الاولى؛ واحدى هذه الفضائح تورط بها النائب العام المنصب من قبل الرئيس هاردينگ دوگيرتي[1].

اثبت التحقيق الذي أجري في عهد كالڤين ان الديموقراطيين كانوا يواجهون مشكلات خاصة بهم، إذ كان دوهيني ديموقراطياً، وتبرع للحزب الديموقراطي؛ عن طريق العديد من المؤسسات التجارية، فضلاً عن قيامه بتوظيف عدداً من الديموقراطيين البارزين في تلك المؤسسات. وخلال جلسات الاستماع في مجلس الشيوخ، دفع سيناتور جمهوري دوهيني الى الكشف عن اربعة اعضاء سابقين في مجلس الوزراء في عهد وودرو ويلسن، وجميعهم قادة مهمين في الحزب الديموقراطي، كانوا على جدول الرواتب الخاصة بمؤسسات دوهيني بعد تركهم مناصبهم العامة. لكن الاهم بالنسبة للديموقراطيين، ان دوهيني دفع لـ وليم گيبس مكادو(William Gibbs McAdoo) 50.0000 دولار كل عام كمحامٍ قانوني؛ وهكذا اصبح مكادو، الذي يُعد ابرز مرشح رئاسي عن الحزب الديموقراطي، ومعروفاً بأنه تقدمي، ملوثاً بأموال النفط، وبذلك كانت اموال دوهيني هي المشكلة الاهم في حملة مكادو الانتخابية، والتي كانت سبباً في استبعاده عن الرئاسة؛ وبدلاً من ذلك، رشح الديموقراطيون جون و. ديڤيس(John W. Davis)، وهو محامٍ محافظ متخصص في تمثيل النقابات. ونتيجة لذلك، ايد معظم التقدميين في كلا الحزبين ترشيح روبرت لا فوليت. لكن كوليج فاز في الرئاسة رغم كل شيء، وفي النهاية، رغم ان كل من الجمهوريين والديموقراطيين حاولوا استخدام فضيحة تيبوت دوم من احراج خصومهم، لم يستفد اي من الطرفين من تلك الاحداث[2].

في عام 1924، ورداً على فضيحة تيبوت دوم انشأ الرئيس كوليج مجلس حماية النفط الفيدرالي مهمته التنسيق بين الحكومة الفيدرالية وشركات انتاج النفط، وقد ساعدت

---

1) La Follette, On the Teapot Dome Scandal,P.32.
2) La Follette, On the Teapot Dome Scandal,P.32.

انشطته في وضع الاساس لكارتل نفطي واسع بين الولايات حدد اسعار النفط الخام حتى عام 1973[1].

في الوقت الذي انهى والش لجنته التحقيقية والتي افادت عن وجود ادلة ظرفية فقط ضد فال، بيد ان روبرتس ويومرين قدما ادلة اخرى تدين فال بثمان قضايا، قضيتان مدنيتان، وست قضايا جنائية[2]؛ وقد امتثل فال فعلياً الى اربع محاكمات في المحكمة العليا في مقاطعة كولومبيا، وفي كانون الاول 1926 تمت تبرئته هو ودوهيني من تهمة التآمر للاحتيال على الحكومة. وفي تشرين الأول 1927، واثناء محاكمة فال وسنكليربتهم مماثلة، صدر الأمر بملاحقة قضائية بعد ان تم الكشف ان سنكليركان لديه محققون خاصون لتضليل المحلفين، غير انه تم تبرئة كلاهما في اعادة المحاكمة عام 1928[3].

وفي النهاية كشفت التحقيقات التي قام بها والش عن معاملات الوزير المشبوهة[4]؛ وقد بدأت المحاكمة في 7 تشرين الثاني وانتهت في 25 تشرين الثاني 1929 حيث أدين فال بتهمة قبول رشوة من دوهيني قيمتها 100.000 دولار، وهو حكم الادانة الوحيد في قضية تيبوت دوم. وهنا يمكن القول ان فال كان أول عضو في مجلس الوزراء قد أدين بجريمة ارتكبت اثناء وجوده في منصبه، وقد تم تغريمه بـ 100.000 دولار، وحكم عليه بالسجن لمدة عام. اما دوهيني فقد تمت تبرئته من تقديم الرشوة نفسها لـ فال في 30 اذار 1930 لأنه اصر على ان الـ 100.000 دولار كان قرضاً، فضلا عن قيامه بحجز مزرعة فال مقابل

---

1) Cherny, "Graft and Oil: How Teapot Dome Became the Greatest Political Scandal of its Time", in: The Gilder Lehrman Institute of American History, Issue: 20, June: 2009.

2) Cherny, "Graft and Oil: How Teapot Dome Became the Greatest Political Scandal of its Time", in: The Gilder Lehrman Institute of American History, Issue: 20, June: 2009.

3)Gerald S. Greenberg(Editor), Historical Encyclopedia of U.S. Independent Investigations,(London, 2000),P.101.

4) United State Senate, "Senate Investigates the Teapot Dome Scandal", April 15, 1922.

ذلك القرض[1]. وهكذا اصبح فال معدماً، ولذا تم التغاضي عن الغرامة، وبعد فشل جميع الطعون، دخل فال الى السجن في 20 تموز 1931، لكن تم اطلاق سراحه في ايار 1932 بسبب سوء حالته الصحية[2].

في عام 1929، كان ابن دوهيني، قُتل على يد صديقه بلانكيت، الذي انتحر بعد ذلك، وربما كان سبب ذلك ان بلانكيت كان يخشى ان يُرسل الى السجن لمساعدته في ايصال الاموال الى فال. كما هو الحال مع دوهيني، سنكليرتمت تبرئته من تقديم الرشوة لـ فال، لكنه قضى اشهر عدة في السجن بتهمة ازدراء الكونگرس وازدراء المحكمة[3].

نتج عن لجنة والش قرارات قانونية مهمة تزيد من قوة لجان التحقيق في الكونگرس، فقبل تشكيل لجنة والش كان من حق المتهم عدم الحضور الى المحكمة، فعلى سبيل المثال رفض سنكليرالاجابة على بعض الاسئلة امام مجلس الشيوخ على اساس ان الكونگرس ليس له اختصاص في شؤونه الخاصة. وفي قضية سنكليرضد مجلس الشيوخ، في عام 1929، ايدت المحكمة العليا حق مجلس الشيوخ في القوانين التي اصدرها. ففي وقت سابق اثناء

---

1) United State Senate, "Senate Investigates the Teapot Dome Scandal", April 15, 1922; Nelson Manfred Blake and Oscar Theodore Barck, Since 1900: a History of the United State in Our Times,(New York,1965),P.295; Noonan, Bribes,P.566;Greenberg, Historical Encyclopedia of U.S. Independent Investigations,P.101;Pecqute and Thies, Reputation Overrides Record How Warren G. Harding Mistakenly Became the Worst President of the United States,P.33, 34; Hudson, The Handy Presidents Answer Book,P.314; Steven L. Danwer(Editor), Encyclopedia of Politics of The American West,(Los Angeles, 2013),Vol:1,P.321;David R. Dewberry, The American Political Scandal: Free Speech, Public Discourse and Democracy,(New York,2015),P.125.

2) Robert, "Uncovering a Cover up on Teapot Dome", in: The Washington Post, June 9, 1977; Cherny, "Graft and Oil: How Teapot Dome Became the Greatest Political Scandal of its Time", in: The Gilder Lehrman Institute of American History, Issue: 20, June: 2009.

3) Cherny, "Graft and Oil: How Teapot Dome Became the Greatest Political Scandal of its Time", in: The Gilder Lehrman Institute of American History, Issue: 20, June: 2009.

التحقيق في قضية تيبوت دوم، تم استدعاء شقيق المدعي العام مالي دوجيرتي(Mally Daugherty) امام لجنة تحقيق تابعة لمجلس الشيوخ، لكنه رفض المثول امام اللجنة. غير انه في قضية ماك گرين دوجيرتي(McGrain V. Daugherty)، قررت المحكمة العليا عام 1927، بأن للكونغرس سلطة كبيرة في التحقيق في انشطة المواطنين العاديين، على الرغم من ان الدستور لا يمنح سلطة التحقيق في القضايا الخاصة، وقد اقر ذلك القرار صراحة حق الكونگرس في اجبار الشهود على الادلاء بشهاداتهم امام لجانه؛ وهكذا انتجت جلسات الاستماع للجنة والش فهماً اوسع لدور الكونگرس كهيئة تحقيق[1]. وقد اقر الكونگرس تشريعات استمرت الى الآن، نتيجة فضيحة تيبوت دوم، منح بموجبها مجلس النواب ومجلس الشيوخ سلطة الاستدعاء لمراجعة السجلات الضريبية لأي مواطن امريكي دون النظر الى منصب المواطن، ولا يخضع الامر لتدخل البيت الابيض[2].

اثناء ذلك قدم المدعون الخاصون قضيتين مدنيتين من اجل الغاء عقود النفط المتنازع عليها، وقد تم استئناف كلا القضيتين امام المحكمة العليا التي الغت عقود النفط تلك عام 1927 على اساس ان العقود تم الحصول عليها بطريقة فاسدة والاجراءات غير القانونية[3]؛ لكن لم تتم ادانة دوهيني وسنكلر، لكن الغاء عقود الايجار ادت الى خسراتهم ملايين الدولارات[4].

---

1) United State Senate, "Senate Investigates the Teapot Dome Scandal", April 15, 1922; Cherny, "Graft and Oil: How Teapot Dome Became the Greatest Political Scandal of its Time", in: The Gilder Lehrman Institute of American History, Issue: 20, June: 2009.

2) Damian Paletta, "Mnuchin Reveals White House Lawyers Consulted Treasury on Trump Tax Returns Despite Law Meant to Limit Political Involvement", in: The Washington Post, April 9, 2019.

3) La Follette, On the Teapot Dome Scandal,P.32; Supreme Court Reporter, in: West Publishing Company, Vol: 47-48, Year, 1928;P.416.

4) Craig, "Making The Teapot Dome Scandal Relevant Again", in: Miller Center, University of Virginia, April 11, 2017.

نتيجة لذلك تم غلق حقول تيبوت دوم والك هيلز تم اغلاقهما، ثم اعيد افتتاح حقل الك هيلز خلال الحرب العالمية الثانية[1].

فضيحة وزارة العدل(Scandal of Justice Department).

صاحب تعيين هاردينگ لصديقه هاري م. دوگيرتي مدعياً عاماً في 21 شباط 1921 انتقادات كثيرة في الاوساط السياسية والصحفية؛ وقد تزايدت تلك الانتقادات لاسيما بعد ان انتشرت اخبار الفضائح المالية في عامي 1923-1924، إذ كان اعداء دوگيرتي سعداء، إذ افترضوا انه كان مشاركاً في فضيحة تيبوت دوم، على الرغم من ان فال ودوگيرتي لم يكونا صديقين.

رغم ان دوگيرتي لم يكن له ارتباط بفضيحة تيبوت دوم إلا ان ذلك لم يعنِ انه لم يكن مرتبطاً بقضايا فساد، إذ كان دوگيرتي قد اعلن بعد عام من توليه منصب النائب العام ما يلي: "لم اكن على استعداد لان ادفع سنتاً واحداً من اجل الحصول على منصب النائب العام، ولكنني الان لن اتخلى عن هذا المنصب ولو بُذل لي مقابل ذلك مليون من الدولارات". ويبدو ان هذا بسبب الاعمال المربحة التي حصل عليها دوگيرتي من خلال منصبه، وهذه بعض من الاعمال المدرة للأرباح التي كان يتعاطاها موظفو وزارة العدلية طوال عهد النائب العام دوگيرتي: "تأجيل الاجراءات القضائية ضد كبار التروستات، والعفو عن تلك التي ارتكبت اعمال تهريب خلال الحرب او خرقت القوانين المناوئة للتروسات، وبيع العفو واخلاء السبيل اولئك الذين ادينوا من قبل المحاكم الاتحادية، والاستيلاء على الكحول المصادرة بواسطة الگمارك وبيعها، وبيع مراكز قضاة الاتحاديين او مدعين مناطقيين عموميين للولايات المتحدة، والتمتع غير المشروع بمختلف الاملاك المصادرة بوساطة سلطات الولايات المتحدة عن طريق خرق للأنظمة الاتحادية"[2]. وقد اعلن گاستون مينز(Gaston

---

[1]) Cherny, "Graft and Oil: How Teapot Dome Became the Greatest Political Scandal of its Time", in: The Gilder Lehrman Institute of American History, Issue: 20, June: 2009.

[2]) كان، الخيانة العظمى،ص119-120.

Means)، عميل وزارة العدل فيما بعد: "كنا على ثقة باننا لا نبذل جهودا لقاء لا شيء؛ لقد كان الحصاد ناضجاً، وكنا على علم باننا هناك من اجل حصده".

من بين العديد من المغامرين الذين برزوا خلال عهد حكومة هاردينگ، كان مينز والذي كان في الماضي عميلاً لمصلحة الاستخبارات الالمانية في الولايات المتحدة، وتحت امرة الملحق الجوي ورئيس مصلحة الجاسوسية الالمانية، النقيب كارل بويد؛ كذلك كان قد عرض نفسه للعمل، من وقت لآخر، كعميل مأجور للحكومات المكسيكية واليابانية والانگليزية، وكان من خلال غير قليل من السنين، مخبراً لدى وكالة الشرطة السرية بإمرة لوليم بورنز. وعندما عين النائب العام دوگيرتي، برونز، مديراً لمكتب التحقيقات في وزارة العدل، جلب هذا الاخير مينز الى واشنطن، وكان بورنز يعد مينز: "خير محقق لدى الوكالة". ومن المهمات التي اوكلت الى مينز في مكتب التحقيقات: "كان عليه ان يطالب المهربين بنسب من الارباح، ويبيع الكحول المصادرة، ويقيم العلاقات بين وزارة العدل وعالم الاجرام من اجل عقد صفقات مشبوه، واخيرا كان عليه ان يراقب اعضاء الكونگرس الذين كان النائب العام دوگيرتي يود الحصول على معلومات حولهم". وقد جمع مينز، شخصياً، حسب الشهادة التي ادلاها فيما بعد امام لجنة التحقيق في الكونگرس، مئات الآلاف من الدولارات عن طريق اعطائه للمهربين رخصاً من اجل شراء الخمر، وحمايته بعضاً من عمليات القمار من تدخل السلطات. ويصف مينز، في كتابه ميتة الرئيس هاردينگ الغريبة، الطريقة التي كان يقبض بواسطتها اجره: "....لقد كان كبار المهربين على استعداد لدفع المال من اجل تأمين حماية السلطات لهم....وسرعان ما عُرف في الاوساط المشبوهة، انه ، مقابل الحصول على الحماية، كان بالمستطاع دفع المال الي، وكنت متمركزا في فندق فاندربيلت...". ويقول مينز بأنه عندما كان يجمع المال، كان يعطي نسبة الى جيس سميث(Jess W. Smith)، المساعد الخاص للنائب العام دوگيرتي، وامين سره. ولم يكن سميث يشغل اي منصب رسمي، مع ذلك كان له مكتب خاص بالقرب من مكتب النائب العام. وقد تلقى سميث هو الآخر مع اثنين اخرين من ولاية اوهايو وهما هوارد مانيگتون(Howrd Mannington)

وفريد أي. كاسكي(Fred A. Caskey)، الرشاوى من مهربي الكحول لتأمين الحصانة لهم من المقاضاة. وعقب مرور وقت قصير على اتصال جيس بـ دوگيرتي في واشنطن، استطاع سميث ان يجمع مبالغ مالية كبيرة، وكان يرسلها لشراء اسهم في شركة سمسرة كان سميث قد فتح فيها لـ روكسي ستنسون(Roxy Stinson) زوجته فيها حساباً جارياً تحت اسم مستعار. وكان لـ سميث نفسه اسهم سرية موظفة في وكالات سمسرة، وكان معظم وقته في وزارة العدل ينصرم في اجراء اتصالات هاتفية مع السمسرة، بواسطة خط النائب العام الخاص، مشيرا اليهم بأن يبيعوا او يشتروا اسهما آخذة في الارتفاع[1].

غير ان النشاط غير المشروع الذي سبب المزيد من المشاكل لـ دوگيرتي هي صفقة سميث مع العقيد توماس و. ميلر(Thomas W. Miller)، وهو عضو سابق في الكونگرس ، إذ تلقى سميث وميلر رشوة قدرها نصف مليون دولار تقريباً من اجل الحصول على شركة المعادن الامريكية في المانيا؛ إذ كانت اللجنة الاميركية لمراقبة الاموال الاجنبية، خلال الحرب، قد وضعت يدها على مستندات واسهم شركة المعادن الامريكية لأنها كانت تخص اشخاصاً المان، وباعتها الدولة بالمزاد العلني بمبلغ 7.000.000 دولار. وفي خريف عام 1921 دخل شخص يدعى ريتشارد مرتون من مكتب لجنة مراقبة الاموال الاجنبية، وقدم نفسه باعتباره ممثلا لـ "شركة سويسرية"، ومؤكداً بأن هذه الشركة كانت المالك الشرعي لاسهم ومستندات شركة المعادن الامريكية التي بيعت بالمزاد العلني، وكانت الحكومة، بالتالي مدينة الى هذه الشركة بمبلغ 7.000.000 دولار. وعدت لجنة مراقبة الاموال الاجنبية، فوراً ، مطالبة هذا "الممثل السويسري" حقاً مشروعاً ودفعت بناء على التماس مرتون مبلغ 7.000.000 دولار للشركة السويسرية للمعادن. وكوفئ عدد من الاشخاص، ممن سهلوا هذه المعاملة، مكافئة خيرة، إذ قدم مرتون 391.000 دولار بتحويل على الخزينة، و50.000 دولار قطعا نقدية الى جون ت. كينگ، الممثل الوطني للحزب الجمهوري في

---

1) Girard(Editor), Presidents and Presidencies in American History,P.905; كان، الخيانة العظمى،ص121-127.

كونكتيكوت، الذي كان عميلاً للاتصال طوال المفاوضات. وقبض من هذ المبلغ مراقب اموال الاجانب، توماس ف. ميللر، 50.000 دولار، مكافأة له على الخدمات التي اداها. وقدم ، على سبيل المكافأة كذلك، مبلغ 224.000 دولار الى مساعد المدعي العام دوگيرتي، جيس سميث، لقاء بعض المداخلات الضرورية في قلب الاوساط الحكومية؛ وكان سميث قد اودع مبلغ قدره 50.000 دولار في احد المصارف في حساب مشترك مع دوگيرتي، لذا وجهت تهم الاحتيال على الحكومة لكل من ميلر ودوگيرتي. ولكن هذه الاعمال كانت اكثر اهمية من ان يتحملها سميث، وكان كلما ازداد تورطاً في الصفقات السياسية-المالية العظمى في واشنطن، كلما شعر بارتباك وقلق. وقد كتب لـ روكسي ستنسون يقول: "انني لم اخلق لهذا الامر، فهذه الدسائس تستل مني الصواب. ولشد ما اتمنى ان اعود فقط الى المنزل، ولكنني غرقت في الحمأة حتى العنق ولست بمستطيع ان ادع هاري يسقط" . وحوالي ربيع 1923 كانت لديه من جديد اسباب جدية لأن يقلق، اذ ان تفاصيل ما ارتكبه فوربس من تصرف بالأموال العامة في مصلحة قدماء المحاربين قد بدأ بالانكشاف؛ وكانت لجنة التحقيق في مجلس الشيوخ حول ممتلكات الدولة تراقب عقدي ايجار تيپوت دوم والك هيلز؛ في وقت كان وزير الداخلية فال قد قدم استقالته، وقد تسأل سميث: كم من الوقت يلزم لكي يكشف انسان ما، ما كان يجري في وزارة العدل؟. وفي يوم 30 ايار 1923، وُجد جيس سميث ميتاً في الجناح الذي كان يتقاسمه مع النائب العام دوگيرتي، في ووردمان بارك اوتيل في واشنطن، كان مددا على الارض وقد اخترقت رأسه طلقه نارية. وقد استنتج المحقق وجود انتحار في الموضوع، واخذ بورنز، رئيس مكتب التحقيقات، على عاتقه امر انهاء الاجراءات الشكلية[1].

في شباط 1924 صوّت مجلس الشيوخ على بدء التحقيق في وزارة العدل، وقد ترأس لجنة التحقيق السيناتور سميث و. بروكهارت(Smith W. Brookhart)، والسيناتور

---

[1]) كان، الخيانة العظمى،ص127-132.

بيرتون ك. ويلر(Burton K. Wheeler) وبدأت جلسات الاستماع في 12 اذار 1924.واوضحت التحقيقات ان صديق دوگيرتي المقرب وهو جيس سميث الذي يعمل في وزارة العدل قد اشترك في صفقات فساد[1]. وقد زعم بعض الشهود ومنهم زوجة سميث المطلقة روكسي ستينسون؛ وعميل مكتب التحقيقات الفدرالي السابق گاستون مينز، بأن دوگيرتي كان متورط بشكل شخصي في عمليات الفساد؛ لذا طلب الرئيس كالڤين كوليج من دوگيرتي تقديم استقالته في 27 اذار 1924، وذلك لأن المدعي العام اشار الى انه لن يُسمح للجنة ويلر بالوصول الى سجلات وزارة العدل، فضلاً عن تهم الفساد وسوء الإدارة التي وجهها السيناتور ويلر له، فأمتثل دوگيرتي لطلب الرئيس واستقال في 28 اذار. وفي عام 1927 أدين ميلر وقضى عقوبته بالسجن، لكن هيئة المحلفين لم تُدين دوگيرتي، الذي كان قد اتلف السجلات المتعلقة بهذا الحساب مع شقيقه؛ ولكن على الرغم من اسقاط التهم الموجهة الى دوگيرتي إلا ان هذه المحاكمة ادت الى تدمير ما بقي من سمعته[2].

---

1) New Outlook,(Norwich,1921),Vol:127,P.371; New Outlook,(Norwich,1924),Vol:136,P.380; Congressional Quarterly Weekly Report,(Incorpoated,1969),Vol:27,Part:3,P.2698; Robert A. Hill(editor), The Marcus Garvey and University Negro Improvement Association Papers,(California,1990),Vol: VII, November 1927-August 1949,P.208; Hargrove, The Story of the Teapot Dome Scandal,P.25; Botz, Edward L. Doheny,P.137;Mark Grossman, Political Corruption in America: an encyclopedia of Scandals, Power, and Greed,(New York,2003),P.326; Locomotive Engineers Journal, Vol: 58, 1924, P.266; Trani and Wilson, The Presidency Warreng G. Harding,P.179-180; Amy Handlin(Editor), Dirty Deals: An Encyclopedia Lobbying, Political Influence, and Corruption,(California,2014),Vol:1, P.426.

2) The Independent, Vol:112,P.205; Trani and Wilson, The Presidency Warreng G. Harding,PP.180-181; Robert F. Himmelberg, The Origins of the National Recovery Administration-Business, Government, and Trade Association Issue, 1921-1933,(New York,1976),P.43; Hill, The Marcus Garvey and University Negro Improvement Association Papers,P.208; Handlin, Dirty Deals,P.426; Mark C. Johnson, Political Hell-Raiser: the Life and Times of Senator Barton K. Wheeler of Montana,(Oklahoma,2019),P.56.

كانت حقبة هاردينگ المليئة بالفضائح المالية قد انتهت بشكل فجائي، إذ مات الرئيس في ظروف غامضة غريبة، فبينما كانت تحقيقات مجلس الشيوخ تزداد دونما فتور وتهدد بإلقاء اللوم على فضائح الحكومة، كان هاردينگ يطلب بانتظام الى القليل من الصحفيين الذين كان لا يزالوا يوليهم ثقته، ما يتوجب على الرئيس فعله عندما: "يكون اصدقائه قد خانوه". وفي شهر حزيران 1923، غادر الرئيس هاردينگ واشنطن في قطاره الخاص للقيام بجولة حول الشاطئ. ولدى عودة هاردينگ، بالباخرة، عند نهاية شهر تموز سقط صريع ما زعم انه تسمم، وعند وصوله الى سان فرانسيسكو، رقد في فندق بالاس اوتيل، وهو يشكو حسب التشخيصات من ذات الرئة، وعقب مرور عدة ايام على ذلك، اعلن الاطباء ان الرئيس يسير في طريق الشفاء الاكيد، ومن ثم علمت الامة بدهشة عميقة فجأة، في مساء 2 اب، ان الرئيس هاردينگ قد مات، وحسب نشرة صحية رسمية موقعة من اطباء هاردينگ، عزيت وفاته الى: " ارتباك في الدماغ وهو لاريب سكتة دماغية". وقد احاط مرض الرئيس هاردينگ ووفاته كثير من الحوادث الغريبة، فان التسمم الذي زعم في مبدأ الامر، انه القى بـ هاردينگ في براثن المرض، حصل بسبب اكله سرطان على ظهر السفينة التي اقتادته الى الاسكا؛ ولكن ليس هناك من سرطان على قوائم الاكل في السفينة، ومن ثم لا تبدو على اي من افراد حاشية الرئيس اعراض تسمم من جراء تعفن. واعلن رسميا للصحفيين، خلال الساعات الاولى التي اعقبت وفاة هاردينگ ، ان اي طبيب لم يكن حاضراً ساعة وفاة هاردينگ، وان السيدة هاردينگ كانت طيلة الوقت وحيدة مع زوجها. واصر كثير من الاطباء الذين كانوا قد عالجوا الرئيس على ضرورة تشريح الجثة، ولكن امام تردد السيدة هاردينگ ، دفن الرئيس دون اجراء اي تشريح[1].

---

[1]) كان، الخيانة العظمى،ص132-135.

5
السياسة الامريكية
ودورها في مواجهة المد الشيوعي في اوروبا

د. ايناس سعدي عبدالله
كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

مدخل تاريخي.

اتخذت الولايات المتحدة الامريكية موقفا عدائيا من الاتحاد السوفيتي منذ بداية نشوء دولته، وتجلى ذلك عندما أرسلت دول الحلفاء في الحرب العالمية الاولى (بريطانيا-فرنسا-الصرب) قوات لمساعدة الثوار ضد البلاشفة. وفي عام 1918 اشتركت اليابان والولايات المتحدة في جهة سيبيريا لمساعدة الحكومة التي أسسها كولشاك[1]، واعترف الحلفاء بهذه الحكومة، والتي أرسلت ممثلها سازنوف إلى مؤتمر فرساي. وفي عام 1919 تمكن الجيش الاحمر من التغلب على جميع الثوار، وبذلك انهارت الثورة المضادة بحلول عام 1920[2]. وهناك عوامل عدة كانت وراء الاسباب للعداء بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وهي:

---

[1]) الكسندر كولتشاك(1874-1920):عسكري روسي ومن ابرز قادة الثورة المضادة ضد الحكم البلشفي في روسيا. تمكن من اقامة حكومة في سيبيريا، وفي نهاية 1918 كان جيش كولتشاك يشكل الجبهة الرئيسة في الحرب الاهلية، الا انه هزم في النهاية امام قطعات الجيش الاحمر في نيسان في جبهة الاورال مما ادى الى تراجعه وتفكك جيشه المنهار ثم هزيمته النهائية، ثم القي القبض عليه وحكم عليه بالإعدام في 6 شباط 1920 واعدم بالرصاص في اليوم التالي. انظر:عبد الوهاب الكيالي(تحرير)،موسوعة السياسة،(بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1990)،ج5،ص242.

[2]) محمد محمد صالح وآخرون،الدول الكبرى بين الحربين العالميتين (1914-1945)،(الموصل:مديرية مطبعة الجامعة،بلا.ت)،ص156-157؛علي عودة العقابي،العلاقات الدولية:دراسة تحليلية في الاصول والنشأة والتاريخ والنظريات،(بغداد:بلا.مط،2010)،ص71.

1.لقد ادت ثورة 1917 في روسيا الى بروز الاتحاد السوفيتي كأول دولة عمالية في التاريخ تطمح إلى بناء حضارة اشتراكية بديلة للحضارة الرأسمالية المهيمنة على العالم[1]. ومنذ تلك المرحلة ظهر الانقسام بين الشرق والغرب بسبب وجود تناقضات جوهرية في المصالح الاستراتيجية والإيديولوجية بين الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية[2].

2.كانت الولايات المتحدة تخشى من الطبيعة التوسعية للإيديولوجية الشيوعية، وان هذه الإيديولوجية هي في طبيعتها ثورية ومعادية للرأسمالية، والتي ترغب في تحويل العالم بأسره إلى عالم اشتراكي، والى عالم غير طبقي، وذلك من خلال الثورات العمالية المتلاحقة الموجهة ضد الطبقات الرأسمالية، بزعامة الأحزاب السياسية الشيوعية في العالم، والتي يساندها الاتحاد السوفيتي ماديا ومعنويا، ويشجعها لمعاداة الرأسمالية، ومحاربة دول الغرب الصناعية. ومن ثم فان الاتحاد السوفيتي في نظر الولايات المتحدة يشكل خطرا استراتيجيا، لذا يقع على عاتق الولايات المتحدة مسؤولية التصدي لهذا الخطر، والحد من التوسع الإيديولوجي للاتحاد السوفيتي، وفرض حصار سياسي ودبلوماسي وإيديولوجي وعسكري عليه.

3.ان شعور الولايات المتحدة بالخطر نابع بشكل رئيس من تصورات الاخير حيالها، فالاتحاد السوفيتي كان يخشى من الطبيعة العدوانية والتوسعية للإيديولوجية الرأسمالية، إذ يعتقد إن هذه الإيديولوجية الرأسمالية هي استمرار للإيديولوجية الاستغلالية التي تدفع إلى نهب المناطق الغنية بالموارد الأولية، وتخضعها لهيمنة النظام الرأسمالي العالمي. وكما

---

1) عبد الخالق عبد الله،العالم المعاصر والصراعات الدولية،سلسلة عالم المعرفة،الكويت:مطابع الرسالة،1989،العدد:133،ص64؛

D.F. Fleming, The Cold War and Its Origins 1917-1960,(New york,1965),P.3.

2) John Lewis Gaddis, The United States and The Origins Of The Cold War: 1941- 1947,(New York,1972),P.6.

يتصور إن الولايات المتحدة هي اخطر الدول الرأسمالية ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ برزت الولايات المتحدة كدولة امبريالية راغبة في بسط سيطرتها على جميع دول العالم. كما يرى إن الولايات المتحدة مصممة على محاربة حركات التحرر التي تطمح في إنهاء هيمنة القوى الاستعمارية والامبريالية في العالم، كما تعدى تصور الاتحاد السوفيتي في إن الولايات المتحدة لديها مخططات لإجهاض التجربة الاشتراكية التي تم تأسيسها في الاتحاد السوفيتي[1]. كل ذلك جعل من الاتحاد السوفيتي مصدرا للخطر على المصالح الامريكية.

مع اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939، دخل الاتحاد السوفيتي الحرب عام 1941 الى جانب الحلفاء[2]، وقد ذلك شكل نقطة تحول مهمة ادت الى هزيمة المانيا النازية. ونظرا لكون المانيا تشكل خطرا مشتركا لهما، لذا نجد ان التقارب بين الدولتين في سياستهما الخارجية قد برز الان. ففي اعقاب الغزو الالماني للاتحاد السوفيتي تراجع النفور الايديولوجي امام متطلبات الواقعية السياسية. اذ سريعا ما ادرك الرئيس الامريكي روزفلت، وكبار السياسيين الامريكان المزايا الجغرافية الاستراتيجية العظيمة التي ستعود على الولايات المتحدة بفضل قدرة الاتحاد السوفيتي على مقاومة العدوان الالماني؛ اذ خشوا من القوة المتقدمة التي ستحصل عليها المانيا حين تتمكن من اخضاع بلد غني بالموارد كالاتحاد السوفيتي. ومن ثم مع بداية صيف عام 1941،

---

[1]) عبد الله،العالم المعاصر والصراعات الدولية،ص64-65؛مارتن غريفيش وتيري اوكالاهان،المفاهيم الاساسية في العلاقات الدولية،(دبي:مركز الخليج للابحاث،2008)،ص276.

Stanley Hoffmann, Primacy Of World Order: American Foreign Policy Since The Cold War,(New York,1978),P.253.

[2])في حزيران 1941 اعلن هتلر الحرب على الاتحاد السوفييتي، وقد تصور هتلر هجومه على الاتحاد السوفييتي سوف يحظى بتأييد الدول المناهضة للشيوعية. للمزيد من التفاصيل انظر:ممدوح نصار واحمد وهبان،التاريخ الدبلوماسي:العلاقات السياسية بين القوى الكبرى 1815-1991،(القاهرة:كتب عربية للطباعة والنشر،بلا.ت)،ص226-228.

بدأت الولايات المتحدة في شحن الامدادات العسكرية الى الاتحاد السوفيتي من اجل دعم الجيش الاحمر. اذ كانت جوهر سياسات روزفلت هو العمل على بقاء الاتحاد السوفيتي الى جانب الحلفاء امرا ضروريا لهزيمة المانيا، وان هزيمتها امرا ضروريا لأمن الولايات المتحدة الامريكية. حتى ريس الوزراء البريطاني تشرشل المعارض للشيوعية، ادرك على الفور الاهمية الحرجة لبقاء الاتحاد السوفيتي في الصراع ضد العدوان الالماني. وهكذا وجد السوفييت، والامريكان، والبريطانيون انهم يحاربون عدوا مشتركا، وهي الحقيقة التي اخذت صورتها الرسمية مع اعلان هتلر الحرب على الولايات المتحدة بعد يومين من الهجوم على بيرل هاربر. اذ تدفق ما يزيد من 11 مليار دولار من المساعدات العسكرية من الولايات المتحدة الى الاتحاد السوفيتي خلال الحرب، وهو ما يمثل اكبر تجسيد ملموس للمصلحة المشتركة الجديد الذي جمع بين واشنطن وموسكو[1]. وفي تقرير مرسل الى كل من ستالين ووزير خارجيته مولوتوف يوضح الكميات الكبيرة من الاسلحة، والمعدات، والمواد الغذائية التي ارسلت من الولايات المتحدة الى الاتحاد السوفييتي بموجب قانون الاعارة والتأجير، وبلغت قيمتها 5,357,300,000، في المدة الواقعة ما بين 1 تشرين الاول 1941- 1 ايار 1944[2].ويشير تقرير اخر مرسل الى وزير الخارجية السوفييتي مولوتوف في اب

---

1) روبرت جيه ماكمان،الحرب الباردة،ترجمة:محمد فتحي خضر،(القاهرة:مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2014)،ص26-27.

2) REPORT FROM MIKOYAN TO STALIN AND MOLOTOV REGARDING LEND-LEASE SHIPMENTS FROM THE UNITED STATES FROM 1 OCTOBER 1941 TO 1 MAY 1944, Library Of Congress, 21/3/1944.

1941 عن قرار الحكومة السوفييتية توسيع نطاق التبادل التجاري بينها وبين الولايات المتحدة[1].

رغم التقارب الذي شهدته العلاقات بين الاتحاد السوفيتي، وكل من بريطانيا، والولايات المتحدة الا ان ذلك لا يعني ان العلاقات كانت في كل الاحوال جيدة، ففي بعض الاحيان تسوء الى درجة ما. فقد حاول تشرشل مثلا منذ عام 1943 ان يثير حذر الامريكيين من احتمال قيام الاتحاد السوفيتي بفرض نفوذه على اوروبا الشرقية[2]. في الوقت نفسه عبر الزعيم السوفييتي ستالين عن استيائه الشديد من سياسة دول الحلفاء. اذ كان ستالين يضغط على حلفائه البريطانيين، والامريكيين من اجل فتح جبهة رئيسية ضد المانيا بأسرع ما يمكن كي تخفف الضغط العسكري الشديد عن بلاده. ولكن بالرغم من وعود روزفلت بالقيام بذلك، اختارت الولايات، وبريطانيا عدم فتح جبهة رئيسية ثانية الا بعد مرور عامين ونصف العام على بيرل هاربر، وفضلوا عوضا عن ذلك الدخول في عمليات عسكرية هامشية اقل مخاطرة في شمال افريقيا، وايطاليا في عامي 1942-1943. وحين علم ستالين في عام 1943 انه لن تفتح جبهة ثانية في شمال غرب اوروبا لمدة عام اخر، كتب غاضبا الى روزفلت يقول له: "ثقة الحكومة السوفيتية في حلفائها...معرضة لضغط شديد". ثم طالب بقوة بالانتباه الى: "التضحيات الهائلة التي تقوم بها الجيوش السوفييتية، والتي تبدو تضحيات الجيوش البريطانية، والامريكية مقارنة بها تافهة". وكان ستالين يشك في ان حلفاءه لم يريدوا التخفيف عن السوفييت، وقد كان محقا بالتأكيد لان الامريكيين، والبريطانيين كانوا

---

1) Report By Vyshinsky to Molotov Concerning Trade and Economic Cooperation Between The soviet Union and the United States, Library Of Congress, August, 1941.

2) العقابي،العلاقات الدولية،ص73.

يفضلون ان يموت السوفييت في الحرب ضد هتلر اذا كان هذا يعني ان يعيش المزيد من جنودهم!![1].

ان التقارب الامريكي-السوفييتي لم يمنع يوما أي من الدولتين من الاستمرار في سياستها المعادية تجاه الاخرى، وان كانت ستؤجل الى وقت الانتهاء من العدو المشترك بينهما: المانيا. والحقيقة ان علاقة ستالين الودية مع القوى الغربية قد حيرت العديد من القادة العسكريين السوفييت بشكل كبير لدرجة ان ستالين اضطر ان يرسل في 16 شباط 1943 مذكرة سرية الى قادته العسكريين جاء فيها: "ان الحكومات البرجوازية في الديموقراطيات الغربية، والتي وقعنا معها تحالفا، قد تعتقد باننا اعتبرنا طرد الفاشيين من اراضينا هي مهمتنا الوحيدة. ونحن البلاشفة، ومعنا بلاشفة العالم باسره، نعرف ان مهمتنا الحقيقية لن تبدأ الا بعد ان تنتهي المرحلة الثانية من الحرب. وبعد ذلك ستبدأ بالنسبة لنا المرحلة الاخيرة والحاسمة...مرحلة تدمير الرأسمالية العالمية. ان هدفنا الوحيد هو، ويبقى هو، الثورة العالمية: دكتاتورية البروليتارية. لقد دخلنا في تحالفات لان هذا ضروريا للوصول الى المرحلة الثالثة، ولكن طريقينا يتخذان اتجاهين مختلفين حيثما سيقف حلفاؤنا الحاليين في طريقنا المتجه نحو تحقيق هدفنا الاعظم"[2].

خلال عامي 1943-1944 اخذت قوات الحلفاء تحقق انتصارات كبيرة على المانيا النازية، اذ استطاع السوفييت التصدي للهجمات الالمانية، ونجحوا في استرداد المناطق التي سبق ان احتلها الالمان، وتوالت الانتصارات السوفييتية على الجيوش الالمانية، حتى نجح السوفييت في تحرير الاراضي السوفييتية، ثم اخذوا في تعقب القوات الالمانية الى داخل الاراضي الفنلندية، وكذلك في بولندا، ورومانيا، وبلغاريا، والمجر. وقد

---

[1]) ماكمان،الحرب الباردة،ص27.

[2]) وليام غاي كار،الضباب الاحمر فوق اميركا،ترجمة:لميس فؤاد اليحيى،(عمان:الاهلية للنشر والتوزيع،2013)،ص23.

لعبت الامدادات التي قدمها الحلفاء للاتحاد السوفييتي خلال حربه مع المانيا دورا حيويا في دعم الموقف السوفييتي، اذ كانت هذه الإمدادات تنقل الى الاتحاد السوفييتي عن طريق ايران[1]. اما في الجبهة الغربية فقد شهد شتاء عام 1943-1944 بعض البطء في ايطاليا، ثم استؤنف الهجوم في الربيع، وفي 4 حزيران دخل الحلفاء روما، وبعد يومين تم النزول في شواطئ نورماندیا. وفي 15 اب اتبع بنزول اخر في بروفانس، بعد عشرة ايام تم تحرير باريس، ثم ستراسبورغ في 23 تشرين الثاني، وبلجيكا في بداية ايلول[2].

اخذ الاتحاد السوفييتي مع صيف 1944 يكرس نفوذه في اوروبا الشرقية، فقد توالت انتصارات الجيوش السوفييتية، وادى ذلك الى توقيع اربع هدنات مع من تبقى من الدول التابعة لألمانيا: في 12 ايلول مع رومانيا، بعد سيطرة السوفييت على بوخارست في ا ايلول، ثم فنلندا. ومن جهة اخرى اعلن الاتحاد السوفييتي الحرب على بلغاريا في 6 ايلول، وهاجمها مباشرة، وبعد خمس ساعات من الهجوم السوفييتي طلبت بلغاريا الهدنة، التي وقعت رسيما في 28 تشرين الاول. وفي 20 كانون الثاني 1945 وقعت هنغاريا الهدنة مع السوفييت. ولم تكن هذه الهدنات عسكرية صرفة، بل كانت تتضمن بنودا هامة سياسية، واقتصادية، وحقوقية. فعلى الصعيد السياسي، وطدت الهدنات النفوذ السوفييتي في اوروبا الشرقية، فقد استرجع الاتحاد السوفييتي بسارابيا، والبوكوفين الشمالية، والاراضي التي تخلت عنها فنلندا في 12 اذار 1940. واستعادت رومانيا ضم ترانسلفانيا، وعد تحكيم فيينا الثاني في 29 اب 1940 لاغيا، واضطرت الجيوش البلغارية الى الجلاء عن الاراضي اليونانية واليوغسلافية. وتوجب على كل من رومانيا، وفنلندا ان تدفع مباشرة ما يعادل 300 مليون دولار الى الاتحاد السوفييتي،

---

[1]) نصار ووهبان،التاريخ الديلوماسي،ص228.

[2]) ج.ب.دروزيل،التاريخ الدبلوماسي:تاريخ العالم من الحرب العالمية الثانية الى اليوم،ترجمة:نور الدين حاطوم،(دمشق:دار الفكر،1978)،ج1،ص71-72.

ومن جهة اخرى الغيت القوانين العرقية، وحُلت المنظمات الفاشية، واخيرا قطعت كل من فنلندا، ورومانيا العلاقات الدبلوماسية مع المانيا، وقامت بلغاريا بتجنيد قواتها ضد حليفتها السابقة، وكانت هذه البادرة بداية السيطرة السوفييتية على اوروبا الشرقية، مع ما يتممها من تحرير البلاد الحليفة، بولندا، ويوغسلافيا، وتشيكوسلوفاكيا[1].

الاوضاع في اوروبا واثرها في العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي(1945-1947).

مع اقتراب الحرب العالمية من نهايتها كان الشغل الشاغل للسوفييت هي المسألة الالمانية قبل كل شيء. وكان ستالين في عام 1944، قد تمكن من اقناع كل من روزفلت، وتشرشل بأن المانيا ستستعيد قوتها الصناعية والعسكرية بعد انتهاء الحرب بوقت قصير، وستمثل خطرا قاتلا على الاتحاد السوفيتي. وبناء عليه، طالب الزعيم الروسي بقوة فرض سلام قاس يجرد المانيا من مناطقها، وبنيتها التحتية الصناعية على السواء. وقد كان من شأن هذا النهج ان يرضي الحاجة المزدوجة للسوفييت المتمثلة في كبح جماح المانيا، في الوقت نفسه الذي يقتطع فيه منها مساهمات كبيرة موجهة لجهود اعادة الاعمار السوفييتية. ولكن روزفلت من جهته اظهر عدم استعداده للالتزام الكامل بمقترحات ستالين العقابية، مع انه اخبر ستالين انه يرى فائدة في نزع سلاح المانيا على نحو دائم. وفي الواقع لم يكن الخبراء الامريكيون قد حسموا قرارهم، حتى تلك اللحظة، باختيار احد البديلين المتباينين: اما سحق الدولة الالمانية التي سببت هذا القدر من الخراب، أو معاملتها بكرم، واستخدام فترة الاحتلال المتوقعة في المساعدة على تشكيل المانيا جديدة يمكنها ان تلعب دورا بنّاء في اوروبا ما بعد الحرب. وبالرغم

[1]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص72-73.

من موافقة روزفلت المبدئية على النهج العقابي، فقد ظلت القضية ابعد ما تكون عن الحسم[1].

كانت المسألة الثانية التي اثارت جدلا ليس بالقليل بين الحلفاء هو قضايا اوروبا الشرقية، التي مست على نحو مباشر المصالح الامنية الحيوية السوفييتية. فقد قبل الامريكيون، والبريطانيون وجود منطقة نفوذ سوفييتية في اوروبا الشرقية؛ بمعنى ان يحظى الاتحاد السوفيتي بنفوذ غالب في اوروبا الشرقية. وقد اتفق تشرشل وستالين في تشرين الثاني 1944 مؤقتا على اتفاقية الحصص سيئة السمعة، التي قصد منها تقسيم السواد الاعظم من البلقان الى مناطق نفوذ بريطانية وروسية. ولكن روزفلت لم يوقع على تلك التسوية المؤقتة؛ لأنها كانت تمثل خرقا فاضحا لمبادئ: "حق تقرير المصير الحر الديموقراطي" الذي اعلنته الولايات المتحدة، والتي شكلت حجر اساس الخطط الامريكية للنظام السياسي لحقبة ما بعد الحرب. وقد جسدت بولندا الطبيعة الصعبة للمشكلة. فقد سعت حكومتان بولنديتان متنافستان للحصول على الاعتراف الدولي خلال سنوات الحرب؛ احداهما مقرها لندن، ويتزعمها القوميون البولنديون المناهضون بشدة للاتحاد السوفيتي، والثانية في مدينة لوبلين البولندية وكانت مجرد واجهة لا اكثر يتحكم فيها النظام السوفيتي. في مثل هذا الاستقطاب السياسي، لم تكن هناك ارض مشتركة، ومن ثم لم يكن هناك مجال امام روزفلت للوصول لحل وسط في هذه القضية[2].

من 4-11 شباط 1945 عقد مؤتمر يالطا بين الزعماء الثلاث روزفلت، وستالين، وتشرشل، وحاولوا حل بعض الخلافات الاساسية في الوقت الذين خططوا فيه

---

1) ماكمان،الحرب الباردة،ص28.

2) ماكمان،الحرب الباردة،ص28-29.

لإنهاء الحرب. وقد كانت هناك قضايا هامة كان على المؤتمر حلها، وكان اهمها ما يخص اوروبا وهي:

1.قضية احتلال المانيا، وهل لفرنسا نصيب فيه؟ وما هي حدود المناطق؟.

2.القضية البولندية: كيف يمكن الوصول الى وفاق بين الحكومة البولندية المبعدة في لندن، ويدعمها البريطانيون والامريكان، وحكومة لوبلين البولندية، التي يدعمها السوفييت.

تناول المؤتمر موضوعات كانت محل خلافات بين الحلفاء، لكنه لم يتمكن من التوصل لحلول بشأنها، لذا جاءت معظم قرارات المؤتمر على شكل حلول وسط، على ان تحل بشكل نهائي بمؤتمر دولي اخر يعقد بعد نهاية الحرب. وقد اتفق الحلفاء على استسلام المانيا دون قيد أو شرط، كما اتفقوا على تقسيم المانيا الى مناطق احتلال مشتركة من الولايات المتحدة، وبريطانيا، والاتحاد السوفييتي، فتعطى لكا دولة منطقة خاصة بها[1].وقد ابدى ستالين رفضه التخلي عن منطقة احتلال للفرنسيين، ولم يكن روزفلت نفسه موافقا ايضا، ولكن تشرتشل ووزير خارجيته انطوني ايدن الحا بقوة، وكان يدعمهما من الجانب الامريكي مساعد الرئيس هاري هوبكنز، الذي كان يرى: "ان الاستقرار في اوروبا لا يمكن تصوره من دون فرنسا قوية، وذات نفوذ". وفي الجلسة الثانية قبل ستالين، وروزفلت ان يكون لفرنسا منطقة احتلال تؤخذ من المنطقة البريطانية-الامريكية، ولكنهما رفضا ان تسهم فرنسا في: "لجنة الاشراف الحليفة"، مع حق الفيتو. ثم ان روزفلت تأثر بآراء هوبكنز فأعلن انه موافق على دخول فرنسا في

---

[1]) حسين محمد نصار(تحرير)،الموسوعة العربية الميسرة،(بيروت:المكتبة العصرية،2010)،ص3638؛نعيم كريم شويلي وحنان عباس السعيدي،"موقف الولايات المتحدة الامريكية من القضية البولندية في مؤتمر يالطا 1945"،مجلة آداب ذي قار،المجلد:2،العدد:7،لسنة:2012،ص228.

اللجنة، وكذلك قبل ستالين في 10 شباط. ولم يتم الاتفاق في هذا المؤتمر على قضية التعويضات، بل عهد بحل هذه القضية الى اللجنة التي ستجتمع في موسكو[1].

فيما يخص القضية البولندية، التي كان من الممكن ان تثير النزاعات داخل هذا التحالف، فقد صرح الرئيس روزفلت بأنه يوافق على ان تقف حدودها الشرقية عند خط كورزون عام 1919، في وقت اراد تشرشل ان تكون حدودها الشرقية ابعد من ذلك، ولكن ستالين عارض ذلك بشدة باسم حقوق اوكرانيا، وروسيا البيضاء، وصرح بأنه يمكن اعطاء البولونيين تعويضات من جهة الغرب على حساب المانيا، حتى ولو كان هذا يعني نقل عدة ملايين الماني. وكانت قضية الحكومة البولونية خطيرة، فقد قبل الاتحاد السوفييتي فوق ذلك بتوسيع تمثيل حكومة لوبلين، وقد ابدى تشرشل قلقه عندما رأى الاتحاد السوفييتي يسيطر على بولندا وقد اكد ان بريطانيا لن تسمح الا بجعل: "بولندا دولة حرة ذات سيادة". واخيرا تم الاتفاق على توسيع حكومة لوبلين على اسس ديموقراطية اوسع مع مساهمة البولونيين في لندن وتم ذلك بعد ان تمكن الرئيس روزفلت من اقناع ستالين بهذا الحل في رسالة ارسلت منه الى ستالين اثناء المؤتمر مؤرخة في 6 شباط[2]. وقد اتفق المؤتمر ايضا على نص: "تصريح عن السياسة التي يجب اتباعها في المناطق المحررة"، أو: "تصريح عن اوروبا المحررة". وهذا التصريح ينص على تنظيم حكومات ديموقراطية بطريق الانتخابات الحرة. وقد وافق ستالين على التوقيع على تصريح اوروبا المحررة، وكان بالأساس لإرضاء روزفلت، الذي سعى من خلاله على التغطية على التراجع عن احد اهداف الولايات المتحدة المعلنة من وراء

---

[1]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص80.

[2]) LETTER FROM PRESIDENT ROOSEVELT TO STALIN ON AN ACCEPTABLE COMPROMISE REGARDING THE COMPOSITION OF THE POSTWAR POLISH GOVERNMENT, Library Of Congress ,6 /2/ 1945.

الحرب أي حق تقرير المصير الحر الديموقراطي، ولتهدئة ملايين الامريكيين ذوي الاصول الاوروبية الشرقية، واغلبهم، وهو الامر المهم، كانوا من المصوتين للحزب الديموقراطي. وقد تعهد الزعماء الثلاثة في تلك الوثيقة المعلنة بدعم العمليات الديموقراطية في تأسيس حكومات نيابية جديدة بكل دولة من الدول الاوروبية المحررة. ايضا تلقى الزعيم السوفيتي التأكيد الذي سعى اليه بالزام المانيا بدفع التعويضات، بلغت بشكل مبدئي 20 مليار دولار، منها 10 مليارات دولار مخصصة للاتحاد السوفيتي. بيد ان الاتفاق النهائي على تلك القضية تأجل الى وقت لاحق. وقد مثل التزام السوفييت بالإعلان الحرب على اليابان في غضون ثلاثة اشهر من انتهاء الحرب الاوروبية، الذي جرى التفاوض عليه في يالطا ايضا، انتصار دبلوماسيا كبيرا للولايات المتحدة، شأنه شأن الموافقة السوفييتية الرسمية على الانضمام للأمم المتحدة[1]. رغم ذلك كان بعض الساسة الامريكان ينظرون الى مؤتمر يالطا بقلق بالغ!!، فالسيناتور جوزيف مكارثي قد اتهم اتفاقيات يالطا لعام 1945، بانها كانت وراء الصراعات العالمية لما بعد الحرب العالمية الثانية. وان هذه الاتفاقات السرية بين قادة العالم هؤلاء قد ادت الى التخلي عن اوروبا الشرقية لستالين[2].

في غضون اسابيع من اختتام جلسات المؤتمر، اهتزت روح مؤتمر يالطا لدى الامريكيين والبريطانيين، بسبب عدم رضاهم عن الافعال السوفييتية في اوروبا الشرقية. فأمور مثل

---

[1]) حول النص الكامل لمؤتمر يالطا انظر:

YALTA CONFERENCE AGREEMENT, DECLARATION OF A LIBERATED EUROPE, National Archives and Records Administration (NARA),11/2/1945.

انظر كذلك: دروزيل،التاريخ الدبلوماسي،ص80-81؛ماكمان،الحرب الباردة،ص29-30؛نصار،الموسوعة العربية الميسرة،ص3638؛شويلي والسعيدي،"موقف الولايات المتحدة الامريكية،ص227-239.

[2]) جيم مارس،الحكم بالسر:التاريخ السري بين الهيئة الثلاثية والماسونية والاهرامات الكبرى،ترجمة:محمد منير ادلبي،(دمشق:دار الاوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية،2009)،ص35؛نصار،الموسوعة العربية الميسرة،ص3638.

قمع السوفييت الفظ والوحشي للبولنديين غير الشيوعيين، والافعال الغاشمة في بلغاريا ورومانيا والمجر، وجميعها تحررت حديثا على يد الجيش الاحمر، مثلت في نظر تشرشل وروزفلت خرقا لاتفاقيات يالطا. ففي 27 شباط 1945، قدم فيشنسكي، الوزير المساعد لشئون الخارجية في الاتحاد السوفييتي، انذارا وجهه الى الملك ميشيل ملك رومانيا طالب فيه بإبدال وزارة الجنرال راديسكو بحكومة جديدة برئاسة الشيوعي غروزا. وبالرغم من مقاومة الملك الروماني للمطالب السوفييتية فقد تشكلت هذه الحكومة في 6 اذار، فاحتجت الولايات المتحدة وذكرت الاتحاد السوفييتي بتصريح اوروبا المحررة، الذي تعهدت بموجبه الحكومات الثلاث الحليفة: "بتشكيل حكومات مؤقتة تمثل بصورة واسعة جميع العناصر الديموقراطية للسكان". ومن جهة اخرى لم يقبل مولوتوف وزير الخارجية السوفييتي ان يستعاض في بولندا عن حكومة لوبلين الشيوعية بحكومة ائتلافية، لاسيما وانه قبل بتوسيعها بإضافة بعض الاعضاء اليها. ورفض قبول مجيء وفد من البولونيين في لندن الى موسكو، بعد ان وضع البريطانيون قائمتهم، ولاسيما الزعيم القروي ميكولايتشيك. وفي 1 نيسان ارسل روزفلت وتشرشل الى ستالين برقيات احتجاج، وطلبوا منه الا يفكك وحدة الحلفاء التي تحققت في يالطا. فضلا عن ذلك فقد جرى حادث اخر ادى الى تزايد الخلافات بين الحلفاء، ذلك ان ستالين اخذ على البريطانيين والامريكان محاولة مفاوضات قام بها الجنرال الكسندر، القائد الاعلى لجيوش الحلفاء في ايطاليا، مع الجنرال الالماني كيسلر ينغ لاستسلام منفرد للجيش الالماني في ايطاليا. لذا وجه ستالين الى روزفلت رسالة شديدة اللهجة، واتهمه بتسهيل ارسال عدة فرق المانية الى الجبهة الشرقية، ومحاولة تلطيف شروط الاستسلام الالماني(1). نتيجة لذلك حث تشرشل روزفلت على ان يجعل من بولندا: "سابقة مرجعية بيننا وبين

---

(1) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص88.

الروس". الا ان الرئيس الأمريكي بالرغم من انزعاجه المماثل من سلوك ستالين رفض هذا، اذ ظل مقتنعا حتى ايامه الاخيرة بانه من الممكن الحفاظ على علاقات متبادلة معقولة مع الروس. وحين توفي روزفلت في 12 نيسان جراء الاصابة بنزيف في المخ، وقع عبء تلك المسئولية الثقيلة على عاتق هاري. اس. ترومان عديم الخبرة. ولا يزال الباحثون يختلفون بشأن مقدار الاختلاف الحقيقي الذي احدثه تغير القيادة الامريكية في ذلك المنعطف الخطير من مسار العلاقات الامريكية-السوفييتية. وبالتأكيد بدأ ترومان اكثر استعدادا من سابقه للقبول بتوصيات مستشاريه الذين نصحوه بان التزام الشدة مع الروس من شأنه ان يساعد الامريكيين على تحقيق ما يريدونه. وفي تعليق يكشف الكثير ويكثر اقتباسه عن ترومان، قال الرئيس الامريكي في 20 نيسان، انه لا يرى سببا يمنع الولايات المتحدة من الحصول على 85% مما تريده في القضايا المهمة. بعد ذلك في ثلاثة ايام أي في 23 نيسان دعا على نحو فظ وزير الخارجية السوفييتي مولوتوف للتأكد من ان بلاده ستفي باتفاقاتها فيما يخص بولندا. في وقت صار تشرشل ايضا اكثر انزعاجا مما وصفه بالقسوة والاستئساد السوفييتيين، وهو ما مهد الطريق لاجتماع حاسم للثلاثة الكبار في المانيا التي مزقتها الحرب[1].

اخذت بوادر هزيمة المانيا على الابواب، ففي منتصف اذار اقام الامريكيون رأس جسر على الراين، وفي 23 اذار شرعوا باجتياز النهر بقوة، في وقت كان السوفييت يتابعون هجومهم الصاعق، ويدخلون فيينا في 13 نيسان الى ان بلغوا الالب في 24 منه، وواصل الامريكيون زحفهم نحو الشرق، وفي 26 نيسان جرى الاتصال بين الامريكيين والسوفييت بالقرب من تورغاو، وكان السوفييت قد اتموا قبل يوم واحد فقط من تطويق برلين. وكان انتحار هتلر في 30 نيسان اثر كبير في نهاية الحرب، ففي

---

[1]) ماكمان،الحرب الباردة،ص30.

2 نيسان استسلمت حامية برلين بعد يوم واحد من الاعلان عن موت هتلر، وفي 8 ايار وقع الجنرال جودل في اركان ايزنهاور العامة في رنس، استسلام المانيا دون شرط، وفي 9 ايار جرى توقيع مماثل تحت رئاسة المارشال السوفييتي جوكوف، وهكذا انتهت الحرب في اوروبا[1].وبعد ثلاثة اشهر أنهت قنبلة ذرية الحرب في أسيا، وهكذا انتهى الصراع العسكري الدامي الذي استمر ست اعوام، بعد أن خلف وراءه جراحا دامية، وخرابا ينتشر في كل مكان. ولكن في الوقت نفسه أحدثت الحرب تغييرات رئيسة في الوضع الدولي يمكن أن نلخصها بالاتي:

1.ان نظام الحكومات الأوروبية القديم الذي ضعضعته الحرب العالمية الأولى، قد قضي عليه تماما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ انتهت فرنسا بعد الحرب مباشرة بوصفها دولة كبرى في العالم، ودب الضعف في النفوذ البريطاني في العالم، ولم تعد بريطانيا قادرة على إتباع سياستها التقليدية التي تقوم على توازن القوى، عندما كان لها الكلمة النافذة في هذا الشأن بين دول القارة.

2.أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي الدولتين الوحيدتين اللتين ترسمان سياسة العالم، وتتنافسان على السيطرة عليه بعد أن كانت هذه الصفة مقصورة على الدول الأوربية الغربية فقط. وزاد من قوة نفوذهما إنهما تزعمتا العالم في أبحاث الذرة والتقدم التكنولوجي. لقد أصبح مصير العالم متوقفا على طبيعة العلاقات الدولية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، كما أصبح العالم بأسره أسير لقرارات وسياسات وصراعات هاتين الدولتين اللتين برزتا أكثر كقوة عسكرية واقتصادية وأكثر تأثيرا ونفوذا سياسيا ودبلوماسيا، وإنهما الأكثر رغبة في استغلال الظروف الدولية الجديدة، لفرض أراءهما على بقية دول العالم.

---

[1]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي،ص82-83.

3.لقد خرجت فرنسا من الحرب وهي بالكاد تنهض من كابوس الاحتلال الالماني لها، وتمزقها الانقسامات الداخلية، وكانت المانيا، واليابان محتلتين ومخربتين.

4.أكشفت أسلحة جديدة قلبت النظم العسكرية القديمة وأحدثت ثورة في الأفكار القديمة المتعلقة بالجغرافية العسكرية. إذ أصبحت الدول الصناعية المنيعة في الغرب عرضة للهجوم والتدمير في عصر السلاح الذري.

4.انتعاش القومية وانتشارها في بلدان أسيا وأفريقيا، ومطالبتها بحق تقرير المصير وإنهاء الاستعمار وذلك أدى إلى تغيير الوضع السياسي والاقتصادي السائد فيها

5.ادت الحرب العالمية الثانية وتسويات ما بعد الحرب الى تغيير ديموغرافي في اوروبا، اذ طرد عشرة ملايين من الالمان الذين كانوا يعيشون في بولندا، وتشيكوسلوفاكيا الى المانيا الغربية[1].

في اعقاب الحرب العالمية الثانية برزت الدولتان القويتان الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، وهما تحاولان ان ترسمان اوضاع ما بعد الحرب بعد الهزيمة النهائية لدول المحور، ويبدو ان مصالح الدولتين بعد انتهاء الخطر الاهم اخذ تفعل فعلها في تأجيج الخلافات الى حد ما، فما زال الاتحاد السوفييتي يمثل بالنسبة للقوى الغربية ايديولوجية مغايرة لا تقل خطرا بنظرهم عن النازية وان تحالفوا معها مؤقتا بسبب الاخيرة.

رأينا سابقا كيف ان بوادر الخلافات بين الحلفاء الغربيين من جهة، والاتحاد السوفييتي من جهة ثانية قد بدأت بوادره قبل استسلام المانيا ونهاية الحرب، ومن اجل تسوية القضايا العالقة بين الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة قرر الرئيس ترومان

---

[1]) عبد الله،العالم المعاصر والصراعات الدولية،ص71؛ ج. م.روبرتس،موجز تاريخ العالم،ترجمة فارس قطان،ج2،(دمشق:منشورات وزارة الثقافة،2004)،ج2،ص890؛علي صبح،الصراع الدولي في نصف قرن 1945-1995 ،(بيروت:دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر،2006)،ص18-25.

ارسال هوبكنز الى موسكو. وصل هوبكنز الى موسكو في 25 ايار، وتحدث مليا مع ستالين من 26 ايار-7 حزيران. وقد صرح هوبكنز بأن غايته تحسين العلاقات بين الدولتين بعد ان بردت كثيرا منذ ستة اسابيع. وقد تناولت المناقشات نقاط رئيسة منها ما يخص اوروبا: قضية بولندا، وانشاء مجلس اشراف على المانيا. وقد وجه ستالين خلال هذه المباحثات عدة مآخذ على الولايات المتحدة وهي:

1.دعوة الارجنتين الى مؤتمر سان فرانسيسكو حيث تشكلت منظمة الامم المتحدة.

2.رغبة الولايات المتحدة في دعوة فرنسا الى لجنة التعويضات لأنه: "يرى بأن هذه الدعوة اهانة للاتحاد السوفييتي، لان فرنسا عقدت صلحا منفردا مع المانيا، وفتحت حدودها للألمان[1]...واذا اريد وضع فرنسا على قدم واحدة مع الاتحاد السوفييتي، لبدا من ذلك السعي محاولة لإذلال الروس".

3.ايقاف تجهيزات الاعارة والتأجير للاتحاد السوفييتي بعد استسلام المانيا.

4.لم تسلم القوى الغربية أي باخرة المانية الى الاتحاد السوفييتي.

حاول هوبكنز والسفير الامريكي هاريمان ان يوضحوا وجهة النظر الامريكية فيما يخص الارجنتين تحديدا، فقد اوضحا له بأن بلدان امريكا اللاتينية، لم تقبل بأوكرانيا، وروسيا البيضاء في الامم المتحدة الا اذا قبلت الارجنتين ايضا. اما بشأن بولندا فقد اكد ستالين بانه يخشى من ان يرى بريطانيا تحاول ان تجعل منها، كما في فترة ما بين الحربين العالميتين، بلدا معاديا للاتحاد السوفييتي، واقترح ان ينتخب 30 وزيرا في الحكومة البولونية اربعة وزراء من البولونيين في لندن فقط. وتقرر ان تعرض القضية

[1]) لقد سقطت باريس بيد الالمان في 15 حزيران 1940، وقد احدث ذلك انقسام بين بول رينو رئيس الوزراء الفرنسي الذي كان يرى ضرورة مواصلة القتال، وبين نائبه الجنرال بيتان الذي كان يرى ضرورة الاستسلام، وقد انتهى النزاع باستقالة حكومة رينو، وقيام الجنرال بيتان بتشكيل حكومة موالية للألمان في مدينة فيشي، حيث طلب عقد الهدنة مع الالمان، التي وقعت في 22 حزيران 1940 .للمزيد من التفاصيل انظر:نصار ووهبان،التاريخ الدبلوماسي،ص222-224.

في مؤتمر جديد للثلاثة الكبار: ترومان-تشرشل-ستالين، يعقد ابتداء من 15 حزيران في برلين. اما فيما يتعلق بمجلس الاشراف الحليف على المانيا فلم يكن هناك صعوبة، واعلم ستالين بأن الممثل السوفييتي سيكون المارشال جوكوف[1].

كان المؤتمر المقرر عقده في حزيران قد عقد في ضاحية بوتسدام الالمانية المدمرة في 2 آب 1945 بين ممثلي الاتحاد السوفيتي، الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا. وقد كانت عدد من القضايا الشائكة قد هيمنت على المؤتمر، الذي امتد اسبوعين، وكانت تدور حول تسويات ما بعد الحرب في اوروبا الشرقية والمانيا. لقد تم الاتفاق في المؤتمر بتشكيل: "مجلس وزراء الشؤون الخارجية"، على ان يكون انعقاده الاول في لندن في ايلول 1945. ويتألف المجلس من وزير امريكي، وبريطاني، وسوفييتي، وفرنسي، وصيني. وستكون مهمته تهيئة معاهدات السلام مع الدول التابعة لألمانيا وهي: ايطاليا، رومانيا، بلغاريا، هنغاريا، فنلندا. اما معاهدة السلام مع المانيا فستهيأ فيما بعد. وفيما يختص بالدول التابعة لألمانيا: "يتألف المجلس من اعضاء ممثلين عن الدول التي وقعت شروط التسليم المفروضة على الدولة المعادية التي هي طرف في القضية. ولتسوية السلام مع ايطاليا، عدت فرنسا كموقع على شروط تسليم ايطاليا". وهذا الترتيب اقصى فرنسا عن تهيئة معاهدات السلام مع الدول التابعة الاخرى. وقد شكا البريطانيون من الحالة في بلغاريا، ورومانيا لان الحكومات فيها غير ديموقراطية، ولان لجان الاشراف الحليفة لا تعمل فيها شيئا من الوجهة العملية، ولان الاتحاد السوفييتي يمارس السلطة وحده. فرد ستالين بهجوم معاكس، وشكا من الحالة في اليونان التي يحتلها البريطانيون. في حين اكد تشرشل ان اعضاء البعثة البريطانية في بخارست ليس لهم أي حرية في التجوال اذ: "يبدو ان ستارا حديديا اسدل حولهم". ومن جهة اخرى كان البريطانيون والامريكان

---

[1]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص89-90.

يرغبون في تملك المؤسسات الصناعية التي كانت تخصهم في رومانيا قبل الحرب، أو الحصول على تعويض مناسب. غير ان السوفييت صادروا هذه المؤسسات بحجة انها كانت ملكية المانية، لذا لم يتحقق أي اتفاق في هذه النقطة، واكتفي بتشكيل لجنتين من الخبراء بريطانية-سوفييتية، وامريكية-سوفييتية[1].لقد اغتنم ستالين واحدا من اهم اهدافه الدبلوماسية في بداية جلسات المؤتمر، وهو الاعتراف الامريكي-البريطاني بالنظام القائم في وارشو عاصمة بولندا. وقد شعر حلفائه الكبار بأنه لا مناص امامهم من القبول بالأمر الواقع في بولندا التي يسيطر عليها السوفييت، بالرغم من التوسع الفظ في الحدود الغربية لبولندا ليضم اراضي المانية سابقة. لكنهم رفضوا الاعتراف بنظم مماثلة تابعة للاتحاد السوفييتي في بلغاريا ورومانيا. الا ان المؤتمر اسس مجلس وزراء الخارجية، الهادف الى معالجة تلك القضايا الاقليمية وغيرها من القضايا التي ستتمخض عنها الحرب في اجتماعات مستقبلية، ولوضع مسودات لمعاهدات السلام لقوات المحور المهزومة[2].

شهدت العلاقات السوفييتية-الامريكية تدهورا جديا في الاشهر التي اعقبت استسلام اليابان، ففضلا عن المانيا، واوروبا الشرقية، كان للحليفين السابقين رؤى متباينة حول كيفية تحقيق السيطرة الدولية على الاسلحة الذرية، وحول المصالح المتصارعة في الشرق الاوسط، وشرق البحر المتوسط، وحول قضية المساعدات الامريكية الاقتصادية، والدور السوفييتي في منشوريا. وبالرغم من التوصل الى بعض الحلول الوسط في اللقاءات العديدة لمجلس وزراء الخارجية، فإن عام 1946 اذن بنهاية التحالف العظيم، وبداية الحرب الباردة بأوضح صورها. فخلال ذلك العام بدأت ادارة

---

[1]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص91-92.

[2]) ماكمان،الحرب الباردة،ص31.

ترومان وحلفاؤه الاوربيون ينظرون الى روسيا ستالين بوصفها دولة انتهازية، مستأسدة، ذات شهية نهمة للمزيد من الاراضي، والموارد والامتيازات. ولعل اكثر السياسيين الامريكيين الذين كانوا يبدون تخوفا من السوفييت هو جورج كينان، وهو القائم بالأعمال في السفارة الامريكية في موسكو، ويعد كينان احد الخبراء القلائل بشؤون الاتحاد السوفييتي، وكان ينظر بعين الشك الى النظام السوفييتي. وخلافا للشعور السائد في وزارة الخارجية، يرى ان موقف الولايات المتحدة حيال الاتحاد السوفييتي لين جدا، الا ان المسؤول عنه أي السفير هاريمان كان يمنعه لأنه من دعاة التوافق مع موسكو. وفي 22 شباط 1946، اتيحت له فرصة حين سألت وزارة المالية الأمريكية سفارة بلادها في موسكو لما لا يساهم السوفييت في البنك الدولي الجديد، وصندوق النقد الدولي؟ وكان هاريمان قد نقل لتوه الى سفارة بلاده في لندن، فاستغل كينان هذه الفرصة ليرد على السؤال لواشنطن ما اعتاد المؤرخون ان يسموه البرقية الطويلة. وقد اكد كينان في برقيته على ان عداوة السوفييت للعالم الرأسمالي عداوة راسخة مثلما هي حتمية، وهي نتاج الاتحاد المؤسف لانعدام الامان الروسي التقليدي، والعقيدة الماركسية اللينينية. وقد زعم ان زعماء الكرملين فرضوا نظاما شموليا قمعيا على الشعب الروسي، وانهم يستخدمون الان التهديد المزعوم من طرف الاعداء الخارجيين لتبرير الاستمرار في طغيانهم الداخلي وتمسكهم بالسلطة. وكانت نصيحة كينان محددة: تجنبوا المهادنة، التي لن تفلح على اية حال، وركزوا بدلا من ذلك على كبح انتشار القوة والنفوذ السوفييتيين. وقد اصر على ان الكرملين لن يرضخ الا للقوة الاكثر تفوقا: "السوفييت لا يتقبلون منطق العقل، لكنهم يتأثرون كثيرا بمنطق القوة"[1]. ولاحقا اكد كينان في

---

[1]) انظر نص البرقية في:
GEORGE KENNAN'S "LONG TELELGRAM, National Archives and Records Administration (NARA),22/2/1946.

حديثه امام كلية الحرب الوطنية في كانون الاول 1947 الى موقفه من الاتحاد السوفييتي، عن طريق تقديمه لمفهوم الكذب الضروري كمكون رئيس من مكونات الدبلوماسية الامريكية بعد الحرب، اذ قال: "لقد فاز الشيوعيون بوضع قوي في اوروبا، يفوق وضعنا بدرجة كبيرة...وذلك عن طريق الاستخدام الوقح، والذي للكذب. لقد حاربونا باللاحقيقة، واللامنطق، فهل بإمكاننا ان نحاربهم بالصدق، والمساعدات الاقتصادية الامينة، حسنة النية!!"[(1)].

يبدو ان الخلافات اخذت تتعمق فستالين هو الاخر يشير في الخطاب الذي القاه في شباط عام 1946، على حتمية الصراع مع القوى الرأسمالية،: "ان الحكومة السوفييتية تتوقع صراعا لا مفر منه مع العالم الرأسمالي"، وكما حث الشعب السوفيتي على اليقظة، وعدم الاستكانة، لان انتهاء الحرب لا يعني استرخاء الأمة حسب تعبيره[(2)]. بالمقابل كان الخطاب الذي القاه ونستون تشرتشل في مدينة فيولتون في ولاية ميسوري الأمريكية في 5 آذار 1946، يشير الى ذلك الاتجاه، إذ قال في خطابه، وتأييدا للرئيس الأمريكي ترومان: "انه أصبح مقنعا بان الروس لا يحترمون إلا القوة ويجب على الشعوب الناطقة باللغة الانكليزية أن تتحد لمنع أية مغامرة توسعية يقدم عليها ستالين". كما قال: "من ستيتين على بحر البلطيق الى تريستي في البحر

ماكمان،الحرب الباردة،ص33-34؛فرانك دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ترجمة:عبير المنذر،(بيروت:دار الانتشار العربي،2009)،ص48؛تيم واينر،ارث من الرماد:تاريخ السي.اي.ايه،ترجمة:انطوان باسيل،(بيروت:شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،2010)،ص37.

[1]) ف.س.سوندرز،من الذي دفع للزمار:الحرب الباردة الثقافية،ترجمة:طلعت الشايب،(القاهرة:الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية،2009)،ص62.

[2]) أسامة مرتضى باقر السعيدي،الولايات المتحدة والأمم المتحدة:فترة ما بعد الحر الباردة،(أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة النهرين،كلية العلوم السياسية،2006)،ص19؛العقابي،العلاقات الدولية،ص74؛دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص48.

الادرياتيكي، انسدل ستار حديد عبر القارة"[1]. وحذر تشرشل ايضا من ان الحضارة المسيحية نفسها معرضة للخطر بسبب المد الشيوعي. ويبدو ان الساسة الامريكيون لم يقابلوا هذا الخطاب بحماسة كبيرة، فالقطيعة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي لم تكن كاملة بعد، كما ان مخاوف البيت الابيض كانت اقتصادية اكثر منها سياسية[2]. ولكن مما زاد من توتر العلاقات بين الحليفين السابقين هو تسريح الجيش الأمريكي السريع، والذي لم يتبعه تسريح مقابل من الجيوش السوفييتية، وأوجد هذا جواً من الشك وزاد سوء ظن المقابل[3].

لكن ما هو المبرر الحقيقي للخشية الامريكية من الاتحاد السوفييتي؟

لم يكن السلوك السوفييتي وحده هو المبرر لهذا الرعب من جانب العواصم الغربية، فلا ريب ان نظام ستالين كان يسعى لتحقيق مصالحه بكل قوة. فقد كان الاتحاد السوفييتي بعد الحرب قد اكتسب وضعا اقوى مما بلغته روسيا القيصرية في الماضي، ولو انه دفع الثمن باهظا. وكان لديه درع اوروبي واسع مكون من اراضي سوفييتية، مقسمة الى دول ضعيفة وصديقة له. كما كانت له قوات في شرق المانيا،

---

[1]) انظر النص الكامل للخطاب في:
CHURCHHILL'S "IRON CURTAIN" SPEECH, "SINEWS OF PEACE", Cold War International History Project (CWIHP),5/3/1946.
ونستون تشرشل،مذكرات ونستون تشرشل،ترجمة:محمد شلبي،(القاهرة:الهيئة المصرية للتأليف والنشر،1970)، ج2،ص680؛ ادونيس العكرة،من الدبلوماسية إلى الإستراتيجية:امثولات من الحرب الباردة،قدمه:محمد سعيد مجذوب،(بيروت:دار الطليعة للطباعة والنشر،1981)،ص50؛دوغلاس ستيفنسون،الحياة والمؤسسات الأمريكية،ترجمة أمل سعيد،(عمان:الأهلية للنشر والتوزيع،2001)،ص86؛محمد منذر،مبادئ في العلاقات الدولية:من النظريات إلى العولمة،(بيروت:مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر،2002)،ص163؛ماكمان،الحرب الباردة،ص33؛دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص47

[2]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص47.

[3]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي،ص157.

وهي منطقة صناعية كبرى. اما وراء هذا الدرع فتقع يوغسلافيا والبانيا، وهما الدولتان الشيوعيتان الوحيدتان اللتان نشأتا منذ ايام الحرب من دون مساعدة من الاتحاد السوفييتي، وكانتا كلتاهما حليفتين لموسكو في عام 1945. والاهم من هذا الهيمنة الاستراتيجية السوفييتية في اوروبا الوسطى لم يكن يواجهها أي من الحواجز القديمة التي كانت تواجه روسيا سابقا، كما تمكن السوفييت من فرض حكومات تابعة له في بولندا، ورومانيا، وبلغاريا. ولم يكن بإمكان بريطانيا وفرنسا المنهكتين ان تتصديا للجيش الاحمر، فلم يكن ثمة قوة توازن قوة السوفييت اذا ما عاد الامريكيون الى بلادهم. وكانت الجيوش السوفييتية تقف ايضا على حدود تركيا واليونان، وكانت انتفاضة شيوعية قد بدأت في اليونان[1].

كان السياسيون الامريكان قد اثارت مخاوفهم تنامي الخطر الشيوعي في اوروبا بشكل رئيس، فقد كان رجال العصابات اليساريون يحاربون النظام الملكي اليميني في جبال اليونان بدعم من السوفييت. كما اندلعت اعمال الشغب المتعلقة بالغذاء في ايطاليا وفرنسا، حيث دعا السياسيون الشيوعيون الى اضرابات عامة، واخذ الجنود البريطانيون، والجواسيس ينسحبون من مراكزهم في جميع انحاء العالم، تاركين مساحات واسعة من خارطة نفوذهم مشرعة امام الشيوعيين. واخذت الشمس تغيب عن الامبراطورية البريطانية، التي كانت لا تغيب عنها الشمس!!، ولم يعد بمقدور وزارة المال البريطانية تحمل نفقاتها، وسيصبح على الولايات المتحدة ان تقوم وحدها، بقيادة العالم الحر!!. هذا ما كان يناقشه في اقل تقدير عدد من السياسيين الامريكيين في اجتماع لهم، وهم: ديفيد بروس وهو احد قدامى مكتب الخدمات

---

[1]) ماكمان،الحرب الباردة،ص34.

الاستراتيجية(OSS)[1]،المتجه الى ان يصبح السفير الامريكي في باريس؛ وتشيب بوهلن، مستشار وزير الخارجية، والسفير المستقبلي في موسكو؛ ونائب وزير الخارجية روبرت لوفيت؛ ووزير الخارجية المستقبلي دين اتشيسون؛ والخبير البارز في شؤون الكرملين جورج كينان[2]. وكان وزير الدفاع الامريكي جيمس فورستال قد عبر عن قلقه اكثر من مرة بأن قادة الحكومة الامريكية كانوا على الدوام يقدمون تنازلات الى السوفييت!![3].

رغم تلك المخاوف، كان الاتحاد السوفييتي بالمقابل قد سمح بإقامة انتخابات حرة في المجر وتشيكوسلوفاكيا، وتعاون في تكوين حكومات نيابية في فنلندا والنمسا، واستمر في الانخراط في مفاوضات نشطة مع القوى الغربية من خلال مجلس وزراء الخارجية، بل عمل على كبح الاحزاب الشيوعية القومية في ايطاليا وفرنسا، واماكن اخرى في اوروبا الغربية. باختصار يسمح السلوك السوفييتي بتفسيرات اكثر دقة وتوازنا من تلك التي طرحها كينان وتشرشل. وفي الواقع، لم يكن اقصى ما يخشاه المحللون الامريكيون، والبريطانيون هو السلوك السوفييتي اعلاه، ولا النوايا العدائية التي قد تكمن خلف هذا السلوك. كما انهم لم يفرطوا في الخوف من القدرات العسكرية السوفييتية، على الاقل على المدى القريب. اذ رأى كبار الخبراء العسكريين الامريكيين، والبريطانيين ان الاتحاد السوفييتي كان اضعف من ان يغامر بخوض حرب ضد الولايات المتحدة، وقد عدوا ان هجمات الجيش الاحمر ضد اوروا الغربية، تحديدا، مستبعدة بدرجة كبيرة. بيد ان ما اثار خوف كبار صناع القرار الامريكي، والبريطاني كان امكانية استفادة

---

[1]) مكتب الخدمات الاستراتيجية وهو سلف وكالة المخابرات الامريكية وانشأ عام 1942 .انظر:دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص30.

[2]) واينر،ارث من الرماد،ص43-44.

[3]) مارس،الحكم بالسر،ص34.

الاتحـاد السـوفييتي مـن الضـغوط الاقتصـادية والاجتماعيـة، ومـا يصـاحبها مـن حـراك سياسي، التي استمرت في الهيمنة على عالم ما بعد الحرب. فقد مهدت هذه الظروف السبيل لبزوغ نجم القوى اليسارية حول العالم، وهي الظاهرة التي انعكست على نحو مثير للضيق في الشعبية المتزايدة للأحزاب الشيوعية في اوروبا الغربية، بل تجسدت ايضا في الظهـور القـوي للحركـات القوميـة الثوريـة المناهضـة للاستعمار في شتى انحاء العالم الثالث. اذ كانت الضغوط الاجتماعية والاقتصادية التي سببتها الحرب تجعل الشيوعية تبدو بديلا جذابا في نظر الكثير من شعوب العالم. وقد خشي وزراء خارجية ودفاع الدول الغربية من تحالف الشيوعية المحلية والحركات الثورية الوطنية مع الاتحاد السوفييتي واذعانها له، ولاسيما وان الدور المحوري الذي لعبه في مكافحة الفاشية منحه شرعية ونفوذا بالغين. ومن ثم سيكون بوسع الكرملين ان يزيد قوته، ويوسع مداه دون الحاجة الى المخـاطرة بعمـل عسـكري مباشـر. ورأى المخططـون الاسـتراتيجيون الامريكيـون ان شبح عـامي 1940-1941 يلـوح مـن جديـد. فهـا هـي قـوة معاديـة، مسـلحة هـي الاخرى بأيديولوجية مختلفة تفرض التهديد، في سبيلها للسيطرة على اوراسيا، ومن ثم تقلـب مـوازين القـوى في غـير مصـلحة الولايـات المتحـدة، وتمنعهـا مـن الوصـول الى الاسـواق، والمـوارد المهمـة، وتعـرض الحريـة السياسـية والاقتصـادية داخـل الـبلاد لخطـر داهـم[1]. وباختصـار كانـت هنـاك قضـيتين رئيسـتين قـد تثـيران الخلافـات الحـادة بـين الدولتين هما: الوضع في المانيا، وتنامي الشيوعية في اوروبا الغربية.

اثـيرت المسـألة الالمانيـة وقضـية تقسـيمها لأول مـرة بصـفة رسميـة في اثنـاء زيـارة انتـوني ايـدن وزيـر خارجيـة بريطانيـا الى واشـنطن في اذار 1943، اذ اتفـق الـرئيس الامريكي روزفلت، وايدن على وجوب تقسيم المانيا، كما اتفقا على ان تعود النمسا

---

[1]) ماكمان،الحرب الباردة،ص34-35؛دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص47.

دولة مستقلة[1]. وفي خلال مؤتمر موسكو المعقود في تشرين الاول 1943، اتفق كل من: كورديل هيل، وانطوني ايدن، ومولوتوف(وهم وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة الامريكية، وبريطانيا، والاتحاد السوفييتي على التوالي) على تشكيل: "لجنة استشارية اوروبية"، تقيم في لندن، وتكلف بأن تقترح على الحكومات الثلاث نصوص الاستسلام الالماني، ومبادئ سياسة الحلفاء في المانيا. كما اصدر بيانا عن انتهاء الاتحاد بين النمسا والمانيا، والتمييز في المعاملة بين الشعب النمساوي، والشعب الالماني. وفي مؤتمر طهران، الذي عقد في تشرين الثاني 1943، بين كل من روزفلت، وستالين، وتشرشل، اثار ستالين مسألة تقسيم المانيا، وحذر الحلفاء بأن المانيا الموحدة يمكن ان تستعيد قوتها في مدة تتراوح بين 15-20 عاما. وقد وافق روزفلت على مسألة تقسيم المانيا، واقترح تقسيمها الى خمس دول مستقلة، مع وضع قناة كييل، وهامبورغ، والرور، والسار تحت اشراف دولي لمنظمة الامم المتحدة التي سيتم انشاءها. في حين اقترح تشرشل ان المانيا يجب ان تقسم الى ثلاث دول وهي: بروسيا، والمانيا الوسطى، والمانيا الجنوبية[2]. وحينما طرح موضوع مستقبل المانيا على اللجنة الاوروبية الاستشارية التي اجتمعت في 14 كانون الثاني 1944. اقترحت وسيلتان لانزال العقوبة بها وهما:

1. حرمانها من قدراتها الصناعية، وتحويلها الى قطر زراعي بل رعوي.
2. تمزيق الوحدة الالمانية، واقامة عدة مناطق مستقلة على انقاضها، وتدويل المناطق الصناعية في الرور والسار.

اقترحت بريطانيا يوم 15 كانون الثاني اتفاقا حول اقامة مناطق احتلال في المانيا، وذلك بأن يأخذ السوفييت مناطق المانيا الشرقية وهي: مكلانبورغ، وبوميرانيا،

---

[1]) عبد العظيم رمضان، تاريخ اوروبا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الى الحرب الباردة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997)، ج3، ص163.

[2]) رمضان، تاريخ اوروبا والعالم، ج3، ص163-164.

وبراندبورغ، والسكس-انهالت، وتورنجه، والاراضي الواقعة الى الشرق، أي 40% من البلاد، و36% من السكان، و33% من الموارد الاقتصادية. وتؤلف برلين جزيرة موزعة بين ثلاثة مناطق احتلال. في حين يحتل البريطانيون الشمال الغربي من المانيا بما فيها منطقة الرور الصناعية الغنية، في وقت يحتل الامريكيون الجنوب، ولاسيما الاراضي المتاخمة لفرنسا. وقد اعلن الاتحاد السوفييتي موافقته على المقترح في 18 شباط 1944، على ان روزفلت اقلقه ان تكون الولايات المتحدة مبتعدة عن مناطق الرور الغنية، وان تكون الجيوش الامريكية مضطرة الى الاعتماد على الخطوط الحديدية، والطرق الفرنسية، لذا وافق في تشرين الاول 1944 بعد ان اجرى تعديلين على المقترح البريطاني هما:

1.تنقل السار وبالاتينا الواقعتين على الضفة اليسرى من نهر الراين، الى المنطقة البريطانية، وان تؤلف هس-كاسل، وهس-ناسو قسما من المنطقة الامريكية.

2.ان يكون للجيش الامريكي منفذا على موانئ شمال غربي المانيا، أي في المنطقة البريطانية[1].

في 11 تشرين الثاني 1944 اعلن تشرشل قبول فرنسا عضوا دائما رابعا في اللجنة الاستشارية الاوروبية، وفيما بعد خلال مؤتمر يالطا تم اعطاء فرنسا حصة احتلال المانية من المنطقتين البريطانية-الامريكية، لذا حصلت فرنسا على السار، وبلاتينا، وقسم هام من رينانيا الجنوبية من المنطقة البريطانية، في حين اخذت فرنسا جزء من منطقة بادن، وفرتامبورغ، وطريق اولم-شتوتغارت من المنطقة الامريكية.

كادت اول مشكلة تندلع بين الحلفاء يوم 21 نيسان عندما اقترح تشرشل على الرئيس ترومان ان تتقدم الجيوش الانكليزية-الامريكية الى ابعد ما يمكن خلال

---

[1]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص121-123؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص164-165.

المنطقة السوفييتية، وتحتل اراضي هذه المنطقة ليضغط على السوفييت لإيضاح موقفهم حيال المانيا، ولكن الرئيس الامريكي رفض ذلك لأنه سيقضي على الثقة المتبادلة بين الحلفاء[1]. وعلى كل حال عندما استسلمت المانيا دون قيد أو شرط في 8 ايار 1945، كان احتلالها قد تم من قبل الحلفاء، وفي نهاية ايار كان الحلفاء يحتلون كل الاراضي الالمانية داخل المناطق المتفق عليها في يالطا[2].

في 5 حزيران اصدر الحلفاء بيان برلين الذي اعلن فيه الحلفاء صراحة، ان الهدف من احتلال المانيا ليس تحريرها من النازية، بل هو السيطرة على دولة معادية. كما اقر فيه الاجراءات المترتبة على تسليم المانيا دون قيد او شرط، وقد تضمنت هذه الاجراءات: تسليم كل القوات البحرية، والبرية، والجوية، بما في ذلك العتاد والمخازن، وتسليم كبار الزعماء النازيين، ومرتكبي جرائم الحرب، كما اشتملت على الخطوات التي تتخذ لضمان نزع سلاح المانيا نزعا كاملا. واكد البيان ان على المانيا ان تنصاع للمطالب المالية التي توجه اليها. وفي اليوم نفسه، رسمت خطوط الجهاز الذي يحكم المانيا، بحيث تقسم البلاد الى اربع مناطق، وتقوم قوات الدول الحليفة باحتلال برلين في صورة قطاعات، وتتولى ادارتها سلطة حاكمة من بينها، ولكن السوفييت رفضوا رفضا باتا التنازل عن أي شطر من منطقتهم في برلين الى فرنسا ، لذا اقتطعت المنطقة الفرنسية من القطاعات البريطانية-الامريكية فقط. وقد جرى تقسيم المانيا بالشكل التالي: 12000 امريكي بأمرة الجنرال ايزنهاور الذي اختار مدينة فرانكفورت على الماين مقرا له، و25000 بريطاني بأمرة المارشال مونتغمري في مدينة باد-اوينهاوزن، و11000 فرنسي بأمرة الجنرال لاتر دي تاسيني في مدينة بادن، و60000 سوفييتي

---

[1]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص124 ؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص165-166.

[2]) ACT OF MILITARY SURRENDER, GERMANY, Multilateral Agreements, 1931-1945,8/3/1945.

بأمرة المارشال شوكوف في برلين-كارلزهورست. وفي برلين حل مكان الرايخ مجلس للرقابة مؤلف من رؤساء اركان الحرب الاربعة، يتولى مباشرة السلطة العليا في المانيا كلها. واعلنت الدول الاربعة انها تعتزم مشاورة حكومات الدول الاخرى الاعضاء في الامم المتحدة، فيما يختص بالسلطة العليا التي تتولاها في المانيا. وقد امسك الحلفاء المانيا بجميع السلطات العليا بما فيها ادق التفاصيل التي تتعلق بأمور الناس حتى في القرى النائية[1]. كان من المفترض ان يقوم القادة الاربعة بصفتهم ممثلين لحكوماتهم باتخاذ جميع القرارات ذات الطابع الهام بالإجماع، ومن ثم العمل على ترجمتها بالصورة التي يرونها مناسبة كل في منطقته. لكن هذا الامر لم ينجح الا بصورة محدودة، اذ ان المصالح المتناقضة التي برزت بصورة متزايدة حالت دون قيام الحلفاء بوضع سياسة موحدة ازاء المناطق المحتلة. فقام كل واحد منهم بإدارة المنطقة التابعة لنفوذه بالطريقة التي يراها مناسبة، فكانت هذه السياسات تشكل عائقا امام حركة التبادل التجاري في المانيا، وادت الى تقطيع اوصال المناطق بطريقة تعسفية وجائرة[2].

خلال المدة بين 1-4 تموز تم انسحاب القوات الامريكية والبريطانية من المناطق التي تحتلها في سكسونيا، وتورينغن، ومكلينبورغ الى القطاعات التابعة لها في برلين بعد تسليم تلك المناطق الى السوفييت. وفي 9 تموز تم تقسيم منطقة الاحتلال السوفييتي الى خمس ولايات هي: براندينبورغ، ومكلينبورغ-فوربومبرن، وتورينغن، وسكسونيا، وسكسونيا-انهالت[3].

---

[1]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص167؛يورغن وير،موجز تاريخ المانيا الحديث،ترجمة:شفيق البساط،(لندن:دار الحكمة،2005)،ص12.

[2]) وير،موجز تاريخ المانيا الحديث،ص12-13.

[3]) وير،موجز تاريخ المانيا الحديث،ص31.

اثناء مؤتمر بوتسدام تم الاتفاق على ان يمارس القائد الاعلى في كل منطقة من مناطق الاحتلال الاربع السلطة العليا في منطقته، ويختص المجلس الاعلى بالأمور المشتركة التي تهم مختلف المناطق كالمواصلات، والبريد، وبعض الشؤون الاقتصادية[1]. كما تم الاتفاق على تجريد المانيا من السلاح تجريدا كاملا وجعلها غير عسكرية، والقضاء على الحزب القومي-الاشتراكي(النازي)، والغاء القوانين النازية، ومحاكمة مجرمي الحرب، واجراء حملة تطهير لأعضاء الحزب النازي، والاشراف على التعليم الالماني، كما جرت محاولة لجعل المانيا لا مركزية، وديموقراطية على الا تحدث حكومة مركزية المانية في الحال، وان يراقب بشدة مستوى الانتاج الاقتصادي. كما جاء في بنود هذه الاتفاقية مسألة التعويضات التي وقعت على كاهل ألمانيا بان تلتزم بدفع تعويضات الحرب للدول المتضررة، وخاصة الاتحاد السوفييتي، لكن الاتفاقية لم تشر إلى الأوضاع الاقتصادية الألمانية. والحقيقة ان مشكلة التعويضات اصبحت مجددا عقبة اساسية. اذ قوبل طلب ستالين بالعشرة مليارات دولار من التعويضات الالمانية، الذي ظن انه اتفق عليها في يالطا، برفض راسخ من جانب ترومان ومستشاريه. ولان الامريكيين باتوا مقتنعين الان بأن التعافي الاقتصادي، والرخاء المستقبلي لأوروبا الغربية، وللولايات المتحدة نفسها، يستلزم ان تكون المانيا قوية من الناحية الاقتصادية، فقد عارضوا أي خطط من شأنها اعاقة تحقيق ذلك الهدف. اذ قدم وزير خارجية الولايات المتحدة جيمس. اف. بيرنز مقترحا للتسوية قبله الاتحاد السوفيتي في نهاية المطاف على مضض. نص العرض على ان تستخلص القوى الاربع العظمى وهي: الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، والاتحاد السوفييتي التعويضات بالأساس من مناطق الاحتلال الواقعة تحت سيطرتها. اي ان التعويضات السوفييتية فيقتطعها الاتحاد السوفييتي من منطقته الخاصة، ويأخذ علاوة

---

[1]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم،ج3،ص168.

على ذلك من المناطق الغربية 15% من الادوات الصناعية المستعملة مقابل قيمة معادلة لسلع غذائية، ومواد اولية، و10% من الآلات الصناعية غير الضرورية للصناعة الالمانية دون مقابل[1]. كما نوقشت مسألة المطالب الاقليمية، فأتفق على تعديل الحدود الشرقية لألمانيا، فتعطى روسيا مدينة كونغسبورغ الروسية والاراضي المجاورة لها، لتكون: "ممسكة برقبة المانيا"!!. وان تسلخ من المانيا جميع الاراضي الممتدة شرق حوض الاودر حتى فرع نايس، ويعهد بإدارتها لبولندا، على ان يخضع هذان التعديلان بصفة خاصة الى التحديد النهائي لحدود المانيا الشرقية وفق مؤتمر الصلح. كما تقرر ترحيل الالمان عن بولندا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، على ان يتم هذا الرحيل: "بأسلوب انساني، ونظامي"[2].

في تلك الاثناء تقدمت عدة دول بمطالب اقليمية لها في المانيا، فقد طالبت الدنمارك ضمان الاقليات في الشلزويك، وطالبت هولندا بمساحة قدرها 1750كم^2، مأهولة بـ 119,000 نسمة. في حين طالبت بلجيكا، ولوكسمبورغ بتصحيحات صغيرة على الحدود، وطالبت بولندا بمدينة فرانكفورت وبعض الاراضي الاخرى. اما تشيكوسلوفاكيا فقد طردت الالمان من منطقة السوديت، وطالبت بعدد من المدن التي تقع في الاراضي البولندية الجديدة. وقد تصرفت بولندا في الاراضي الالمانية التي عهد اليها بإداراتها كما لو كانت ارضا بولندية، فشردت سكانها الالمان، ونقلت اليها الفلاحين البولنديين. وكانت مطالب فرنسا ذات صفة خاصة، فقد طالبت في 10 ايلول 1945 بفصل رينانيا اي الضفة اليسرى لنهر الراين عن المانيا نهائيا، ووضعها تحت الاشراف الاستراتيجي، والسياسي لفرنسا، وبريطانيا، وبلجيكا، وهولندا. وان

---

[1]) كولن باون وبيتر موني،من الحرب الباردة حتى الوفاق 1945-1980،ترجمة:صادق إبراهيم عودة،(عمان:دار الشروق للنشر والتوزيع،1995)،ص41؛دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص92-93؛نصار،الموسوعة العربية الميسرة،ص802.

[2]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص169؛ويبر،موجز تاريخ المانيا الحديث،ص31-32.

تقسم رينانيا الى عدة مناطق يمكن ان تأخذ استقلالها الذاتي تدريجيا. كما طالبت بفصل الرور عن المانيا وتدويلها. وكانت فرنسا ترى من واجبها، ولمستقبلها الخاص، الاشراف على اراضي رينانيا لتوصد بذلك طريق الغزو الى الابد[1].

كانت بوادر الخلافات سرعان ما برزت بين الاتحاد السوفييتي وباقي الحلفاء حول المانيا، ففي 12 تموز 1946 اعيد بحث القضية الالمانية في اجتماع مجلس وزراء الخارجية الاربعة، الذي كان مؤتمر بوتسدام قد قرر انشاءه لوضع معاهدات الصلح مع دول المحور وحلفائها. وفي هذا الاجتماع عارض مولوتوف فرنسا، وطالب بتوحيد المانيا من الناحية السياسية لا من الناحية الاقتصادية[2]. وفي 6 ايلول 1946 اعلن وزير خارجية الولايات المتحدة بيرنز تحبيذه لتوحيد المانيا بسرعة، ولكن في مؤتمر باريس المعقود بين 25 نيسان-12 تموز باريس عدل عن موقفه بعض الشيء، فصرح بأنه يعني ان تكون الدولة في المانيا اتحادية في المستقبل، كما اقترح عقد معاهدة بين الدول الاربع المحتلة، تتضمن تجريد المانيا من السلاح ومن كل نشاط عسكري لمدة 40 عاما[3]. ولكن وزير الخارجية السوفييتي مولوتوف رفض المقترح الامريكي الخاص بتجريد المانيا من السلاح، وطالب بدلا عن ذلك ان تكون منطقة الرور تحت اشراف القوى الاربعة، كما طالب بتعويضات للاتحاد السوفييتي قيمتها 10 مليارات دولار[4].

كانت الازمة التي بدأت بين الاتحاد السوفييتي، والقوى الغربية تبرز في حقيقتها اقتصادية، فالمناطق التي كانت تحتوي على اعلى القطاعات الصناعية في البلاد، واغناها بالموارد كانت معزولة فعليا عن النفوذ السوفييتي. لذا اخذ السوفييت يتقاضون

---

1) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص169؛ويبر،موجز تاريخ المانيا الحديث،ص31-32.

2) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص171.

3) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص171-172.

4) ويبر،موجز تاريخ المانيا الحديث،ص36.

التعويضات من ألمانيا، ويجعلون منطقة احتلالهم تعيش من مواردها الخاصة، وقد رفضوا تقديم بيانات عن كثير مما أخذوه من منطقتهم الخاصة فأثار هذا سخطاً متزايداً لدى السلطات الأمريكية، والبريطانية لأنها كانت مضطرة لاستيراد الطعام إلى مناطق احتلالها وعلى نفقتها الخاصة[1]. بالمقابل امر نائب الحاكم العسكري الامريكي لوسيوس كلاي بوقف التعويضات التي كانت على شكل امدادات الى المنطقة السوفييتية، لأنها لم تقابل بالمثل من قبل السوفييت[2].من جانب اخر كان الاتحاد السوفييتي يعارض تماما توحيد المانيا من الناحية الاقتصادية، لذا قرر الامريكيون، والبريطانيون، العمل منفردين على توحيد منطقتهم اقتصاديا ابتداء من 2 كانون الاول 1946، ولكن منطقتا احتلالهما كانت غير كافية من الناحية الزراعية، في حين كانت المنطقة الروسية تكفي بنسبة 91%[3].

في تشرين الثاني 1946 اجتمع من جديد مجلس وزراء خارجية الاربعة في نيويورك، ونوقشت فيه القضية الالمانية، ولكن لم يتم التوصل الى نتيجة ايجابية، وتقرر مناقشة القضية في جلسة اخرى تعقد في موسكو في اذار 1947[4].

انعقد مؤتمر موسكو في 10 آذار 1947،لوزراء خارجية الدول وذلك لعقد معاهدات الصلح مع ألمانيا والنمسا، وجاء انعقاد هذا المؤتمر بعد يومين من إعلان مبدأ ترومان الذي أوضح فيه تصميم الأمريكيين على مقاومة الأطماع السوفيتية ولاسيما في شرق البحر المتوسط، وبذلك كانت الأجواء التي انعقد فيها المؤتمر متوترة بدرجة كبيرة،

---

[1]) لويس دللو،التاريخ الدبلوماسي،ترجمة:سموحي فوق العادة،(بيروت:منشورات عويدات،1970)،ص115؛ باون وموني،من الحرب الباردة حتى الوفاق،ص47؛ ماكمان،الحرب الباردة،ص31.

[2]) ويبر،موجز تاريخ المانيا الحديث،ص36.

[3]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص172.

[4]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص172.

إذ لم ينجز المؤتمر شيئاً حول معاهدات السلام المطروحة، وبذلك يعد مؤتمر موسكو عنصراً مركزياً في تطور الحرب الباردة، إذ علم الأمريكيين إن لا أمل لهم في مفاوضة السوفييت إلا من مركز قوة، ومنذ تلك المدة لم يكن إي من الجانبين كثير الاهتمام بالمصالحة[1]. لقد اكد هذا المؤتمر على اختلاف وجهات النظر السوفييتية من جهة، وباقي الحلفاء من جهة اخرى، فقد ناقش المؤتمر مسألة حكومة المانيا المستقبلية. اذ ابدت فرنسا رأيها بأن تكون المانيا لا مركزية، وذات حكومة اتحادية ضعيفة، واثنى عشر اقليما. في حين اكد الاتحاد السوفييتي مطالبته بدولة مركزية ، وطالب في الوقت نفسه بقسط من الاشراف على الرور، في وقت كان الامريكيون، والبريطانيون يريدون حكومة قوية اتحادية، تشرف على الشؤون الخارجية، والجمارك، والمصارف، والسفن، والنقل، وبذلك لم تتفق الدول الكبرى على شكل الحكم[2].

في تشرين الثاني 1947 عقد مؤتمر لندن لمجلس وزراء الخارجية، الذي اطلق عليه اسم مؤتمر الفرصة الاخيرة، ومع ذلك فلم يتوصل الحلفاء الثلاثة مع الاتحاد السوفييتي الى حلول لكثير من المشاكل العالقة. فقد اعلن الاتحاد السوفييتي على معارضته لمشروع المساعدات الامريكية الاقتصادية المسمى مشروع مارشال. في وقت استمر النزاع حول شكل الحكومة القادمة في المانيا، فقد الح وزير خارجية الاتحاد السوفييتي على اقامة حكومة مركزية المانية، دون ان يتخذ اي تدبير مبدئي لتوحيد المناطق الاربعة توحيدا سياسيا واقتصاديا. لقد فشل مؤتمر لندن بشكل واضح في ايجاد حلول للمسألة الالمانية، ويتضح ذلك في تصريح الجنرال مارشال في نهاية المؤتمر: "لا

---

[1]) باون وموني،من الحرب الباردة حتى الوفاق،ص 48.

[2]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص172.

نستطيع في الوقت الحاضر ان نؤمل في توحيد المانيا، بل يجب ان نعمل بكل امكانياتنا في المنطقة التي يظهر فيها نفوذنا"[1].

كان الاتحاد السوفيتي قد اقترب جدا من اوروبا الشرقية بموجب مقررات مؤتمر بوتسدام، الذي تم فيه إقرار الحدود النهائية للاتحاد السوفيتي بناء على مقترح مقدم منه، وقد تعين بموجبه الحدود الغربية للاتحاد السوفيتي حسب معاهدة السلام التي ستعقد مع الدول المهزومة على أن تكون الحدود السوفيتية محاذية لبحر البلطيق، إذ تمر في نقطة تقع شرق خليج دانزيغ شرقا، ثم شمال برونسبرغ غولداب، وحتى نقطة التقاء حدود ليتوانيا وجمهورية بولندا شرق بروسيا. وقد وافق المؤتمر على الاقتراح السوفيتي القاضي بضم مدينة كونيغسبرغ والمناطق المحاذية لها إلى الاتحاد السوفيتي[2]. الامر الذي سيأزم العلاقات مع الولايات المتحدة لاحقا. من جانب اخر بدأ خلال هذه الفترة الضغط السوفييتي الواضح على تركيا، ففي 20 اذار 1945 فسخ الاتحاد السوفييتي معاهدة الحياد والصداقة، التي وقعها مع تركيا في 17 كانون الاول 1935، واعلم الحكومة التركية بأنه يجب عليها، اذا ارادت الحصول على اتفاق عسكري، ان ترجع الاراضي الروسية القديمة، وهي قارس، واردهان في الاناضول، وان تستبدل معاهدة مونترو لعام 1936 الخاصة بتنظيم الملاحة في المضايق، باتفاق جديد. وفي 2 تشرين الثاني 1945 اقترح الرئيس ترومان على تركيا ان تفتح المضايق في كل وقت الى السفن التجارية لجميع البلاد، والى السفن الحربية للبلدان المحاذية للبحر الاسود. وقد قبلت تركيا، وبريطانيا هذه المقترحات كأساس للنقاش، ولكن الاتحاد السوفييتي طلب في مذكرتين في 7 اب، و24 ايلول 1946، بأن يؤمن الدفاع عن المضايق باشتراك تركيا،

---

[1]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص173.

[2]) بيتزل،مقررات مؤتمر طهران-يالطا-بوتسدام،ص262.

والاتحاد السوفييتي معا. فرفض البريطانيون والاتراك رفضا مطلقا هذا المبدأ الذي يساعد السوفييت في السيطرة على المضايق[1].

الاجراءات الامريكية لمقاومة الخطر الشيوعي في اوروبا(1945-1947).

ان تزايد المخاوف الغربية من الاتحاد السوفييتي جعل الولايات المتحدة تتبع عدة أساليب لمقاومة الخطر السوفييتي، وعرفت هذه الأساليب باسم سياسة الحصر والاحتواء. وقد ظهر هذا مصطلح الاحتواء لأول مرة في مقالة لسفير الولايات المتحدة الأمريكية في موسكو (جورج كينان) 1947،إذ دعا فيه إلى احتواء الخطر الشيوعي بأسلوب حذر، وإتباع سياسة حازمة معه وعلى مدى واسع[2]. اذ كان كينان يعتقد ان الكرملين: "كان ينوي-بإصرار- ان يسيطر على كل ركن وزاوية في مجال القوة العالمية بأيديولوجيته المتعصبة"، وقد اقترح نمط سياسة: "قوة مضادة، ثابتة، واحتواء راسخ يقظ"[3].وقد عبر كينان لاحقا عن قصده حول سياسة الاحتواء بقوله: "ان فكرة الاحتواء التي حملتني الجرأة على عرضها في عام 1947، كان يقصد بها احتواء ما كنت أعتقده واخرون من خطر توسع الشيوعية الستالينية على الصعيد السياسي، وخاصة خطر احتمال احتلال الشيوعين، الذين يستلهمون الفكر من موسكو،...البلدين الصناعيين الكبيرين المهزومين، المانيا واليابان"[4]. وتهدف سياسة الاحتواء الى:

---

[1]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص164-165؛احمد نوري النعيمي،تركيا وحلف شمال الاطلسي،(عمان:المطبعة الوطنية،1981)،ص65-72.

[2]) بطرس بطرس غالي ومحمود خيري عيسى،المدخل إلى عالم السياسة،(القاهرة :مكتبة الانجلو المصرية، 1966)،ص662-663؛جوزيف فرانكل،العلاقات الدولية،ترجمة:غازي عبد الرحمن القصيبي،(جدة:دار تهامة للنشر،1984)،ص70؛العقابي،العلاقات الدولية،ص74.

[3]) سوندرز،من الذي دفع للزمار،ص62.

[4]) جورج كينان،الدبلوماسية الامريكية،ترجمة:عبد الاله الملاح،مراجعة وتقديم:عبد الكريم ناصيف،(بيروت:مطبعة الاهرام،1988)،ص190.

1.تحديد النفوذ السوفييتي، وجعله غير قادر على مد اذرعه نحو اوروبا الغربية.

2.احباط المخططات السوفييتية الرامية الى السيطرة على دول العالم، أو ادخالها ضمن دائرتها، أو سيطرتها، أو نفوذها.

بدأت فكرة الاحتواء تتبلور كردة فعل للتهديدات السوفييتية، قبل أن تصاغ مفهوماً ذا دلالات سياسية معينة خاصة بعد أن وضع كينان لها الأساس، وتقوم سياسة الاحتواء على عدة مبادئ هي:

1.ان الحرب الشاملة هي الشكل الوحيد لأي حرب قادمة يمكن ان يسببها تعرض سوفييتي لأوروبا الغربية أو الولايات المتحدة نفسها.

2.ان الاحتكار النووي والتفوق الامريكي سوف يكونان رادعا حاسما، بحيث لن يجرأ الاتحاد السوفييتي على اختراق حدود الحصر خشية لجوء الولايات المتحدة لحرب ذرية ضده.

3.ان حصر النفوذ السوفييتي واحتواء اوروبا يتطلبان اقامة حزام قوي من التحالفات، والقواعد العسكرية التي تقف بوجه أي محاولة توسع شيوعي نحو البلدان الاخرى.

4.اعتماد الولايات المتحدة على قوتها الجوية كونها اكثر اقتصادا، واعظم فاعلية بدلا من الانفاق على جيش بري كبير، وقوات بحرية ضخمة[1].

لا شك ان كل المسائل الرئيسة في السياسة الامريكية الخارجية آنذاك بما فيها المسائل العسكرية والسياسية والاقتصادية والايديولوجية، تنبع كلها من مركز الولايات المتحدة كدولة عملاقة توازن قوة الاتحاد السوفيتي، لذا تطلبت السياسة الامريكية انفاق الكثير من المال، كما تطلب حذرا دائما، ودبلوماسية متيقظة[2]. ولقد اعتمدت

---

[1]) سوسن العساف،استراتيجية الردع:العقيدة العسكرية الامريكية الجديدة والاستقرار الدولي،(بيروت:الشبكة العربية للأبحاث والنشر،2008)،ص76-77.

[2]) فرانكل،العلاقات الدولية،ص70؛العقابي،العلاقات الدولية،ص74.

الولايات المتحدة الأمريكية على سياسة المساعدات الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية بوصفها وسيلة فعالة لزيادة التأثير في البلدان المستفيدة منها، فضلاً عن أن تلك المساعدات كانت محدودة التأثير ولم تجرِ وفق المقاييس الضرورية لتحقيق التقدم المطلوب، إذ كانت الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن ارتفاع المستوى ألمعاشي للبلدان التي تستحق المساعدة يجعلها أكثر قدرة على شراء البضائع الأمريكية، لذلك فهي تقوم أحياناً بتشجيع شراء منتجات بعض الدول لكي تقلل من حاجة هذه البلدان للمساعدات والقروض والمنح، فضلاً عن أن الهدف من وراء تقديم المساعدات الاقتصادية كان لغايات سياسية، إذ إنها ترى إن تقديم العون الاقتصادي يمنع هذه الدول من تأسيس علاقات اقتصادية مع الكتلة الاشتراكية وبالتحديد مع الاتحاد السوفييتي[1].

كان اول اجراء عملي اتخذته القيادة الامريكية تطبيقا لسياسة الاحتواء هو مواجهة الاضطرابات الداخلية في تركيا، التي كانت تواجه ضغطا سوفييتيا كبيرا، واليونان. فاليونان فكانت تعاني من حرب اهلية ابتدأت عام 1947، التي رأت فيها الولايات المتحدة على انها بتدبير شيوعي. والحقيقة كانت ازمة الشيوعيين في اليونان تعود الى ايام الحرب العالمية الثانية. فعند اندلا ع الحرب اجتاحت القوات الايطالية اليونان، لكنها لم تستطع الصمود بسبب المقاومة اليونانية لها، الامر الذي ادى الى تدخل القوات الالمانية مباشرة، وهو ما ادى الى هروب الحكومة اليونانية الى القاهرة في ايار 1941، مع استمرار المقاومة اليونانية ضد الالمان، والايطاليين وقد شكل الشيوعيون عماد هذه المقاومة الرئيس. وعندما انهارت ايطاليا عام 1943 كان

---

[1]) احمد الشيباني،الأهداف الاستعمارية وراء مشروع مارشال،(بيروت:دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر د.ت)،ص 72- 73.

الشيوعيون يحكمون قبضتهم على المناطق الجبلية في اليونان، ثم قامت جبهة التحرير الوطني اليونانية ذات الغالبية الشيوعية بمحاولة شق الاسطول اليوناني الموجود في مصر لإضعاف الحكومة هناك. والحقيقة ان تحركات جبهة التحرير الوطني اليونانية لم تكن خافية على الحلفاء، واستباقا للأحداث طلبت بريطانيا من الملك قسطنطين الاول العودة الى اثينا. لكن الحكومة اليونانية اصرت على اجراء انتخابات مسبقة في اليونان. عندئذ سلم البريطانيون السلطة الى الجنرال سكوبي الذي استطاع فرض سلطة الحكومة بعد توقيع اتفاق مع جبهة التحرير يمنع بموجبه اللجوء الى القوة في سبيل استلام السلطة. ثم ان الزيارة التي قام بها تشرشل لموسكو في تشرين الاول 1944 عززت قدرة بريطانيا بعد اتفاق الطرفين على وضع اليونان تحت الحماية البريطانية، مما اضعف جبهة التحرير سياسيا، وتعرضت بعدها لهزيمة عسكرية على يد القوات البريطانية لاسيما بعد ان اوقفت يوغسلافيا الامدادات عن الشيوعيين عبر حدودها بسب: خلاف ستالين وتيتو. عندئذ عينت بريطانيا رئيس اساقفة روما داماسكينوس وصيا على العرش اليوناني. وفي عام 1945 تم توقيع اتفاق مع حركات المقاومة حول عودة الديموقراطية لليونان، لكن النظام لم يستتب بسبب التهم المتبادلة بين الاطراف المحلية حول مسألة الحدود مع بلغاريا ويوغسلافيا. وفي 31 اذار 1946 اجريت انتخابات عامة في اليونان رعاها الاميركيون، والبريطانيون، والفرنسيون بغياب السوفييت، ادت الى فوز القوى اليمينية الملكية فيها، تلاها استفتاء حول عودة الملك جرى في ايلول طان التأييد فيها بنسبة 75% بالرغم من معارضة جبهة التحرير الوطني لذلك. ومع عودة الملك قسطنطين الاول عادت الاضطرابات الى اليونان واخذت طابع الحرب الاهلية، عندئذ تقدم اليونان بشكوى للأمم المتحدة حول تدخل يوغسلافيا وبلغاريا في شؤونه الداخلية، لان الدولتين كانتا تساعدان الشيوعيين، لكن شكلت لذلك لم تستطع

تقديم شيء يذكر. وازاء فشل الامم المتحدة ازداد الوضع خطورة مهددا السلام والامن الدوليين، نظرا لما للصراع الداخلي من ابعاد دولية، ولما لعلاقة الاطراف المحلية بالقوى الخارجية، في هذه الاثناء مات الملك اليوناني وحل مكانه شقيقه بول[1].

كان السفير البريطاني في الولايات المتحدة قد حذر في 21 شباط 1947، وزير الخارجية الامريكي بالوكالة دين اتشيسون، من انه على المساعدة البريطانية العسكرية، والاقتصادية لليونان وتركيا، ان تتوقف في غضون ستة اسابيع، وسيحتاج اليونانيون الى ما يقارب المليار دولار، على امتداد الاعوام الاربعة المقبلة، لمحاربة خطر الشيوعية. ومن موسكو ارسل بيدل سميث الذي يعمل في السفارة الامريكية في الاتحاد السوفييتي، تقويمه بان القوات البريطانية هي القوة الوحيدة التي تمنع اليونان من السقوط في الفلك السوفييتي. لذا قرر المسئولون الامريكيون سريعا ان على الولايات المتحدة ان تضطلع بدور بريطانيا بحيث تعمل على صد الانتشار المحتمل للنفوذ السوفييتي في شرق المتوسط، ومن ورائه الشرق الاوسط الغني بالنفط. فقد اخذ الخوف من الشيوعيين الحمر يزداد في الولايات المتحدة، وكان الجمهوريون المعادين للسوفييت يسيطرون على الكونغرس، ومع ازدياد سلطة سياسية من امثال السيناتور جون مكارثي المنتخب عن ويسكنسون، وعضو الكونغرس ريتشارد نيكسون عن كاليفورنيا، اخذ شعبية ترومان في الانهيار، وقد تراجع معدل تأييده في استطلاعات الرأي خمسين نقطة منذ انتهاء الحرب، لذا اخذت تزداد قناعاته بأن السوفييت شر في العالم الخارجي. وقد استدعى ترومان واتشيسون، والسيناتور فاندنبرغ، الرئيس الجمهوري للجنة العلاقات الخارجية. وقد شرح اتشيسون ان اقامة رأس جسر شيوعي في اليونان سيشكل تهديدا لكل اوروبا الغربية، وسيتعين على الولايات المتحدة ان تجد طريقة لإنقاذ العالم الحر!!، وسيفترض

---

[1]) صبح،الصراع الدولي في نصف قرن،ص65-67.

بالكونغرس ان يدفع الاموال. وقد اكد السيناتور فاندنبرغ على ترومان ان الطريقة الوحيدة التي ستمكنك من الحصول على هذا هي: "القاء خطاب تثير فيه هول البلاد". لذا القى ترومان في 12 اذار 1947 خطابا في جلسة مشتركة للكونغرس، الذي ما لبث ان اطلق عليه مبدأ ترومان، وعلى الرغم من هذا الخطاب لم يستغرق سوى ثمانية عشر دقيقة الا انه كان يحمل الرؤية الاستراتيجية الامريكية خاصة تجاه القارة الاوربية في مواجهة تمدد الهيمنة السوفيتية[1]. وقد حذر الرئيس الامريكي في خطابه من ان العالم سيواجه الكارثة ما لم تحارب الولايات المتحدة الشيوعية في الخارج. وقال الرئيس انه يجب ارسال مئات الملايين من الدولارات لدعم اليونان التي تهددها الان ما وصفه بالنشاطات الارهابية، لبضعة الاف من الرجال المسلحين. وبدون المساعدة الامريكية،: "قد تعم الفوضى كافة انحاء الشرق الاوسط، وسيزداد اليأس عمقا في دول اوروبا، وربما خيم الظلام على العلام الحر!!". ثم اكمل خطابه بقوله: "لن نبلغ اهدافنا...ما لم نكن مصممين على مساعدة الشعوب الحرة على الاحتفاظ بمؤسساتها الحرة، ووحدتها القومية بمقاومة الاعمال العدوانية التي تحاول فرض انظمة غير ديموقراطية...وليس ذلك سوى اقتناع صريح بأن الانظمة غير الديموقراطية المفروضة على شعوب حرة باعتداءات مباشرة، أو غير مباشرة، تقوض ركائز السلم الدولي، وتقوض بالفعل نفسه ركائز امن الولايات المتحدة...فاني اعتقد بأن سياسة الولايات المتحدة يجب ان تبنى على مساعدة الشعوب التي تقاوم محاولات الاقليات المسلحة، أو الضغوط الخارجية عليها". وان أي هجوم يشنه عدو للولايات المتحدة في أي دولة من

---

1)TRUMAN DOCTRINE, "RECOMMENDATIONS FOR ASSISTANCE TO GREECE AND TURKEY",Truman Library,12/3/1947.

ميلاد ممتاز منسي،الكونجرس الامريكي والسياسية الخارجية للولايات المتحدة،(القاهرة:مكتبة مدبولي،2010)،ص106.

دول العالم يشكل هجوما على الولايات المتحدة. وطلب ترومان من الكونغرس الموافقة على مد اليونان وتركيا 400 مليون دولار[1].

في 3 نيسان صوت الكونغرس الامريكي بالإجماع على مشروع القانون، الذي يعطي للرئيس الحق في امداد اليونان، وتركيا بالمساعدات الازمة، على ان تقرير لجنة الكونغرس اكد من جهة اخرى على: ايضاح العلاقة بين المساعدة المقترحة، وهيئة الامم المتحدة، وتم تعديل هذا القانون عن طريق الاقتراح الذي قدمه السيناتور فاندنبرغ، والذي تم مناقشته في 8 نيسان في مجلس الشيوخ، وتضمن الاقتراح:

1. يجب تقديم المساعدات لليونان بسبب الاضطرابات الاقتصادية التي تمر بها، والتي نجمت بدورها من احتلال المانيا، وكذلك لحالة الفوضى التي نشرتها الاقلية الشيوعية التي يؤيدها ويدعمها الاتحاد السوفييتي.

2. على الولايات المتحدة ان تقاوم تلك الظاهرة المتنامية، والتي قد تتطور وتصبح خطرا عالميا ذو مدا واسع، اذ رأى فاندنبرغ ان السماح للاتحاد السوفيتي باكتساح اليونان وتركيا سيؤدي الى نتائج غير مرغوبة.

3. قضية الزمن تحتل جانبا هاما في تلك المساعدات، وبالتالي لن يمكن للأمم المتحدة ان تلعب دورا في هذا المضمار، كي لا تتعرض لازمات تعرقل مسيرتها. ان هذا الطرح لا يعد منهجا جديدا، بل اجراء عاجل تحت ظروف خاصة. ويجب على الولايات المتحدة ان تقدم يد المساعدة لأية دولة تقاوم الاعتداء، وعلى الكونغرس ان يدعم

---

[1]) باون وموني،من الحرب الباردة حتى الوفاق،ص32؛موريس كروزيه،تاريخ الحضارات العام:العهد المعاصر،ترجمة:يوسف اسعد داغر وفريد.م.داغر،(بيروت:منشورات:عويدات،1987)، ج7،ص418؛العقابي،العلاقات الدولية،ص75؛ماكمان،الحرب الباردة،ص35-36؛واينر،ارث من الرماد،ص45-46؛دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص49.

الرئيس، اذ ان اي انقسام داخلي في الصفوف سيعطي انطباعا للاتحاد السوفيتي باننا نعاني من التفكك[1].

في يوم 22 نيسان تم التصويت النهائي على مشروع القانون، وقبل ذلك الموعد بيوم واحد تعمد فاندنبرغ ان يقرأ على اعضاء مجلس الشيوخ رسالة ابرقها اليه وزير الخارجية مارشال، والذي كان آنذاك في موسكو لحضور اجتماع مباحثات يجمع بين بلاده، والاتحاد السوفييتي، وبريطانيا، وفرنسا، وطالب مارشال في خطابه تعجيل الموافقة على مشروع القانون، لأنه ادرك ان النقطة المحورية هي مواجهة الاتحاد السوفيتي، والهيمنة الشيوعية، وتعمد ان يكون هذا الايضاح من جانب وزير الخارجية الذي كان آنذاك في دائرة صناعة السياسة الخارجية السوفيتية في موسكو[2].وبعد شهرين من خطاب ترومان اوضح وزير خارجيته دين اتشسون انه ينوي حصر المساعدة الامريكية في الدول التي تقر الولايات المتحدة نظامها السياسي والاقتصادي[3].

على الرغم من اهمية الاعتبارات الاقتصادية في تنامي الاتجاه داخل الادارة الامريكية بضرورة اتساع دائرة المساعدات الاقتصادية الخارجية للقارة الاوربية، الا انه كانت اعتبارات اخرى ساهمت في تسارع ذلك الاتجاه، فمن جانبها اكدت لجنة التنسيق بين وزارات الخارجية والحربية والبحرية على ان على الولايات المتحدة ان تتخذ خطوات ايجابية في سبيل مواجهة التدهور الاقتصادي والسياسي في الدول او المناطق التي تعد حيوية للآمن القومي الامريكي. وقد تواردت عدة تقارير بشأن الموقف الدولي الى ترومان من بينها ارسلها ممثلي حكومات الدول الاوروبية معبرين فيها عن قلقهم من الموقف الاقتصادي لبلادهم، وكذلك من المكاسب التي قد يحققها الاتحاد السوفيتي في

---

[1] منسي،الكونجرس الامريكي،ص114.

[2] منسي،الكونجرس الامريكي،ص116.

[3] كروزيه،تاريخ الحضارات العام،ص418-419.

حالة اتجاه الاوضاع الى مزيد من التدهور، وبعد عودة وزير الخارجية مارشال في 26 نيسان من مؤتمر وزراء الخارجية بموسكو محملا بانطباعات سلبية عن الموقف السوفيتي، اذ كان يأمل ان يقنع السوفييت بمد جسور التعاون مع الاتحاد السوفيتي، الا ان السوفييت طبقا لتعبير ترومان: "مهتمين فقط بمد بتنفيذ مخططاتهم، وكذلك مصرين على استغلال الحالة المتدهورة لأوروبا لنشر الشيوعية بدلا من التعاون مع باقي دول العالم"[1].

هكذا خرجت الولايات المتحدة الأمريكية بصيغة جديدة تمثلت بالقانون الذي أقره الكونغرس بتقديم المعونة الاقتصادية والعسكرية لتركيا واليونان، وكذلك لأي بلد يتعرض لاعتداء شيوعي، وبذلك فان مبدأ ترومان هو سياسة خارجية انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية بهدف: صيانة المصالح القومية الأمريكية، وتعزيز النفوذ الأمريكي عن طريق محاربة امتداد الشيوعية تحت ستار صيانة السلام العالمي، وكما اقترن هذا المبدأ مع سياسة الاحتواء التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية لمواجهة الاتحاد السوفييتي. وقد اخذت ملايين الدولارات تنهمر على اليونان، الى جانب السفن الحربية، والسلاح، والذخيرة، وقنابل النابالم، والجواسيس. وسرعان ما اصبحت اثينا واحدا من اكبر مراكز التجسس الامريكية في العالم[2].

ان المساعدات المالية، والاقتصادية، والتقنية الكبيرة التي نالتها اليونان مكنتها من الوقوف بوجه الشيوعيين الذين ضعفت قوتهم بعد تزايد الخلاف السوفييتي-

---

[1]) منسي،الكونجرس الامريكي،ص120-121.

[2]) إبراهيم سعيد البيضاني،أبحاث في السياسة الأمريكية تجاه المشرق العربي بعد الحرب العالمية الثانية،(بغداد:مركز الدراسات الإستراتيجية،2003)،ص8؛واينر،ارث من الرماد،ص46.

اليوغسلافي، ومن ثم قامت الولايات المتحدة بدعم العسكريين في انقلابهم ضد الملك، وهكذا اصبحت اليونان ضمن الدول الحليفة للولايات المتحدة[1].

اما تركيا فقد غدت عنصراً فاعلاً ومهماً في السياسة الأمريكية، إذ أنها كانت تواجه الضغط السوفييتي الرامي إلى السيطرة على المضايق، وبعض المقاطعات الشرقية[2].وقد تزايد الاهتمام الأمريكي بتركيا نتيجة لمحاولة الاتحاد السوفيتي الاقتراب من الشرق الأوسط، الأمر الذي حفز تركيا إلى التقرب من الولايات المتحدة للتخلص من الضغط السوفيتي وتشير وثيقة إلى ذلك صراحة: "لا يزال محور السياسة الخارجية التركية هو التمسك بالصداقة التامة مع الولايات المتحدة الأمريكية والاعتماد عليها في درء المخاطر التي تشهدها من الجانب الروسي"، غير إن الملاحظ هو إن الأمريكيين كما تشير إلى ذلك وثيقة أخرى: "مع تشجيعهم التام لتركيا وإسداءهم المساعدات العسكرية كتجهيزها بالغواصات والأسلحة الحديثة التي شحنت أخيرا مقابل المنحة البالغة (100)مليون دولار، فإنهم لا يزالون يترددون في بذل كل ما تطلبه تركيا من الاعتمادات والتسهيلات مرة واحدة لإنعاش الحالة الاقتصادية وتوسيع نطاق التجارة، وفي تكوين علاقات إستراتيجية ومصالح متبادلة"[3]،وعلى ضوء ذلك كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى الحفاظ على سلامة الحدود الشرقية لتركيا من تهديدات الاتحاد السوفييتي، لأنها ترى أن أي تقويض للسيادة التركية من جانب الاتحاد السوفييتي سيؤدي إلى انهيار جبهات أخرى جنوب تركيا"[4].

---

[1]) صبح،الصراع الدولي في نصف قرن،ص67.

[2]) البيضاني،أبحاث في السياسة الأمريكية تجاه المشرق العربي،ص8.

[3]) صبحي ناظم توفيق،المعاهدة البريطانية– الغربية– التركية(الحلف البلقاني) في وثائق الممثليات الدبلوماسية العراقية المعتمدة لدى تركيا1936–1957،(بغداد: بيت الحكمة:2002)،وثيقة رقم52،ص229–230.

[4]) البيضاني،أبحاث في السياسة الأمريكية تجاه المشرق العربي،ص 8.

جاءت الخطوة الامريكية الثانية نحو مقاومة المد الشيوعي في اوروبا في 5 حزيران 1947 عندما القى الجنرال مارشال خطابا في جامعة هارفرد قال فيه: "ان الحالة العالمية خطيرة جدا. فقد خلفت الحرب الدمار حتى ان حاجات اوروبا اعظم من قدرتها على الدفع...ومن الضروري ان نتصور مساعدة اضافية، مساعدة مجانية هامة جدا، تحت طائلة التعرض لانهيار اقتصادي، واجتماعي، وسياسي خطير جدا". واكد مارشال ان هذه المساعدة، التي لابد منها بسبب نقص الدولار الذي تعانيه فرنسا، وبريطانيا، وبصورة عامة اوروبا، يجب الا تمنح شيئا فشيئا وبصورة غير منتظمة، كما كانت الحال منذ 1945، بل على مقياس اوسع. ومن الضروري من جهة اخرى ان تمنح هذه المساعدات الاوروبية بمجموعها: " أن أية حكومة ترغب في أن تساهم في جهود الانتعاش الأوربي ستلقى منا كل العون والمساعدة"، وعلى هذه البلدان ان تضع في اول الامر بيانا بمواردها وامكانياتها، وان تقيم فيما بينها تعاونا. وهكذا فإن الولايات المتحدة، بمبدأ ترومان، وبرنامج مارشال، قد اختارت عن عزم وتصميم اوروبا الغربية، واعتبرتها عنصرا حاسما في التوازن العالمي[1].وكانت الفكرة الأمريكية تقوم على إعادة اقتصاديات أوروبا، وبذلك تقضي على ظروف الحرمان واليأس التي يمكن أن تؤدي إلى نمو الشيوعية. وفي 22 حزيران 1947،أمر الرئيس ترومان بتأليف ثلاث لجان لتحري مقادير الميزانية العامة الأمريكية، وتقدير إمكانيات الولايات المتحدة الأمريكية في تحقيق

---

[1]) انظر النص الكامل لخطاب مارشال في:

THE MARSHALL PLAN, SPEECH BY US SECRETARY OF STATE GEORGE C. MARSHALL, Congressional Record,5/6/1947;

انظر كذلك:دروزيل،التاريخ الدلوماسي، ج1،ص180؛الشيباني،الأهداف الاستعمارية وراء مشروع مارشال،ص125؛رأفت غنيمي الشيخ،امريكا والعالم،(القاهرة:عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،2006)،ص119؛ منسي،الكونجرس الامريكي،ص125-126؛

James A. Nathan and James K. Oliver, United States Foreign Policy and World Order,(Boston,1975),P.86.

مشروع مارشال، والبحث فيما إذا كان المشروع يلحق أذىً وضرر بالاقتصاد الأمريكي، وكانت أولى اللجان لجنة حكومية يرأسها السيد (كروج) وزير الداخلية الأمريكية، واللجنة الثانية: كانت تتألف من لجنة مستشاري الرئيس ترومان للشؤون الاقتصادية، واللجنة الثالثة: تتكون من شخصيات أمريكية مدنية، وقدمت هذه اللجان تقاريرها في 7 تشرين الأول 1947، وأجمعت: إن الموارد الأمريكية كافية لتحويل، وتحقيق مشروع مارشال[1].

أعقب إعلان مشروع مارشال عقد مؤتمر ضم كل من فرنسا، وبريطانيا، ثم قبل الاتحاد السوفييتي الاشتراك فيه، وقد انعقد المؤتمر في باريس من 27 حزيران-2 تموز. وقد اقترح جورج بيدو وزير الخارجي الفرنسي في البدء ان تطبق المساعدة التي قال عنها الجنرال مارشال على اوروبا كلها، باستثناء اسبانيا، وحتى على الدول المحايدة والبلاد المغلوبة. واوصى بأن تشكل حالا لجان خاصة لكل فرع اقتصادي كبير. وان تجمع لجنة موجهة البيانات الموضوعة من قبل كل لجنة. وقد وافق بيفن وزير الخارجية البريطاني على المقترح الفرنسي، لكن وزير الخارجية السوفييتي مولوتوف عارضه، وانتقد برنامج مارشال بقوة، ورأى ان تشكيل لجنة موجهة من شأنه ان يؤثر على استقلال الدول القومي، وان بعض الدول الاوروبية لاسيما الاتحاد السوفييتي، واوروبا الشرقية، سارت في خطط اقتصادية وترفض تغييرها. ومن جهة اخرى، ان مساعدة المانيا، تنهي قضية التعويضات، في حين ان ضحايا المانية بحاجة اليها. وكل ما قبله مولوتوف هو ان تكون المساعدة الامريكية تعويضا لضحايا المانيا وحدها، دون تعاون ولا تنسيق مع الخطط القومية[2]. وهكذا رفض الاتحاد السوفييتي الاشتراك في مشروع مارشال، وكما شاركته

---

[1]) الشيباني،الأهداف الاستعمارية وراء مشروع مارشال،ص126- 127؛الشيخ،امريكا والعالم،ص120؛ Hoffmann, Primacy Of World Order,P.7.

[2]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص181.

في الرفض جميع دول أوربا الشرقية. وكان سبب الرفض هو: رغبة مولوتوف بأن تقتصر المنح والقروض الأمريكية على غرض الإنعاش فقط، وان تخير كل دولة في كيفية الاستفادة من تلك القروض دون الرجوع إلى البرامج التي وضعتها الولايات المتحدة الأمريكية لهذا الغرض، وعدم التقيد بالمبدأ الذي أعلنه جورج مارشال في 2 تموز 1947،والذي قال بان أهم شروط المشروع الإنعاش الأوروبي هو إشراك الولايات المتحدة الأمريكية في مراقبة صرف الاعتمادات المرصودة للدول الأوربية. وفي 2 تموز انسحب مولوتوف من مؤتمر باريس، وكان من النتائج الناجمة عن القرار السوفييتي انسحاب كل من: المجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والتي كانت قد أظهرت اهتماما بهذا المشروع[1].

في 3 تموز قررت كل من فرنسا وبريطانيا دعوة جميع البلدان الاوروبية الى مؤتمر يعقد في 12 تموز لدراسة المقترح الامريكي بخصوص المساعدات، فقبلت ايطاليا، والبرتغال، وايرلندا، واليونان، وهولندا، وايسلندا، وبلجيكا، واللوكسمبورغ، وسويسرا، وتركيان والنمسا، والسويد، والنرويج. ورفضت البلدان ذات الحكومات الشيوعية كلها المشاركة، أو وضعت شروطا تعادل الرفض، اذ رفضت فنلندا المشاركة لأسباب كما قالت: "سياسية، وجغرافية". وقبلت تشيكوسلوفاكيا المشاركة في 5 تموز، وحدد وفدا، لكن رئيس مجلس وزرائها غوتفالد وهو شيوعي دعي الى موسكو، ربما عرضت عليه مساعدة افضل. كما ذهب وزير التجارة السوفييتي الى براغ، وفي 11 تموز أي قبل افتتاح المؤتمر الاوروبي بيوم، اعتذرت تشيكوسلوفاكيا عن قبول الدعوة[2].

---

[1]) باون وموني،من الحرب الباردة حتى الوفاق،ص35.

[2]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص181؛الامارة والتميمي،موقف الولايات المتحدة الامريكية،ص151.

دعا الرئيس ترومان مجلسي النواب، والشيوخ الأمريكي لعقد دورة استثنائية في 23 تشرين الثاني 1947، وقدم لهما مشروع مارشال للموافقة عليه، وقد أعلن ترومان في كتابه إلى الكونغرس بأنه يعد المشروع جزءاً وركناً هاماً من أركان السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وكما طالب بإقرار (13)مليار دولار توزع على الدول الأوربية بصفة قروض ومنح تصرف خلال مدة معينة[1]. وفي 5 اذار 1948 وردت برقية مرعبة الى واشنطن من الجنرال لوسيوس د. كلاي، قائد قوات الاحتلال الامريكية في برلين، اكد فيها ان هجوما سوفييتيا قد يحصل في اية لحظة. وقد سرب البنتاغون البرقية، مما اشاع الخوف في الاوساط السياسية الامريكية، رغم ان مكتب الـ(CIA) في برلين بعث بتقرير يعيد طمأنة الرئيس الى عدم وجود اية اشارة الى أي هجوم وشيك، فإن احد لم يستمع. وقد ظهر ترومان في اليوم التالي امام جلسة مشتركة للكونغرس، محذرا من ان الاتحاد السوفييتي وعملائه يهددون بإحداث زالزال!! في اوروبا، ونتيجة لذلك تمت الموافقة على مشروع مارشال. وقد عرض المشروع مليارات الدولارات على العالم الحر لإصلاح الضرر الذي سببته الحرب، ولإنشاء سد اقتصادي وسياسي امريكي في وجه السوفييت. وستعمل الولايات المتحدة في 19 عاصمة، 16 في اوروبا، و3 في اسيا على المساعدة على اعادة بناء الحضارة بحسب التصميم الامريكي!![2].ومن الامور الجديرة بالذكر ان اهم سمات مشروع مارشال تمثلت في ان النسبة الغالبة من المبالغ النقدية الامريكية المخصصة للإنعاش الاوروبي أي حوالي 90% منحت في شكل معونات لا في شكل قروض، كما منحت القروض الامريكية لدول اوروبا الغربية

---

[1]) الشيباني،الأهداف الاستعمارية وراء مشروع مارشال،ص130؛واينر،ارث من الرماد،ص53-54. وحول المبالغ المقترحة الأخرى من قبل ترومان للكونغرس انظر:

Gaddis, The United States,PP.344-345.

[2]) واينر،ارث من الرماد،ص53.

بشروط ميسرة جدا من حيث تخفيض سعر الفائدة، ومن حيث امتداد سدادها الى 25 عاما. كما منحت الولايات المتحدة دول اوروبا الغربية معونات اضافية في شكل عيني تمثلت في المعدات الحربية، والسلع الاستثمارية، والمواد التموينية[1].وقد بني مشروع مارشال على القواعد التالية:

1.تنمية الاقتصاد الزراعي والصناعي كي تتمكن كل دولة من الدول المشتركة في مشروع مارشال من الاستغناء عن المساعدات الخارجية.

2.الإكثار من إنتاج مواد خام معينة يجري الاتفاق عليها بين الولايات المتحدة الأمريكية والحكومات الموقعة على الاتفاقيات الاقتصادية.

3.تعاون الدول المشتركة في مشروع مارشال على تخفيف الحواجز التجارية وخاصة الجمركية بينها وبين بلدان العالم الأخرى والعمل على تسهيل تبادل البضائع والخدمات العامة.

4.اتخاذ إجراءات مالية وتدابير نقدية لتثبيت النقد وتحديد سعر ثابت للقطع الأجنبية وإعادة الثقة إلى النظام النقدي.

5.تخصص الدول المشتركة في المشروع كمية من النقد المحلي مساوية لقيمة ما تتلقاه من الإمدادات الأمريكية ولا تستعمل هذه المبالغ إلا وفقاً لاتفاقية تعقد بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة التي تلقت الإمدادات.

6.تقدم الدول المشتركة في المشروع الإحصاءات والبيانات المشتركة المتعلقة بكيفية استعمال المساعدات الأمريكية ومدى تقديم المشروعات التي استخدمت فيها عروض ومنح المشروع[2].

---

[1] الشيخ،امريكا والعالم،ص120.

[2] الشيباني،الأهداف الاستعمارية وراء مشروع مارشال،ص140- 141؛البيضاني،أبحاث في السياسة الأمريكية تجاه المشرق العربي،ص 6.

كان لمشروع مارشال ثلاثة اهداف رئيسة وهي:

1.الاهداف العسكرية: وتتمثل في تحقيق الامن العسكري لدول اوروبا الغربية، الامر الذي لا يتحقق الا بتوفير الامن الاقتصادي، واهم مظهر للأهداف العسكرية هو التعمير والانشاء، وتعويض اوروبا الغربية عما فقدته من خسائر في المعدات، وما بذلته من جهد بشري، وخسارة في الافراد بما يفوق طاقتها الاقتصادية، وذلك من اجل تحقيق اهداف مشتركة بين الولايات المتحدة من ناحية، ودول اوروبا الغربية من ناحية اخرى، وهو تطوير اقتصاديات هذه الدول، مما يستلزم توفير الامن العسكري المشترك، في عالم سادت فيه الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي.

2.الاهداف الاقتصادية: تمثلت في تدبير اموال وموارد امريكية لتعمير ما دمرته معارك الحرب العالمية في اوروبا الغربية، وتمكين هذه الدول من بناء اقتصادها مجددا، وتطويره، مما يعيد اليها التوازن المطلوب، ويحقق لها تنمية متوازنة، ، وبما يؤدي الى انعاش وزيادة معدل النمو في الاقتصاد الامريكي نفسه، وذلك لما تمثله اوروبا الغربية سواء اثناء الانعاش أو بعده، من سوق هامة للاستثمارات والسلع الامريكية.

3.الاهداف السياسية: وتمثلت في اتخاذ الاجراءات المناسبة لمقاومة تيار الشيوعية في بلاد اوروبا الغربية، وذلك التيار الذي يسري عادة في البلاد التي عانت من ويلات الحرب، وانخفاض مستوى المعيشة، وانتشار البطالة، والقلق الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، ومن امثلة هذه الاجراءات تدعيم النظم الديموقراطية في دول اوروبا الغربية في مواجهة المشكلات التي قد تساعد على تغلغل الشيوعية في مجتمعات تلك الدول[1].

---

[1]) الشيخ،امريكا والعالم،ص120.

شن الاتحاد السوفييتي هجمة اعلامية قوية ازاء مشروع مارشال، وقدم المشروع خلال هذه الهجمة كظاهرة من ظواهر التسلط الامريكي لوضع سيطرة الولايات الامريكية الاقتصادية، والسياسية على اوروبا، ووصفت الدعاية السوفييتية الحكومات الاوروبية الموقعة ك: "خدما للتوسعية الامريكية"، لان الهدف الحقيقي للولايات المتحدة الامريكية منه هو تطويق الاتحاد السوفييتي وتعبئة حرب فتح ضده[1]، بل صرح مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفييتي ان بلاده لا ترى في المشروع الا نوعا من الاستعمار الجديد أي استعمار الدولار الامريكي، ومحاولة للتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب المستقلة[2].

فضلا عن سياسة المساعدات الاقتصادية، قامت الولايات المتحدة بمحاولة تقويض النفوذ السوفييتي في اوروبا الشرقية عن طريق العمليات السرية، والمخابراتية منظمة. اذ طلب ترومان من هويت فاندنبرغ، وهو المدير الثاني لمجموعة الاستخبارات المركزية(CIG)، وهي التي حلت محل منظمة(OSS)، منذ تموز 1945 ان يكتب تقريرا عن: "السياسة السوفييتية الخارجية العسكرية"، وقد اوعز فاندنبرغ لاحقا بهذه المهمة الى مكتب التقارير والتقديرات(ORE) التابع الى مجموعة الاستخبارات المركزية(CIG)، وفي محاولة منه لإثبات فعالية مجموعة التحليل الجديدة لديه، حدد فاندنبرغ مهلة اربعة ايام لهذه المجموعة كي تقدم تقريرها الذي ارتكز الى حد كبير على مصدر وحيد وهو تقرير جورج كينان، وهو القائم بالأعمال في السفارة في موسكو. لقد استعان مكتب التقارير والتقديرات(ORE) بعدد لا بأس به من وجهات النظر الواردة في البرقية الطويلة. وكانت اول كلمات التقرير عكست نبرته العامة، اذ بدأ بما

---

[1]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص182.

[2]) الامارة والتميمي،موقف الولايات المتحدة الامريكية،ص151.

قاله ستالين في مسرح بولشوي في موسكو، امام كوادر الحزب الشيوعي الذي اشار فيه الى حتمية الصراع مع العالم الرأسمالي. الا ان المكتب رأى: "ان الاتحاد يسعى في الوقت الحاضر الى تجنب مثل هذا الصراع، وذلك لمدة غير محددة". فالوقت هو لصالح الاتحاد السوفييتي الذي يشهد نموا اقتصاديا، وسكانيا يعزز قدراته تدريجيا. ويشير التقرير الى ان الاتحاد السوفييتي في هذه الاثناء يشجع على الثورة والعصيان في الامبراطوريات المستعمرة للدول الغربية. وهو ينظم عمليات دعائية، وحرب نفسية، ضد الولايات المتحدة، وبريطانيا، والعالم الرأسمالي بشكل عام[1]. بعد ذلك طلبت الادارة الامريكية عام 1946 من الجنرال فاندنبرغ، بإجراء عملية خفية ضد الاتحاد السوفيتي في اوروبا الشرقية. وقد خطط مكتب فاندنبرغ للعمليات الخاصة، بناء على ذلك، لإنشاء قوة مقاومة سرية في رومانيا. وقد امر فاندنبرغ كل من الملازم ايرا س. هاميلتون، والرائد توماس ر. هول، المتمركزين في البعثة العسكرية الامريكية الصغيرة في بوخارست، بتنظيم حزب الفلاحين الوطني الروماني ضمن قوة المقاومة. وكان الرائد هول الذي عمل ضابطا في مكتب الخدمات الاستراتيجية(O.S.S) في البلقان، ويتحدث بعض الرومانية، بينما لم يكن الملازم هاميلتون يتحدثها اطلاقا. وكان دليله العميل المهم الذي جنده سابقا ضابطا امريكيا يدعى فرانك ويسنر في بوخارست قبل عامين: تيودور ماناكاتيد، الذي كان رقيبا في اركان الاستخبارات في الجيش الروماني، وهو يعمل الان لمصلحة البعثة العسكرية الامريكية في رومانيا، اذ كان مترجما في النهار، وجاسوسا في الليل. وقد اخذ ماناكاتيد كلا من هاميلتون وهول للقاء زعماء حزب الفلاحين الوطني. وقد عرض الامريكيان الدعم السري من الولايات المتحدة: اسلحة، اموال، معلومات استخبارية. وفي 5 تشرين الاول، وبالعمل مع محطة الاستخبارات المركزية الجديدة في

[1]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص48-49.

فيينا المحتلة، هرّب الامريكيون وزير خارجية رومانيا السابق وخمسة اخرين، ما سيصبح لاحقا نواة جيش التحرير، الى النمسا، وقد خدروهم، ووضعوهم في اكياس بريد، وطار بهم الى النمسا. ولكن الاستخبارات السوفييتية والشرطة السرية الرومانية استغرقت بضعة اسابيع فقط لاكتشاف الجواسيس، وقد فر الامريكيان، وكبير عملائهم طلبا للنجاة، بعدما سحقت قوات الامن الشيوعية، المقاومة الرمانية الرئيسة. وقد اتهم زعماء حزب الفلاحين بالخيانة وسجنوا. وحكم على ماناكاتيد، وهاملتون، وهول غيابيا في محاكمة علنية، بعدما اقسم الشهود اليمين، انهم قدموا انفسهم بوصفهم عملاء لجهاز الاستخبارات الامريكية الجديد[1].

في كانون الثاني 1947 رفع مكتب التقارير والتقديرات(ORE) تقريرا اكد فيه ان الاتحاد السوفييتي قرر: "ان يعتمد حاليا تقنيات اقل علانية بغية تحقيق الاهداف الاساسية لسياسته الخارجية والعسكرية". وبفضل تقارير الـ(CIG) بدأ البيت الابيض يعتاد فكرة الصراع من نوع جديد مع الاتحاد السوفييتي: صراع عقائدي بشكل اساسي، وصراع سياسي، ومواجهة بين نظامين عموميين، حيث تلعب الدعاية، ووسائل التأثير، والنفوذ، وزعزعة النظام دورا رئيسا. اذا ما من مواجهة عسكرية مباشرة في المستقبل المنظور، بل حرب باردة، بحسب المصطلح الذي اشاعه بين الناس الصحفي والتر ليبمان في عام 1947[2].

في 14 كانون الاول 1947 اصدر مجلس الامن القومي الامريكي اول اوامره السرية الى الـ(CIA) تضمنت مهام كان على الوكالة تنفيذها منها: "عمليات نفسية خفية، مصممة لمواجهة السوفييت، والنشاطات الموحى بها منهم"[3].

---

[1]) واينر،ارث من الرماد،ص40-41.

[2]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص49.

[3]) واينر،ارث من الرماد،ص51.

الصراع الامريكي-السوفييتي في اوروبا(1948-1950).

وصل حدة الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الى ذروته خلال هذه الفترة، لاسيما مع استمرار الازمة الالمانية. وقد رأينا كيف ان مؤتمر الفرصة الاخير لم يحقق اي تقدم في تقريب وجهات نظر الحلفاء حول المسألة الالمانية. ونتيجة تزايد الخلافات بين السوفييت من جهة، والولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا من جهة اخرى، قرر الاخيرين عقد مؤتمر وزراء خارجيتهم فقط دون الاتحاد السوفييتي في لندن في 23 شباط 1948، ثم استؤنفت جلساته من 2 نيسان- 1 حزيران 1948، للاتفاق على توحيد المناطق الغربية الثلاث. وكان الامريكيون والبريطانيون يميلون الى حكومة اتحادية، في حين كانت فرنسا تخشى قيام حكومة مركزية قوية الى جانبها. واخيرا تم الاتفاق على عقد جمعية تأسيسية أو مجلس برلماني في بون في 1 ايلول من 55 عضوا لإعداد دستور لألمانيا. واضطرت فرنسا من جهة اخرى عن التخلي عن خطتها في فصل الرور سياسيا عن المانيا، كذلك لم تستطع الحصول على تدويل الصناعات في الرور، ثم تم انشاء هيئة اشراف على الرور سميت: "هيئة الرور الدولية" من الولايات المتحدة، وفرنسا، والمانيا وبلاد البنيلوكس(بلجيكا، والبلاد المنخفضة، ولوكسمبورغ)[1].

شهد عام 1948 مزيد من التباعد بين الاتحاد السوفييتي وبقية الحلفاء، وكثيرا ما اتهم السوفييت بانهم كانوا وراء تعقيد المشكلة الالمانية، ولكن يبدو ان الولايات المتحدة كانت تقوم بالدور نفسه، فقد عمل احد الضباط الامريكان وهو فرانك وايزنر، وكان مسئول مكتب التنسيق السياسي التابع للمخابرات الامريكية، على صياغة السياسة الامريكية في المدينة المحتلة، اذ حث رؤساءه في وزارة الخارجية على مشروع يهدف الى

---

[1]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص173-174.

التخريب على السوفييت، من خلال عرض عملة المانية جديدة، ومن المؤكد ان موسكو سترفض، وبالتالي فإن اتفاقات تقاسم السلطة لما بعد الحرب في برلين ستنهار، وستجبر دينامية سياسية جديدة الروس على التراجع[1]. ففي 19 حزيران 1948 قام القادة الغربيون في المانيا بتطبيق قرار اتخذه مؤتمر لندن بوضع النقد الجديد(المارك الالماني) في التداول في المناطق الغربية، وانشاء بنك موحد(بنك الدولة) للمناطق الغربية الثلاث[2].

كان الاتحاد السوفيتي الذي اخفق بالحصول على ما يريد في ألمانيا عن طريق المفاوضات، قد اخذ يسعى على الحصول على ما يريد بطرق أخرى من اجل إخراج الحلفاء بالقوة من مناطقهم في برلين، وذلك عن طريق فرض حصار على المدينة. فاخذ السوفييت في 24 حزيران بفرض القيود على نقاط الاتصال الخاصة بالطرق الحديدية، وطرق السيارات التي كان الغربيون مضطرين لاستخدامها في حركة تنقلهم بين برلين وبين مناطق الاحتلال الخاصة بهم، وكانت هذه الطرق هي التي توصل المؤن لسكان القسم الغربي من برلين، وكان هدفهم من ذلك هو أن تبين لسكان برلين إن القوى الغربية غير قادرة على حمايتهم[3].

كان رد فعل الولايات المتحدة على فرض الحصار السوفييتي على برلين هو اقامة جسر جوي لتأمين اعاشة برلين الغربية، وقد أمن ذلك الجسر نقل ما يقارب

---

[1]) واينر،ارث من الدمار،ص55-56.

[2]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص174.

[3]) باون وموني،من الحرب الباردة حتى الوفاق،ص48- 49؛روبرتس،موجز تاريخ العالم، ص 899.

2,500,000 طن من السلع الغذائية والمحروقات والمنتجات الأخرى[1]. فرد السوفييت على ذلك ان سارعوا إلى إدخال إصلاحهم النقدي إلى منطقتهم في ألمانيا وقطاعهم في برلين[2].

اتخذ الطرفان مواقف صلبة حول المسألة الالمانية الأمر الذي نتج عنه ظهور مشكلة دولية عرفت باسم مشكلة برلين، اذ فرض الأمريكيون والبريطانيون حصارا معاكساً على السلع الذاهبة من المناطق الغربية إلى المناطق الشرقية، وكان هذا الحصار أكثر إيذاء للشرق مما هو للغرب، لأن السوفييت كانوا بحاجة إلى فحم الكوك، والفولاذ من المصدر الوحيد في الغرب، في وقت كانت ألمانيا الغربية قادرة على الوصول إلى اقتصاد غرب أوروبا، وكان يساعدها مشروع مارشال، وهذا في وقت لم تتمتع ألمانيا الشرقية بمزايا من هذا القبيل[3].

في ايلول 1948 عقد المجلس البرلماني عن مناطق المانيا الغربية، من اجل اعداد اول مشروع للدستور، وعرضه على قادة الحلفاء في 8 شباط 1949، ولكن هؤلاء لم يوافقوا عليه، ودارت مفاوضات بين الطرفين انتهت في 8 ايار الى اصدار دستور جديد(قانون بون الاساسي) الذي يعد حلا وسطا بين دعاة الفدرالية، ودعاة المركزية. وبمقتضى هذا الدستور اقرت جمهورية المانيا الاتحادية المؤلفة من احد عشر اقليما، لكل اقليم دستوره الخاص[4].وفي 12 أيار 1949 اقر مجلس رقابة الحلفاء القانون الأساسي

---

[1]) تشارليز اوليرتش،الحرب الباردة وما بعدها،تعريب: فاضل زكي محمد،(بغداد: دار الحرية للطباعة،1976)،ص148؛ ألبرت نوردن،أسرار الحروب:دور الامبريالية في شن الحروب،تعريب:أكرم ديدي وهيثم الأيوبي،(بيروت:دار البلاغ للطباعة والنشر،بلا.ت)،ص325.

[2]) باون وموني،من الحرب الباردة حتى الوفاق،ص49.

[3]) باون وموني،من الحرب الباردة حتى الوفاق،ص 51.

[4]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم، ج3،ص174-175.

لجمهورية ألمانيا الاتحادية، وفي 23 أيار 1949 خرجت هذه الجمهورية الاتحادية إلى حيز الوجود، وفي 7 أيلول 1949 أجريت انتخابات عامة في ألمانيا الاتحادية ونتج عن هذه الانتخابات تشكيل برلمان هذه الجمهورية، وأصبح (كونراد اديناور) مستشاراً لهذه الجمهورية، فكان رد فعل الاتحاد السوفيتي إن أعلنوا قيام جمهورية ألمانيا الديمقراطية في 7 تشرين الأول 1949 في المنطقة السوفييتية، واتخذ من المنطقة السوفييتية ببرلين مقرا لهذه الحكومة. وفي 10 تشرين الاول تم حل الادارة العسكرية السوفييتية، وسلم الالمان ادارة شؤونهم الخارجية الخاصة، وبذلك منحت المانيا الشرقية سلطات اعظم مما حصلت عليه المانيا الغربية، ولكن المانيا الشرقية كانت من الناحية الايديولوجية واقعة تحت نفوذ الاتحاد السوفييتي، إذ كان يسيطر على جمهورية ألمانيا الديمقراطية حزب الوحدة الاشتراكي الذي كان يسيطر عليه الشيوعيون، ونتيجة قيام هاتين الدولتين رفض الطرفان الاعتراف بقيام هاتين الجمهوريتين، وقد أعلن وزير خارجية الولايات المتحدة دين اتشيسون:" جاءت هذه الحكومة الجديدة ألمانيا الديمقراطية نتيجة إعلان سوفييتي، وأوجدها ما يسمى بمجلس الشعب الذي يفتقر لانتخابات شعبية حرة، وهذا الإجراء السوفيتي المتوقع منذ أمد طويل يأتي نقيضاً تاماً لجمهورية ألمانيا الاتحادية في بون والتي تتمتع بقاعدة دستورية شعبية قوية"[1].

بعد انتهاء الأزمة اتفقت دول الغرب مع الاتحاد السوفيتي في 22 تشرين الثاني 1949 على بروتوكول بطرسبرغ الذي هدف إلى: إقرار الوضع القائم، وهو أن تمارس الدول الغربية الثلاث سلطات الحلفاء في منطقتها، على أن يقوم الاتحاد السوفيتي بذات المهمة في منطقته، ومنذ تلك المرحلة دأبت الولايات المتحدة والغرب على التوسع

[1]) باون وموني،من الحرب الباردة حتى الوفاق ،ص 53؛ويبر،موجز تاريخ ألمانيا،ص39-56؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم،ج3،ص175.

في الاختصاصات التي يمنحها لحكومة جمهورية اتحاد غرب ألمانيا، إذ منحوها حق تبادل التمثيل السياسي، والقنصلي، وأصبح لها وزير خارجية، ومنحت دستورا يخولها سلطات واسعة. ورغم هذا فقد ظل للجنة الحلفاء بعض الاختصاصات وتصدر قراراتها بالإجماع عدا الحالات التي يرى فيها عضو اللجنة إن الموقف يتعارض مع كرامة الحكومة الألمانية ومطالب قوات الاحتلال. ولم يكن الاتحاد السوفيتي اقل حرصاً من الغرب في العمل استكمال الشخصية القانونية لألمانيا الشرقية، إذ جعلت برلين الشرقية عاصمة لجمهورية ألمانيا الديمقراطية وسهل للاتحاد السوفيتي اتخاذ هذا الإجراء لمرابطة قواتها في جميع الجهات حول المدينة المقسمة[1].

لم تكن الازمة الالمانية هي الوحيدة التي احدثت توترا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي خلال هذه الفترة بل كانت هناك عوامل اخرى، فقد كان الاتحاد السوفييتي الساعي الى فرض هيمنته على اوروبا الشرقية قد اثار غضب الدول الغربية، واخذت انظاره الان تتجه نحو تشيكوسلوفاكيا، التي كانت الدولة الوحيدة من دول المجال السوفييتي التي ظلت محتفظة بنظامها الديموقراطي حتى اواخر عام 1947، وكانت جميع حكوماتها التي تولت الحكم في اعقاب الحرب العالمية الثانية ظلت تحرص على علاقاتها الوثيقة مع الاتحاد السوفييتي، لاسيما وان البلدين ابرما معاهدة ثنائية في 12 كانون الاول 1943، كان الهدف الرئيس منها هو: حفظ حالة السلام بعد الحرب، وقمع أي اعتداء جديد من جانب المانيا، كما حددت المادة السادسة من المعاهدة، بانها ستكون سارية المفعول لمدة عشرين عاما، وهو ما ادى الى نشوء علاقات اقتصادية، وسياسية متطورة بين البلدين، وعد الاتحاد السوفييتي اكبر شريك

---

[1]) محمد طه بدوي ومحمد طلعت غنيمي،دراسات سياسية وقومية،(الإسكندرية:مطبعة المعارف،1963)،ص325-353.

لتشيكوسلوفاكيا وذلك باعتراف السلطات التشيكية نفسها. لكن يبدو ان تلك العلاقات لم تكن كافية في نظر السوفييت، لاعتبار تشيكوسلوفاكيا دولة صديقة يؤمن جنبها، وهو ما دفعهم الى تشجيع الحزب الشيوعي التشيكي للاستيلاء على السلطة فيها[1].

كانت قوى اليمين في تشيكوسلوفاكيا تشعر بالخطر من تزايد قوة الشيوعيين، وقد حاولت جاهدة من اجبار وزير الداخلية الشيوعي، في الحكومة التشيكية، على الاستقالة الا انها فشلت. بالمقابل نجح الحزب الشيوعي، الذي كان يدير شؤون الشرطة، في ابقاء الجيش في موقع حيادي، ومنع اجراء اي تعديل وزاري، كما اقدم على اقامة اللجان الثورية، ثم بادر الى اعتقال الاشتراكيين غير الماركسيين، وتأليف حكومة شيوعية في 21 شباط 1948، التي اتبعت سياسة قمع الاحزاب المعارضة. وبذلك جاءت احداث براغ لتشكل نهاية كل مظهر ديموقراطي في اوروبا الشرقية، وتؤكد انتصار الاتحاد السوفييتي[2]. ويبدو ان الرد الغربي لم يكن بالهين، ففي يوغسلافيا اطلق المارشال تيتو، الامين العام للحزب الشيوعي اليوغسلافي، فكرة اقامة اتحاد بلقاني يجمع البلغار، والالبانيين مع اليوغسلافيين. وفي عام 1946 ايد ستالين هذا المشروع؛ وخشية من تزايد قوة تيتو فقد بذل ستالين الجهد لإبعاده، ولكنه فشل في تحقيق ذلك، وسرعان ما بدأت القطيعة بين يوغسلافيا والاتحاد السوفييتي، وبادر ستالين الى سحب المستشارين الاقتصاديين والعسكريين من يوغسلافيا كجزء من خطته لإضعاف تيتو، وبالمقابل انتفض المارشال تيتو على نفوذ السوفييت، وتقرب الى المعسكر الغربي، وبدأ

---

[1]) الامارة والتميمي،موقف الولايات المتحدة الامريكية،ص148.

[2]) حول الانقلاب التشيكي انظر:واينر،ارث من الرماد،ص53؛فرانسوا جورج دريفوس واخرون،موسوعة تاريخ اوروبا العام،ترجمة:حسين حيدر، مراجعة:انطوان أ. الهاشم،(بيروت:منشورات عويدات،1995)،ج3،ص458؛الامارة والتميمي،موقف الولايات المتحدة الامريكية،ص148-151.

مفاوضات مع الغرب لتلقي قروض ومعونات من خلال مشروع مارشال من اجل انعاش اقتصاد بلاد المصاب بالشلل[1].

الاجراءات الامريكية لتطويق الخطر الشيوعي(1948-1950).

نتيجة اشتداد الصراع بين الدولتين، اخذت الولايات المتحدة خلال هذه الفترة تسعى جاهدة لتطويق الاتحاد السوفيتي، ودفع الدول الى التصدي للشيوعية، واتخذت لذلك ثلاث خطوات مهمة وهي:

1. اقامة تحالف عسكري مع دول اوروبا الغربية.
2. الاستمرار في تنفيذ عمليات استخبارية.
3. الاستمرار في سياسة المساعدات الاقتصادية.
4. بث الدعاية المضادة للشيوعيين.
5. التدخل في الانتخابات الاوروبية لتقويض المد الشيوعي.

كانت ابرز التحالفات التي شاركت الولايات المتحدة في تأسيسها لمواجهة المد الشيوعي هو حلف الشمال الاطلسي، والحقيقة يعتقد بعض المؤرخون ان تحالف الاطلسي كان موجودا فعلا قبل عقد الحلف رسميا، فوجوده في رأيهم يرجع الى التحالف الذي ربط كلا من بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة، قبل الحرب العالمية الاولى، وتمتد جذوره الى التراث المشترك بين اوروبا الغربية، والولايات المتحدة[2]. ومهما يكن من امر فإنه حين اشتدت الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، وازداد النفوذ السوفييتي في اوروبا، فقد رأت الدول الاوروبية الغربية ضرورة التعاون

---

[1]) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم،تاريخ اوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة،(القاهرة:المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،2000)،ص296-297؛دريفوس واخرون،موسوعة تاريخ اوروبا العام،ج3،ص458-459؛سوندرز،من الذي دفع للزمار،ص81.

[2]) محمد عزيز شكري،الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية،سلسلة عالم المعرفة:70،الكويت،1987،ص33.

العسكري فيما بينها، لذا اقدمت كل من فرنسا، وبريطانيا، وبلجيكا، وهولندا، ولوكسمبورغ، الى اقامة تحالف عسكرياً، وقد تم ذلك في انعقاد مؤتمر بروكسل من 4 – 21 آذار 1948،ووقع نص ميثاق بروكسل الذي عرف بـ(ميثاق التعاون) في 17 آذار 1948،ونصت هذه المعاهدة على المساعدة في حالة العدوان ضد احد موقعها في أوروبا، وكما نصت على المشاورات في حالة العدوان في أي قارة أخرى، وإنشاء مجلس استشاري ينعقد بناءاً على طلب احد الأعضاء[1].لكن سرعان ما تبين إن تلك الدول غير قادرة بمفردها على الوقوف في وجه التوسع السوفييتي في الغرب دون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، إذ كانت منظمة بروكسل تهدف إلى اتخاذ الخطوات التي اعتبرت ضرورية في حالة تجديد ألمانيا سياسة العدوان، هذا فضلا عن إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن تشترك فيه، الأمر الذي أبقاها ضعيفة نسبياً من الناحية العسكرية، في حين كانت الولايات المتحدة الأمريكية غير مقتنعة بدورها الأوروبي الذي لم يكن على درجة كبيرة من الاتساع[2]. لذا تبنى السيناتور الأمريكي فاندنبرغ فكرة انضمام بلاده إلى هذا التحالف على أساس المساعدة المتبادلة بينها، وبين الدول السالفة الذكر، فتقدم بتوصية رسمية في هذا الاتجاه إلى مجلس الشيوخ الأمريكي في حزيران 1948. وأعقب ذلك بدء مرحلة من التشاور والمفاوضات بين الحكومة الأمريكية وحكومات الدول الأخرى في منطقة الشمال الأطلسي، وانتهت هذه المفاوضات بإبرام معاهدة حلف الشمال الأطلسي التي تم توقيعها في واشنطن في 4 نيسان 1949،ووافق عليها مجلس الشيوخ الأمريكي بأغلبية 82 صوت ضد 13صوت،وتبع ذلك إجراءات التصديق عليها من قبل الرئيس الأمريكي في 25 تموز

---

[1]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي،ص209–210؛اسماعيل صبري مقلد،العلاقات السياسية الدولية:دراسة في الاصول والنظريات،(القاهرة:المكتبة الاكاديمية،1991)،ص346؛صبح،الصراع الدولي في نصف قرن،ص96.

[2]) صالح جواد الكاظم،دراسة في المنظمات الدولية،(بغداد:مطبعة الإرشاد ،1975)،ص437–438.

1949،ومن قبل الدول المؤسسة الإحدى عشر وهي: (بلجيكا- فرنسا- كندا- أيسلندا- ايطاليا- لوكسمبورغ- هولندا- النرويج- البرتغال- المملكة المتحدة- الولايات المتحدة الأمريكية)[1].الحقيقة لم يكن اقامة حلف الشمال الاطلسي لردع الاتحاد السوفييتي عن مهاجمة اوروبا فحسب، بل كذلك للتخفيف من حدة المخاوف الاوروبية الغربية من اعادة احياء النزعة العسكرية الالمانية، لذا لم تكن الدول الغربية راغبة بانضمام المانيا الغربية الى الحلف للأسباب التالية:

1.ستكون ألمانيا هي الدولة الوحيدة التي لها مطالب إقليمية من ناحية بسبب تقسيمها، ومن ناحية أخرى بسبب انتزاع بعض الأقاليم منها.

2.إذا قويت ألمانيا في ظل الحلف فإنها قد تسعى إلى التخلص منه، وتقترب من الاتحاد السوفيتي لاسترداد وحدتها واستعادة أقاليمها المنتزعة.

3.إن الاتحاد السوفيتي يخشى الجيش الألماني أكثر مما يخشى أي جيش أجنبي آخر، لأنه سبق أن وصل إلى أبواب موسكو في الحرب العالمية الثانية، وإعادة تكوين هذا الجيش وتسليحه بالمعدات الأمريكية يكون تحدياً للاتحاد السوفيتي ويخشى أن يؤدي إلى قيام الحرب[2].

كانت استراتيجية حلف الشمال الاطلسي تعتمد بادئ الامر على تدعيم القوة التقليدية الاوروبية، بالقوة النووية الامريكية، اي تقسيم مسؤولية الدفاع عن الغرب الى قسمين: المشاركة بالأسلحة التقليدية، وتتولاها بشكل رئيس اوروبا الغربية، والمشاركة بالأسلحة النووية، وتتولاها بشكل رئيس الولايات المتحدة الامريكية. كما

---

[1]) تشرشل،مذكرات ونستون تشرشل،ص616؛شكري،الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية1987،ص34؛الشيخ،امريكا والعالم،ص121؛مقلد،العلاقات السياسية الدولية،ص346؛منسي،الكونجرس الامريكي،ص345.

[2]) غالي وعيسى،المدخل إلى علم السياسة،ص713؛غريفيش واوكالاهان،المفاهيم الاساسية في العلاقات الدولية،ص417.

تبنى الحلف استراتيجية مقابلة التهديدات السوفييتية مهما كان حجمها، ونوعية الاسلحة المستخدمة فيها، بالرد النووي الفوري، والشامل من جانب البنتاغون[1].

واجه انشاء الحلف انتقادات من قبل الدول الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفييتي، إذ إنها رأت إن الحلف الأطلسي مناقض لقضية السلام، ومخالف لميثاق الأمم المتحدة، لأن: الغرض الرئيس منه هو التربص بهذه الدول لاختلافها الإيديولوجي مع دولة تحت ستار تهديدها المزعوم للسلام في أوربا والعالم، وأيضا انه يناقض المعاهدتين اللتين أبرمتا بين كل من بريطانيا، والاتحاد السوفييتي في 1942،وبين فرنسا والاتحاد السوفيتي عام 1944،وانه يناقض معاهدتي يالطا وبوتسدام اللتين أبرمتا بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، والاتحاد السوفيتي[2].

من جانب اخر حاولت وكالة الاستخبارات الامريكية ومنذ عام 1948 في برلين، وبدون جدوى، لأكثر من سنة، الحصول على معلومات استخبارية عن الجيش الاحمر في المانيا الشرقية، والاتحاد السوفييتي، وتقفي اثار تقدم موسكو في مجال الاسلحة الذرية، والمقاتلات النفاثة، والصواريخ، والاسلحة البيولوجية. وقد كان لضباطها عملاء داخل شرطة برلين، وبين سياسييها، والاهم من ذلك، داخل مقر الاستخبارات السوفييتية في كارلشورست في برلين الشرقية، عن طريق توم بولغار اللاجئ المجري الذي اثبت نفسه كواحد من افضل ضباط(CIA)، والذي كان يقدم معلومات استخبارية بلغت البيت الابيض[3].

اخذت الولايات المتحدة الامريكية تصعد من سياستها الاستخبارية، ويبدو ان تلك السياسة قد تجسدت في وثيقة سرية للغاية ارسلت من كينان في 4 ايار 1948،

---

1) صبح،الصراع الدولي في نصف قرن،ص99.

2) غالي وعيسى،المدخل إلى علم السياسة،ص715.

3) واينر،ارث من الرماد،ص56.

الى كل من وزارة الخارجية، والبيت الابيض، والبنتاغون، وقد اعلن كينان عن: "تدشين الحرب السياسية المنظمة"، ودعا الى انشاء جهاز سري جديد لشن العمليات السرية على مستوى العالم. واعلن بوضوح ان مبدأ ترومان، ومشروع مارشال، وعمليات(CIA) الخفية، هي الاجزاء المتداخلة للاستراتيجية الكبرى ضد ستالين[1].وقد صدرت بعد ذلك توجيهات جديدة من مجلس الامن القومي الامريكي، ولكن المهم فيه هو الملحق الخاص به، الذي لم يصدر منه سوى ثلاث نسخ: واحدة للبيت الابيض، والثانية لوكالة الاستخبارات المركزية، والثالثة لجورج كينان نفسه!!. وبموجب هذه التوجيهات، تتولى(CIA) مهمة: "القيام بعمليات سرية من قبيل الحرب النفسية تهدف الى الوقوف في وجه النشاطات السوفييتية أو الملهمة من السوفييت، التي تشكل تهديدا للسلام والامن العالميين، أو التي تسعى الى افشال جهود الولايات المتحدة الهادفة الى تعزيز السلام والامن العالميين". لقد اختيرت وكالة الاستخبارات المركزية للقيام بهذه المهمة لعدم وجود بديل اخر. ويعد جورج كينان احد كبار مسؤولي وزارة الخارجية، وجورج مارشال الذي يترأس هذه الوزارة، عرابي الحرب النفسية ضد الاتحاد السوفييتي، لكنهما رفضا ان تجري هذه الحرب انطلاقا من وزارة الخارجية، الواجهة الرسمية لسياسة الولايات المتحدة الخارجية، اذ خشيا ان يؤدي كشف مثل هذا النشاط السري الى تشويه صورتها، كما ان مارشال يسعى جاهدا الى تجنب كل ما من شأنه ان يعرض خطة اعادة الهيكلية الاقتصادية التي قدمها للدول الاوربية للخطر[2].
وفي 18 حزيران 1948 وقع ترومان على توجيهات جديدة صدرت من مجلس الامن القومي الامريكي، وكانت تلك التوجيهات قد اعد مسودتها جورج كينان، هذه

---

[1]) واينر،ارث من الرماد،ص54-55.

[2]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص57.

التوجيهات اعدت بسرية تامة لأنها كانت تتبنى مفهوما صريحا لمتطلبات الامن الامريكي، وانطلاقا من فكرة ان الاتحاد السوفييتي والدول التابعة له كانوا عاكفين على برنامج، وانشطة سرية شريرة!!، هذا البرنامج يهدف الى دحض وهزيمة اهداف، وانشطة الولايات المتحدة الامريكية، والدول الغربية الاخرى. وقد نصت تلك التوجيهات على: "نظرا للنشاطات السرية المعيبة التي يقوم بها الاتحاد السوفييتي، والدول التابعة له، والمجموعات الشيوعية"، أوكل المجلس لوكالة الاستخبارات المركزية مهمة القيام بجميع النشاطات السرية، وتتضمن هذه النشاطات: "حملات الدعاية، والحرب الاقتصادية، والاعمال الوقائية المباشرة، كالتخريب، ومكافحة التخريب الشيوعي، واجراءات الهدم، والاخلاء، والتدمير، وقلب الانظمة في الدول المعادية، بما في ذلك تقديم المساعدة لحركات المقاومة السرية والثوار، والعصابات، وجماعات التحرير اللاجئة، فضلا عن مساندة سكان البلدان المعادين للشيوعية الناشطين في دول العالم الحر المهددة". ويجب ان تكون جميع هذه الانشطة مخططة، ومنفذة جيدا، بحيث لا تُظهر اية مسؤولية للولايات المتحدة لأي من الاشخاص غير المصرح لهم، بحيث يمكن لحكومة الولايات المتحدة ان تتنصل بشكل مقنع من اية منها في حال اكتشافه. كما اقرت هذه التوجيهات تكوين مجموعة خاصة للعمليات السرية داخل وكالة المخابرات المركزية(CIA)، لكن سياستها وافرادها يكونون تحت ادارة مجموعة تخطيط سياسة وزارة الخارجية، وبمعنى اخر تحت سيطرة كينان، وهذه المجموعة اطلق عليها اسم: "مكتب التنسيق السياسي"(OPC)، وهو مسمى تم وضعه بشكل يؤكد معقوليته، بينما لا يكشف عمليا أيا من اهدافه. وكان مكتب التنسيق السياسي(OPC) بحجم نشاطه غير المحدود، ودرجة سريته الذي عبرت عنه الوثيقة القيام: "بنشاط سري يهدف الى التأثير على الحكومات الاجنبية، أو الاحداث، أو المنظمات، أو الافراد لمساعدة

سياسة الولايات المتحدة الخارجية، ويتم بطريقة لا تظهر تورط حكومة الولايات المتحدة"، يعد اول سابقة من نوعها للولايات المتحدة في وقت السلم. وقد واصبح فرانك وايزنر مديرا لهذا المكتب الذي تم اختياره من قائمة مرشحين قدمها جورج كينان[1].

يبدو ان اختيار فرانك وايزنر كان موفقا، الذي بدأ حياته المهنية كمحام في وال ستريت، ثم انتقل للعمل في مكتب الخدمات الاستراتيجية(OSS) خلال الحرب العالمية الثانية، اذ عمل في القاهرة، واسطنبول، ومن ثم في بوخارست، حيث انشأ شبكة تجسس. واصبح رئيسا لفرع المخابرات السرية التابعة للجيش الامريكي، وكان مسؤول اتصال بمنظمة جهلين(Gehlen) وهي وحدة المخابرات في الجيش الالماني التي ابقى عليها الامريكيون للتجسس على روسيا. وقد اختار وايزنر معظم اعضاء فريق عمله في مكتب التنسيق السياسي(OPC) من بين اولئك الذي عملوا معه في الـ(OSS) سابقا. كما استعان بالعديد من زملائه لمحامين. وبلغ عدد اعضاء مكتب(OPC) عند بدء عمله حوالي 300 عنصر، وخصصت له ميزانية بلغت بضعة ملايين من الدولارات. وستستخدم هذه الوسائل لشن حرب على الشيوعيين على الصعيدين الايديولوجي، والثقافي[2]. وتحت ادارة وايزنر اصبح مكتب التنسيق السياسي(OPC) اسرع اقسام الـ(CIA) نموا. ولتسهيل عمليات مكتب التنسيق السياسي اصدر الكونغرس قرار وكالة المخابرات المركزية عام 1949 والذي اعطى مدير الـ(CIA) صلاحية انفاق اموال دون تقديم كشوف حساب عنها. وخلال السنوات القليلة نمت انشطة المكتب، سواء في مجال عملياته، أو في عدد العاملين فيه،

---

[1] دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص64-65؛سوندرز،من الذي دفع للزمار،ص62-63.

[2] دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص64؛سوندرز،من الذي دفع للزمار،ص63-64.

أو ميزانيته، اذ زاد عدد العاملين فيه من 302 عام 1949، الى 2812 موظفا في عام 1952 الى جانب 3142 من المتعاقد معهم عبر البحار، وفي الفترة نفسها زادت الميزانية من 4,7 مليون دولار، الى 82 مليون[1].

قضت مهمة وايزنر دحر السوفييت الى حدود روسيا القديمة، وتحرير اوروبا من السيطرة الشيوعية في حالة اندلاع حرب مع الاتحاد السوفييتي، وكانت سياسته تقضي بإعداد خطة للسنين الخمس المقبلة والتي تضمنت: انشاء كتلة اعلامية مختلطة الجنسيات للدعاية، والسعي الى شن حرب اقتصادية ضد السوفييت من خلال تزوير العملة والتلاعب في الاسواق، وصرف الملايين، من اجل قلب الموازين السياسية في عواصم العالم، وتجنيد فيالق من الروس، والالبانيين، والمجريين، والتشيكيين، والرومان لإنشاء مجموعات مسلحة للتغلغل داخل الستار الحديدي. كما ان على وايزنر بأوامر من فوريستال، ان ينشئ شبكات من عملاء الخطوط الخلفية: اجانب سيحاربون السوفييت في الايام الاولى لاندلاع الحرب العالمية الثالثة المتوقعة. والهدف هو ابطاء تقدم مئات الالوف من جنود الجيش الاحمر في اوروبا الغربية. كما كان من ضمن الخطط الموضوعة: ان يقوم وايزنر ومجموعته بتكديس الاسلحة، والذخائر، والمتفجرات، في مخابئ سرية في شتى انحاء اوروبا والشرق الاوسط، من اجل نسف الجسور، والمستودعات، وحقول النفط العربية، في مواجهة أي تقدم سوفييتي محتمل. في وقت كان الجنرال كورتيس لوماي، الرئيس الجديد لقيادة الجو الاستراتيجية، والضابط المشرف على الاسلحة الذرية الامريكية قد وضع خططه هو ايضا في حالة اندلاع حرب قادمة، تتلخص: بأن تقوم طائراته بإلقاء قنابلها على موسكو، وان على الطيارين، والطواقم، في رحلات عودتهم، ان يقفزوا من طائراتهم في مكان ما شرق الستار الحديدي. وطلب

---

[1]) سوندرز،من الذي دفع للزمار،ص64-65.

لوماي من فرانكلين ليندسي اليد اليمنى لوايزنر، بناء سلم نجاة داخل الاتحاد السوفييتي، طريق اخلاء تمكن رجاله من الهرب برا. كما اصدر عقداء سلاح الجو اوامر الى نظرائهم في الـ(CIA) بان عليهم: ان يسرقوا قاذفات المقاتلات السوفييتية، كما ان عليهم ان يسربوا عملاء مع اجهزة اتصال الى كل مطار ما بين برلين وجبال الاورال؛ كذلك عليهم ان يخربوا كل مدرج عسكري في الاتحاد السوفييتي لدى اول انذار بالحرب المفترضة. ومن اجل ان يحقق وايزنر هذه الخطة الواسعة النطاق فانه يحتاج الى الاف من الجواسيس الامريكيين، وقد اخذ بالفعل يجند العديد منهم، والهدف هو انشاء 36 محطة للاستخبارات المركزية على الاقل في ما وراء البحار في غضون ستة اشهر؛ وقد نجح بالفعل في انشاء 47 محطة في ثلاث سنوات، وجعل في كل مدينة تقريبا انشأ فيها مركزا، رئيسين لكل محطة تابعة للـ(CIA): احدهما ينفذ العمليات السرية لوايزنر، والاخر يعمل في ميدان التجسس لمكتب العمليات الخاصة في(CIA). وقد تمكن من الحصول على طائرات، واسلحة، وذخائر، ومضلات، والبزات العسكرية من البنتاغون، من اجل المناطق التي سينشئها في اوروبا، واسيا. وسرعان ما سيطر على مخزون عسكري يساوي ربع مليار دولار. وقد تم تعيين جيمس ماكارغار مسئولا عن العمليات في سبع دول: اليونان، تركيا، البانيا، المجر، رومانيان بلغاريا، يوغسلافيا[1]. كما ارسل وايزنر ال اولمر الى اثينا من اجل تغطية العمليات في عشر دول عبر المتوسط، والادرياتيكي، والبحر الاسود. واخذ وكالة(CIA) توجه دعما سياسيا وماليا سريا الى العديد من الضباط اليونانيين العسكريين، والمخابراتيين المعارضين للشيوعية، واخذ العديد في اوروبا من سياسيين، وجنرالات، وقادة استخباريون، وناشرو صحف، ورؤوساء نقابات، ومنظمات ثقافية، ومؤسسات دينية، يتطلعون الى الوكالة من اجل

---

[1]) واينر،ارث من الرماد،ص59-62؛دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص64.

الاموال النقدية والمشورة،: "وسارع وافراد، ومجموعات، واجهزة استخبارات، الى ادراك وجود قوة في الخارج، في العالم يمكنها ان تجمع الشمل من حولها"، بحسب ما جاء في سجل سري في الـ(CIA) يخص قيادة وايزنر لمكتب التنسيق السياسي"[1]. ومن اجل توفير المال لرؤساء المحطات، اتجه وايزنر الى باريس في اواسط تشرين الثاني 1949 لبحث الامر مع افيريل هريمان مدير مشروع مارشال هناك. ثم اتجه الى واشنطن ليقابل ريتشارد بيسل، المدير الاكبر لمشروع مارشال. وقد اقترح وايزنر كسر على بيسل كسر السيطرة الشيوعية على الاتحادات العمالية الكبرى في فرنسا وايطاليا بمبالغ نقدية من المشروع. وقد اختار وايزنر في اواخر عام 1948 زعيمين عماليين للقيام بهذه المهمة وهما: جاي لوفستون، وهو رئيس سابق للحزب الشيوعي الامريكي، وايرفينغ براون، تابعه المخلص، وكان كلا الرجلان معاديين ايديولوجيين للشيوعية. وقد سلما اموالا نقدية الى مجموعات عمالية يدعمها الديموقراطيون المسيحيون، والكنيسة الكاثوليكية. وقد سلمت الاموال الى النقابات العمالية في ميناءي مرسيليا، ونابولي، على ان يقوم العمال هناك بتفريغ الاسلحة الامريكية، والمعدات العسكرية[2].

اخذت نشاطات مكتب التنسيق السياسي خلال عام 1949، ونتيجة بروز شعور من الهلع في واشنطن في مواجهة توسع الاتحاد السوفييتي الذي بدا وكأنه لا يقاوم، وبالتالي اختار البيت الابيض اعتماد موقف هجومي اكثر. ولم تعد الغاية تقتصر على الحد من توسع الاتحاد السوفييتي بل اصبح من الضروري رده وارجاع الستار الحديدي الى الوراء. لكن فكرة قيام حرب عسكرية بين القوتين تخيف الحكومة الامريكية، والكونغرس. وفي هذا الاطار بدا مكتب التنسيق السياسي، يد وكالة

---

[1]) واينر،ارث من الرماد،ص62-63.

[2]) واينر،ارث من الرماد،ص65.

الاستخبارات المركزية الامريكية التنفيذية للعمليات السرية، اداة مناسبة لتحقيق اهداف الولايات المتحدة السياسية، وقد ذكر احد ضباط هذا المكتب لاحقا: "طلب المسؤولون الاوروبيون مساعدتنا شرط الا تكون علنية، اذ ستعمد الدعاية الشيوعية الى استغلال المسألة كدليل على ان هؤلاء السياسيين ليسوا سوى لعبة في ايدي الامبريالية الامريكية". وقد اطلق مكتب التنسيق السياسي(OPC)، وبالتعاون مع جهاز الاستخبارات البريطاني(MI6)، برنامجا واسعا من العمليات شبه العسكرية على حدود نفوذ السوفييت. وقد اتجهت انظار الـ(CIA) الى المهاجرين من اوروبا الشرقية، فقد عاش اكثر من مليوني شخص في منطقة الاحتلال الامريكي في المانيا، والكثيرون منهم لاجئون هربا من الظلم المتمادي للحكم السوفييتي في الجزء الالماني الذي يحتله السوفييت أو من اوروبا الشرقية. وقد اوفد وايزنر ضباطه الى مخيمات النازحين لتجنيدهم من اجل مهمة حددها على انها: "تشجيع حركات المقاومة في العالم السوفييتي، وتوفير الاتصالات مع الحركة السرية". ودافع عن فكرة انه على الـ(CIA) ان: "تستخدم اللاجئين من العالم السوفييتي خدمة للمصالح الوطنية للولايات المتحدة". وقد اراد وايزنر، رغم النظر عن اعتراضات مدير الاستخبارات المركزية، ارسال بنادق، واموال الى اولئك المهاجرين،: "بوصفهم احتياطا لطوارئ حرب محتملة"، بيد ان الوكالة رأت انهم: "منقسمون بطريقة ميؤوسة بين مجموعات ذات اهداف، وتركيبات فلسفية، واثنية متعارضة"[1].

كان الهدف الاول للوكالة هو اوكرانيا قلب الاتحاد السوفييتي، وقد تم تكليف احد ضباط الـ(CIA) بالمهمة، وهو ستيف تانر وكان مقر عمله في ميونخ، الذي قضت مهمته هناك تجنيد عملاء لجمع المعلومات في ما وراء الستار الحديدي لصالح

---

[1]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص66-67؛واينر،ارث من الرماد،ص69.

الولايات المتحدة، فقد كانت لكل قومية رئيسية في الاتحاد السوفييتي، وشرق اوروبا، مجموعة مهاجرين تسعى للحصول على مساعدة من الـ(CIA) في ميونخ، وفرانكفورت. وكان بعض الرجال الذين قابلهم تانر بوصفهم جواسيس محتملين، كانوا من الاوروبيين الشرقيين الذين انحازوا الى المانيا ضد روسيا خلال الحرب، وقد اكد تانر بانهم: "اناس ذوي خلفية فاشية يحاولون انقاذ حياتهم المهنية بجعل انفسهم مفيدين للأمريكيين، واصبحوا تلقائيا الى جانبنا". وقد بالغ بعضهم ممن هربوا من الجمهوريات الواقعة في اطراف الاتحاد السوفييتي، في قوتهم ونفوذهم، أو كما قال تانر: "الهدف الرئيس، لهذه المجموعات المهاجرة هو اقناع الحكومة الامريكية بأهميتها، بحيث تحصل على الدعم بطريقة أو بأخرى". وقد وضع تانر توجيهات محددة على مجموعات المهاجرين من اجل ان تحصل على دعم الـ(CIA)، ان تقوم بعملياته في اوطانها، وليس في مقاهي ميونخ على حد تعبيره، أي ويجب ان تتمتع باتصالات مع مجموعات مناهضة للسوفييت في بلدانها. ويجب الا يكون اعضاؤها قد تورطوا في تعاون وثيق مع النازيين. وفي كانون الاول 1948، وبعد عملية تقويم طويلة، ودقيقة، اعتقد تانر انه وجد زمرة من الاوكرانيين الذي يستحقون الدعم من الـ(CIA)، اطلقت على نفسها اسم: "المجلس الاعلى لتحرير اوكرانيا". ونصب اعضاؤها في ميونخ انفسهم ممثلين سياسيين عن المقاتلين في اوكرانيا. وقد امضى تانر خلال ربيع، وصيف عام 1949، يعد الخطط لتسريب اولئك الاوكرانيين الى ما وراء الستار الحديدي. ومن اجل نقل عملاء الوكالة استخدم تانر طاقم طيارين كانوا قد اختطفوا طائرة تجارية مجرية، وطاروا بها الى ميونخ. وقد وافق رئيس العمليات الخاصة في الـ(CIA) الجنرال وايمان في 26 تموز رسميا على المهمة. وقد اشرف تانر على تدريب عناصر الطاقم على نظام ترميز مورس، وعلى استخدام السلاح. وفي ايلول 1949 قام طاقم الطائرة المجرية بأنزال

الاوكرانيين قرب مدينة لفوف الاوكرانية. بعد ذلك ارسلت الولايات المتحدة عشرات العملاء الاوكرانيين جوا وبرا الى داخل اوكرانيا، ولكن العملية فشلت وتم اعتقال كل العملاء الاوكرانيين تقريبا[1].

بعد اربعة اسابيع من رحلة الطيران الاولى الى اوكرانيا أي في تشرين الاول 1949، استعد وايزنر لتنفيذ عملية جديدة وستشكل البانيا مركز تلك العملية، فهي تقع بين يوغسلافيا وهي جمهورية فيدرالية شيوعية ابتعدت منذ انقلاب تيتو عن موسكو، واليونان حيث باءت الثورة التي ساندها السوفييت بالفشل. وكان مكتب التنسيق السياسي(OPC) قد اتفق مع الاستخبارات البريطانية، لإدخال متمردين الى داخل البانيا الشيوعية، لتشكيل جيش للمقاومة مؤلف: من اتباع النظام الملكي السابق المنفيين، ومن البانيين مهاجرين الى روما واثينا. كما بدأ المكتب بإقامة حكومة شرعية جمعت مختلف الاحزاب الرئيسة المعارضة، يساندها بالدعاية اللازمة، كما نظم المكتب لقاءات في واشنطن بين مسؤولين امريكيين، وممثلي هذه الحكومة، كما درب المكتب في جزيرة مالطا، مجموعة مسلحة البانية يتم ارسالها الى البانيا اما بحرا، واما عبر انزال افرادها جوا بالمظلات. وقد حملت سفينة انطلقت من مالطا تسعة البانيين في عملية الكوماندوس الاولى، قتل ثلاثة رجال على الفور، وطاردت الشرطة السرية الباقين. كما تم ارسال مجموعة ثانية الى داخل البانيا عن طريق انزالهم بالمظلات تم اعتقالهم من قبل اعضاء الشرطة السرية[2].

اما في بولندا، فكانت الاهداف اوضح، فهذا البلد هدف استراتيجي نظرا لموقعه الجغرافي. ففي حال قرر الاتحاد السوفييتي مهاجمة اوروبا الغربية، سيمر الجيش

---

[1]) واينر،ارث من الرماد،ص74-76.

[2]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص66-67؛واينر،ارث من الرماد،ص77.

الاحمر على الارجح في هذا البلد. وهنا يمكن للمجموعات المسلحة المؤيدة للأمريكيين ان تؤخر هذا الهجوم. ومن جهة اخرى، بدا ان امكانية النجاح متاحة، اذ يمكن للمكتب ان يعتمد على عدد كبير من الموظفين البولونيين الذين هاجروا الى الولايات المتحدة، وعلى الحكومة الموجودة في المنفى في لندن، وعلى علاقاته بحركة الحرية والاستقلال(WIN) البولونية داخل البلاد. وكانت هذه الحركة قد ارسلت الى وكالة الاستخبارات المركزية صورا تظهر مدرعات، ومنشئات عسكرية سوفييتية قامت بتدميرها. لكن جهاز مكافحة التجسس التابع للوكالة لم يقتنع بصدق تلك الصور، الا ان مكتب التنسيق السياسي قرر دعمها عبر عملية مشتركة مع(MI6). وهكذا بدأت الاموال، والمعدات العسكرية تتدفق الى بولندا[1]. ولكن العمليات الثلاث(البانيا، اوكرانيا، بولندا) باءت بالفشل، اذ عجزت القوى الموالية للولايات المتحدة في البانيا واوكرانيا في قلب الانظمة الشيوعية، أو حتى في اضعافها، كما القي القبض على معظم المجموعات التي شكلها مكتب التنسيق السياسي، أو قضي عليها، اما في بولندا فقد كان الفشل اكبر، فالأموال والمعدات التي ارسلت الى هناك انتهت كلها بين ايدي الاجهزة الامنية البولونية، وان حركة الحرية والاستقلال تابعة كليا لهذه الاجهزة الامنية التي تغذي اخبار هذه الاعمال التخريبية ووجودها عبر وثائق مزورة يعمل عملائها الى ايصالها الى لندن، لقد كانت عملية بولندا بحسب شهادة احد عملاء وكالة الاستخبارات المركزية(CIA): "المجهود شبه العسكري الاكثر ضرورة، والاكثر ضررا الذي قامت به الوكالة في المدار السوفييتي"[2]. ويبدو ان هناك عدة اسباب لفشل وكالة الاستخبارات الامريكية:

---

[1]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص68.

[2]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص68.

1.اعتمدت الوكالة على اساليب نجحت خلال الحرب العالمية الثانية في مواجهة النازية، فحينذاك كان المستهدف هو جيش احتلال الماني، اما الان فالوضع مختلف فعلى الامريكيين مواجهة ايديولوجية.

2.كان التواصل محدود بين فرعي الوكالة الرئيسين جهاز مكافحة التجسس، ومكتب التنسيق السياسي.

3.عدم قدرة وكالة الاستخبارات الحصول على معلومات استخبارية موثوقة عن الاتحاد السوفييتي، اذ فشل عملائها بتزويدها بمعلومات صحيحة عن سياسة الاتحاد السوفييتي، ولم يتمكنوا من فك الرموز التي يستخدمها الكرملين في مراسلاته السرية.

4.تتمتع الاجهزة السوفييتية بسنوات عدة من الخبرة في مجال التجسس، ومكافحة التجسس، واجراءات مكافحة العصيان والتمرد، كما تستند على شبكة من الجواسيس المدربين احسن تدريب، كما ان احد ابرز الجواسيس السوفييت ويدعى هارولد فيلبي الذي كان مسئولا عن مكافحة التجسس في بريطانيا!!، قد استطاع ان يزود موسكو بمعلومات مهمة عن السياستين البريطانية والامريكية، وعن العمليات السرية التي يقوم بها كل من(MI6) و(OPC)[1].

في اوائل عام 1950 قرر وايزنر القيام بهجوم جديد ما وراء الستار الحديدي، وكلف بالمهمة هذه المرة احد ضباط الـ(CIA) ويدعى بيل كوفين الذي كان يتقن الروسية، وقد سعى كوفين الى التعاون مع مجموعة روسية منشقة هم: "التضامنيين"، وقد هّربت الـ(CIA) والتضامنيون مناشير الى الثكنات السوفييتية في المانيا الشرقية، ثم اطلقوا بالونات تحمل الالاف من المناشير، ثم بعثوا بمهمات انزال بالمظلات لأربعة رجال، في كل مرة على متن طائرات لا تحمل علامات، تطير ما امكن شرقا حتى

---

[1]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص68-70.

ضواحي موسكو. وتم انزال العملاء الروس واحد تلو الاخر الى روسيا، ولكنهم طوردوا من قبل السلطات السوفييتية واعتلقوا ثم قتلوا[1].

سعت الولايات المتحدة الامريكية الى محاربة الشيوعية ثقافيا، وشن حرب فكرية على الشيوعية، وكان اول الاجهزة التي انشئت في الولايات المتحدة للترويج للدعاية الامريكية في الخارج، هو مكتب الاعلام الدولي والشؤون الثقافية، وكان ذلك عام 1946، وهذا المكتب كان يتبع وزارة الخارجية الامريكية، وكان الاشراف المباشر عليه يتم بواسطة مساعد وزير الخارجية لشؤون العلاقات العامة. وفي كانون الثاني 1948 اعيد تنظيم مكتب الاعلام الدولي والشؤون الثقافية تحت اسم جديد هو مكتب الاعلام والتبادل الثقافي الذي خصصت له اعتمادات مالية تفي باحتياجاته[2].ويبدو ان شرارة الحرب الثقافية التي شنتها الولايات المتحدة على المد الشيوعي جاءت بسبب المؤتمر الذي عقد في اذار 1949 في قاعات الاستقبال في فندق والدورف-استوريا في نيويورك، اذ اجتمع ما يقارب الـ 800 كاتب وفنان، حضروا من جميع انحاء العالم، ليدعوا الى التفاهم مع موسكو. وقد شارك امريكيون ايضا في هذا المؤتمر الذي لم يتوان المشاركون فيه عن ادانة ح الولايات المتحدة للحرب، والدعوة اليها؛ ومن بين الامريكيين المشاركين الكاتب آرثر ملير، والموسيقار ارون كوبلاند، الذي كان يرى: "ان سياسة الحكومة الامريكية الحالية ستؤدي الى حرب عالمية ثالثة لا محالة". ودعا ديمتري شوستاكوفيتش، وهو موسيقار روسي، كافة الفنانين الى مقاومة: "الفاشيين الجدد" الذين يسعون للسيطرة على العالم[3]. وكانت الادارة الامريكية ترى بان هذا المؤتمر جاء بدعم الكومينفورم(Kominform)، لذا كان

---

[1]) واينر،ارث من الرماد،ص79.

[2]) مقلد،العلاقات السياسية الدولية،ص460.

[3]) للمزيد من التفاصيل حول المؤتمر انظر:سوندرز،من الذي دفع للزمار،ص69-80.

لابد من رد مماثل. لذا اسس مكتب التنسيق السياسي(OPC): "مجلس الحرية الثقافية"، وهو احد ابرز الاعمال التي نفذها وايزنر مدير المكتب الذي تصور: "مشروعا واسعا يستهدف المثقفين"، الذي عمد الى تمويله سرا عبر مؤسسات وجمعيات لا تتوخى الربح. اما هدف المنتدى فهو: "مواجهة الدعوة التي اطلقها الشيوعيين للفنانين، والمثقفين...". ولهذه الغاية نشر المنتدى كتبا، وصحفا سياسية، وادبية، كما نظم مناسبات ثقافية، ومهرجانات موسيقية، ومؤتمرات[1].وحسب ما يذكر توم برادن احد قدامي مكتب الـ(OSS): "انها معركة تُشن من خلال مجلات صغيرة، وكتب ذات تجليد فني، ومحاضرات رفيعة الافكار"، ويستمر بالقول: "اعتقد ان موازنة مجلس الحرية الثقافية في سنة كنت مسئولا عنه بلغت في حدود 800,000-900,000 دولار"[2].كان الهدف من هذا كله اثبات ان حرية التعبير في الولايات المتحدة تتجاوز كل ما يمكن ان يقدمه النظام السوفييتي وتتفوق عليه. وقد شارك العديد من المثقفين كالفرنسي رايموند ارون في هذه النشاطات، من دون ان يعرفوا من يديرها. وقد تضمن عمل المجلس تمويل مجلة شهرية رفيعة الافكار تدعى انكاونتر، احدثت موجة من النفوذ في الخمسينيات بدون ان يبيع العدد الواحد منها اكثر من 40,000 نسخة. وقد شكل ذلك نوعا من العمل التبشيري اجتذب المتخصصين في الفنون، والآداب.

عقد مؤتمر تحضيري لهذا المجلس في ايار 1949 في باريس، تحت رعاية دافيد روسيت، وهو اشتراكي هاجم مخيمات العمل الشاق، والنظام السوفييتي الاعتقالي. وقد شارك مع اصدقائه من المتطوعين، وهم معارضين للنظام السوفييتي بالاحتفال: "باليوم العالمي لمقاومة الاستبداد والحرب". وقد سعى المنظمون لان يترك المؤتمر الاول في

---

[1]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص64-65؛واينر،ارث من الرماد،ص64.

[2]) واينر،ارث من الرماد،ص64.

حزيران 1949 صدى بعيدا، سواء من ناحية عدد المشاركين الذي قارب الاربعة الاف، أو من ناحية مكان عقده، اذ اختير مكانا ذا طابع رمزي: انه برلين، المقسمة الى مناطق نفوذ منذ استسلام الرايخ الثالث كما رأينا. او كما اراد منظمو المؤتمر ان يجعلوا منها: واحة حرية مقابل الجزء الذي يحتله الجيش الاحمر!![1].

لم يكن المجلس سوى جزء من القوة الضاربة الايديولوجية التي وضعها مكتب التنسيق السياسي، الذي اسس وموّل وسائل دعائية اخرى مثل: انشاء راديو اوروبا الحرة، وراديو الحرية اللذان يبثان باتجاه اوروبا الشرقية. وقد بدأ التخطيط في اواخر عام 1948، واوائل عام 1949، ولكن الامر تطلب اكثر من سنتين لإطلاق الاذاعات عبر الاثير. واصبح دالاس مؤسس لجنة وطنية من اجل اوروبا الحرة، وهي واحدة من المنظمات التي تمولها ال(CIA). وضم مجلس اوروبا الحرة الجنرال ايزنهاور، وهنري لوس، رئيس التايم، وفورتشون، وسيسل دي. ديميل المخرج الهوليوودي، وجميعهم جندهم دالاس، ووايزنر. كما جند المكتب مئات الصحفيين حول العالم، وموّل الابحاث الجامعية المتخصصة بشؤون الاتحاد السوفييتي، ودول اوروبا الشرقية، وقد نشرت اعمالهم بفضل اموال الاستخبارات الامريكية. واستخدم المال ايضا لتمويل افلام تشوه الشمولية السوفييتية، كفيلم: "مزرعة الحيوانات" لجورج اورويل، وهذا الاسم استعارة لوصف النتائج السلبية، والسيئة للثورة البلشفية، وكاقتباس من احد مؤلفاته وهو كتابه الشهير 1948. ففي هذه الرواية الاستباقية يصور اورويل حكومة مستوحاة من الستالينية والنازية، تصل الى حد البحث في افكار مواطنيها وتفحصها. وقد عُلقت عبارة: "الاخ الاكبر يراقبك" في جميع انحاء البلاد لتذكر المواطنين بذلك. باختصار يصور اورويل

---

[1]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص64-65؛واينر،ارث من الرماد،ص64.

غياب تام لحرية التعبير، في اشارة الى ما هو حاصل في الاتحاد السوفييتي[1]. كما كتب في نفس الفترة الكاتب شليزنجر كتابه الوسيط الحيوي الذي اوضح فيه مسار اضمحلال قوى اليسار، وشللها الاخلاقي الخطير ف اعقاب ثورة 1917 الفاسدة، وتتبع تطور اليسار غير الشرعي حسب قوله[2].

عمل الامريكان على مواجهة المد الشيوعي بطرق اخرى ومنها التدخل في الانتخابات العامة في البلدان الاوروبية، اذ كانت كل من فرنسا وايطاليا قد قررتا التوجه قدما في معاداة الشيوعية، فقد قررت الحكومة الفرنسية برئاسة راماديه عزل الوزراء الشيوعيين عن الحكومة في 4 ايار 1947، وحذت حذوها الحكومة الايطالية في 31 ايار. وهكذا اصطفت فرنسا، وايطاليا بوضوح في صف المعسكر الغربي[3]. كما تزايد الاهتمام الامريكي في هذه الفترة بالوضع الايطالي بشكل خاص، والدليل على ذلك هو توجيهات مجلس الامن القومي الامريكي الصادرة في تشرين الثاني 1947 والمتعلقة بالنفوذ المتعاظم للحزب الشيوعي الايطالي. فقد خرجت ايطاليا من الحرب العالمية الثانية منهارة اقتصاديا، ومنقسمة سياسيا، بين ثلاثة احزاب كبيرة هي: المسيحيون الديموقراطيون، والاشتراكيون، والشيوعيون. وبدأ الكل يتحضر للموعد الانتخابي الكبير في ربيع عام 1948، وهي اول انتخابات عامة في تاريخ البلاد. وكان الحزب الشيوعي يملك نقطة لمصلحته تجعله يتفوق على منافسيه، وهو انه ممول سرا من الاتحاد السوفييتي، عبرا مكتب له في روما. وقد ارتفعت المبالغ المدفوعة مع اقتراب موعد الانتخابات حتى قاربت العشرة ملايين دولار في الشهر، وقد ابلغت الاجهزة الامنية الايطالية وكالة الاستخبارات المركزية بهذا الامر. وقد صرح جورج كينان: "هذا الوضع

---

[1]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص65-66؛واينر،ارث من الرماد،ص64-65.

[2]) سوندرز، من الذي دفع للزمار،ص87.

[3]) دروزيل،التاريخ الدبلوماسي، ج1،ص179.

اثار قلقنا فعلا، فالشيوعيون يستخدمون الاموال الطائلة التي يملكونها ليسيطروا على العناصر الاساسية في المجتمع المدني الايطالي، كالناشرين، والصحافة، والنقابات، والجمعيات الطلابية، والمنظمات النسائية"[1]. وقد ابلغت وكالة(CIA) البيت الابيض ان ايطاليا قد تصبح دولة بوليسية توتاليتارية. وفي حال فوز الشيوعيون في صناديق الاقتراع، فسيستولون: "على المقر الاقدم للثقافة الغربية. وسيصاب، بنوع خاص، الكاثوليك المتدينون في كل مكان بالقلق الشديد، فيما يتعلق بسلامة الكرسي الرسولي". فاحتمال وجود حكومة ملحدة تحيط بالبابا، وتضعه تحت تهديد السلاح مسألة ذات خطر كبير. واعتقد كينان ان حربا بالنار ستكون افضل من ترك الشيوعيين يأخذون السلطة قانونيا، عبر صناديق الاقتراع، الا ان العمل الخفي المصمم على طريقة التقنيات التخريبية الشيوعية شكل ثاني افضل خيار[2].

ازداد قلق واشنطن لان التأثير الشيوعي بدأ يظهر في دول اخرى من اوروبا الغربية، لاسيما في فرنسا، حيث حصل الحزب الشيوعي على ما يقارب 30% من الاصوات في الانتخابات التي جرت هناك. ورأى البيت الابيض ان دائرة النفوذ كلها في اوروبا الغربية ستتعرض للخطر اذا ما رفعت الحكومة الايطالية لواء الشيوعية. ولتجنب هذا: "لابد من القيام بشيء مختلف، شيء لم تفعله الاستخبارات الامريكية قط من قبل"، وذلك بحسب ضابط تابع للوكالة، مقره في اوروبا. وقد استندت الـ(CIA) الى التقارير الصادرة عن مجلس (CIG) السابقة، اذ درس المجلس امكانية ان يفوز هذا الحزب في انتخابات ربيع 1948، واشار التقرير: "ان الحكومة الايطالية، الميالة الى اعتماد النظام الديموقراطي الغربي، ضعيفة وهي تتعرض لهجمات مستمرة من الحزب

---

[1]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص56، 59.

[2]) واينر،ارث من الرماد،ص51.

الشيوعي القوي جدا". وبالتالي لابد من تدخل امريكي الا المساعدة الامريكية لهزم الشيوعيين ستتطلب الكثير من الاموال النقدية، وافضل تخمين لرئيس محطة الـ(CIA) في روما، جيمس ج. انغلتون كان عشرة ملايين دولار، فـ: "للولايات المتحدة مصالح امنية ذات اهمية كبرى في ايطاليا. ولابد من تعزيز الاجراءات التي تهدف الى حماية هذه المصالح في اسرع وقت ممكن". ودعا المجلس الى دعم الحكومة الايطالية عبر ارسال المال، والمساعدات الغذائية، وتقديم منافع تجارية، فضلا عن محاربة: "الدعاية الشيوعية، عبر برنامج اعلامي مناسب، وذلك عبر جميع الوسائل المتاحة، لاسيما الاموال السرية"[1].

من اجل توفير الاموال اللازمة التمس وزير الدفاع الامريكي جيمس فوريستال، والن دالاس احد كبار مسئولي الـ(CIA) مساعدة اصدقائهما في وول ستريت، وواشنطن، من رجال اعمال، ومصرفيين، وسياسيين، كما ذهب فوريستال الى جون و. شنايدر وزير الخزانة، واحد اقرب الحلفاء الى هاري ترومان. وقد اقنع شنايدر بأن يعطيه الاموال المطلوبة من صندوق استقرار الصرف الذي انشأ ابان الركود العظيم لدعم قيمة الدولار فيما وراء البحار، من خلال التجارة القصيرة الامد بالعملة، وقد تم تحويله خلال الحرب العالمية الثانية الى مستودع لما تمت مصادرته من منهوبات دول المحور. وقد احتوى الصندوق على 200 مليون دولار مخصصة لإعادة اعمار اوروبا. وقد تم تحويل الملايين الى الحسابات المصرفية لمواطنين امريكيين اغنياء، كثيرون منهم من اصول ايطالية، الذين ارسلوا المال الى الجهات السياسية التي خلقتها الـ(CIA) حديثا. وقد اعطيت التعليمات للمتبرعين، لوضع رمز خاص الى جانب: "هباتهم الخيرية" في

[1]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص59-60.

الملفات التي يرفعونها لضريبة الدخل[1]. وبفضل الاموال السرية التي تم الحصول عليها والتي قاربت 40,000,000 دولار في عام 1948، بدأت وكالة الاستخبارات المركزية باعتماد العديد من الاساليب التي يستخدمها السوفييت: تجنيد الصحفيين، والنقابيين، كما سلمت الملايين الى سياسيين ايطاليين، والى كهنة الحركة الكاثوليكية، وهي الذراع السياسية للفاتيكان. وسلمت حقائب ملآى بالأموال النقدية في فندق هاسلر. وراحت الـ(CIA) تلصق في شوارع روما منشورات، واعلانات، سياسية اخرى تفضح مساوئ الشيوعية. كما ارسلت المال سرا الى رئيس الوزراء الايطالي، المدعو دي غاسباري الذي يترأس حركة المسيحيين الديموقراطيين. فقد كانت فكرة سيطرة الشيوعيين على السلطة تخيف رئيس هذا الحزب، المقرب من الفاتيكان، الى حد انه اقترح على من يتصل بهم في(CIA) تمويل الاحزاب الايطالية الاخرى، بما في ذلك الاشتراكيين. فانتصار الشيوعية سيحرج البابا، وهذا ما يسعى دي غاسباري لتجنبه مهما كان الثمن. وقد رأت الـ(CIA) ان هذه الفكرة جيدة، وسارعت الى تطبيقها عمليا انما في اطار اوسع واشمل. فقدمت الدعم للاشتراكيين المعتدلين في العديد من الدول الاخرى لتستخدمهم كترياق ضد تطرف اليسار. وبفضل هذه السياسة فاز الديموقراطيون المسيحيون في ايطاليا بهامش مريح، وشكلوا حكومة استبعدوا منها الشيوعيين، رغم حصول الاخيرين على ثلث اصوات الناخبين[2].

---

[1]) واينر،ارث من الرماد،ص52.

[2]) دانينو،وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية،ص60؛واينر،ارث من الرماد،ص52؛ ناظم رشم معتوق الامارة وحسين عبد القادر محيي التميمي،"موقف الولايات المتحدة الامريكية من الانقلاب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا عام 1948"، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية،جامعة بابل،المجلد:1،العدد:2،لسنة:2010،ص152.

6

الرؤية الجيوسياسية الأمريكية لمنطقة الشرق الأوسط (نماذج مختارة)

عبدالله ناهض

تعد منطقة الشرق الأوسط من بين أبرز المناطق العالمية المهمة إن لم تكن أهمها، وتقع في محور اهتمام استراتيجيات القوى الدولية والإقليمية، وهذه الأهمية تتأتى من كونها منطقة ربط والتقاء برًا وبحرًا وجوًا بين قارات العالم القديم، فضلًا عن كونها غنية بالموارد الطبيعية، ومهد العديد من الأديان والحضارات، ولهذا هي منطقة تمتاز بالحركية الصراعية إذا صح الوصف، ومحط أنظار العديد من القوى العالمية، فمن يسيطر عليها تدين له السيطرة العالمية بنسبةٍ كبيرةٍ. وما زاد من أهميتها وجود إسرائيل فيها، المزروعة في قلبها منذ عام (1948)، مما أدى إلى أن تكون حجة تتخذها القوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية الراغبة بالهيمنة على هذه المنطقة، أو هي بالحقيقة مسيطرة عليها منذ عام (1945)، وتعززت هذه السيطرة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، إذ باتت القطب الأوحد الذي لا يضاهيه أحدًا في قوته.

تلخص الأهداف الجيوسياسية الأمريكية في هذه المنطقة بالآتي: ضمان أمن وتفوق إسرائيل، وحماية أمن الطاقة وممراتها البحرية، والوقوف ضد أي محاولة من قبل الدول الأخرى تهدف عبرها إلى السيطرة عليها، أو تهديد الوجود الأمريكي فيها، ولهذا نهجت الإدارات الأمريكية المتعاقبة استراتيجية توازنية وأساليب متنوعة كـ الاعتماد على القوة الصلبة، أو الناعمة، أو الذكية، وهدفت عبرها إلى ضمان دخول منافسيها وحتى أصدقائها في لعبة تبادل الأدوار والتنافس على النفوذ في المنطقة، بما لا يسمح بسيطرة قوة إقليمية محددة عليها، مما قد يؤدي إلى تهديد هيمنتها عليها.

عليه سيتضمن هذا الفصل بعض النماذج المختارة المتعلقة بشأن استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، أي أننا لن نأخذ كل دولها بل بعض منها. ووفقًا لذلك تم تقسيمه على أربعة محاور تضمن المحور الأول: أهمية العراق في المدرك الجيوسياسي الأمريكي، والثاني أهمية إيران في المدرك الجيوسياسي الأمريكي، والثالث أهمية إسرائيل في المدرك الجيوسياسي الأمريكي، والرابع محركات الصراع فوق الجيوبولتيكيا السورية

أهمية العراق في المدرك الجيوسياسي الأمريكي.

ترى الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، دولةً مهمةً ضمن استراتيجيتها العالمية عمومًا، والشرق الأوسط بالخصوص، على اعتبار أنه يقع ضمن هذه المنطقة المهمة، وأهميته هذه تتأتى من موقعه الجغرافي الحيوي، وتنوع ثرواته، وقميته كموازن إقليمي في المنطقة، ولهذا وعلى الرغم من الاخفاقات العسكرية التي منيت بها القوة الأمريكية بعد احتلالها له عام (2003)، إلا أن ذلك لا يلغي حقيقة أهميته بالنسبة للأمريكان. وبالنظر إلى ذلك سيتم البحث في هذا المطلب وعبر محورين: المحور الأول: موقع العراق في خارطة توازن القوى في المنطقة، والثاني: العلاقات الأمريكية – العراقية (بعد حادثة اغتيال سليماني والمهندس)

- **المطلب الأول: موقع العراق في خارطة توازن القوى في المنطقة.**

إذا ما رغبت بالنزول إلى الشارع العراقي، لطرح سؤالٍ محددٍ على المارة فيه، هو "ماذا تريد الولايات المتحدة الأمريكية من العراق؛ بالتأكيد ستكون إجابات الغالبية منهم تتمركز بشأن: إنهم طامعون في ثرواتنا، وأرضنا، وكذلك أنهم يريدون ضمان أمن الكيان الإسرائيلي، الذي يرغب بأن يستمر العراق ضعيفًا، أو أنهم يريدون تدمير الإسلام، والمسلمين، وكذلك تفتيت، وتقسيم البلد، وغيرها من الإجابات التي لا أُريد التعمق فيها، بل أخذت هذه المقدمة لتكون مدخلًا لموضوعي الموضح في عنوان

المبحث؛ ذلك من أجل فهم طبيعة الرؤية الشعبية، والرسمية السائدة اتجاه الأمريكان، ولتوضيح ما أُريد التوصل إليه، والذي سيكون بعيدًا عن هذه الرؤية؛ أي بمعنى أدق، سأبحث الموضوع من الناحية الجيوسياسية، وما يمثله العراق فعليًا في المدرك الأمريكي.

الجيوسياسية كما يعرفها (جورج قرم) تعني "وصف وتحليل مختلف الاجراءات التي تعكس رغبة دولةٍ، أو نظام حكم، يُعبر عنها علنًا، أو بصورةٍ غير مباشرة، في بسط وتوسيع سلطتها في النظام العالمي، ابتداءً بالدول المجاورة لها، ثم في مرحلة ثانية في تثبيت نفوذها المتزايد على أجزاءٍ أخرى من العالم"[1]. وبناءً على هذا التعريف ترى الولايات المتحدة الأمريكية في العراق رقعةً استراتيجيةً مهمةً، تقع في صلب استراتيجيتها العالمية الراغبة في تحقيق الهيمنة المطلقة على العالم، والهيمنة هنا ليست بمعنى أن تُرسل جيوشها لتغزو، وتضم الأراضي، والبلدان، كما كان شائعًا إبان الحقب الماضية؛ وإنما القصد منها هو النفوذ السياسي، والاقتصادي، والعسكري عبر نشر قواعدها العسكرية في مختلف الأصقاع، وحتى الاجتماعي!، أي أن لا تكون هنالك أنظمة سياسية تتبنى سياساتٍ معاديةٍ لها أو لمصالحها العالمية، كتلك التي تُطلق عليها وصف "دول محور الشر" أو "الدول المارقة". ومع ذلك قد تلجأ إلى الغزو؛ ذلك لدواعٍ استراتيجيةٍ محددةٍ كما حدث مع أفغانستان في عام (2001)، والعراق في عام (2003).

لهذا، تتبع الولايات المتحدة الأمريكية سياسة يصفها (جون ميرشايمر) بـ "سياسة تمرير المسؤولية إلى الآخرين"[2]، أي أنها تتحالف، وتتشارك، مع عدد من الدول في

---

[1]- جورج قرم، نحو مقاربة دنيوية للنزاعات في الشرق الأوسط: تحليل ظاهرة توظيف الدين في السياسة الدولية، ترجمة: سلام دياب، الفارابي، بيروت، 2014، ص99.

[2]- جون ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ترجمة: مصطفى محمد قاسم، النشر العلمي والمطابع، الرياض، 2012، ص17.

مختلف المناطق العالمية المهمة كشرق آسيا، والخليج العربي، تكون أداتها لحفظ مصالحها، وكذلك تكون أداةٌ لردع منافسيها، وأعدائها، كما في حالة حليفتها اليابان، وكوريا الجنوبية، الدولتين اللتين تعملان في سبيل احتواء المارد الصيني، وكذلك بالنسبة للملكة العربية السعودية، التي تعمل كموازن إقليمي لإيران، الدولة التي تهدد المصالح الأمريكية في منطقة الخليج العربي، وكذلك تهديد أمن الكيان الإسرائيلي، الذي يقع في صلب المصالح القومية الأمريكية.

إلا أن السعودية فشلت في لعب هذا الدور بعد عام (2003)، وهو ما أدى إلى تغول النفوذ الإيراني في هذه المنطقة، ولذلك يرى الصحفي والكاتب المصري الراحل محمد حسنين هيكل، بأن السعودية "لم تكن هي المطلب الأمريكي الأول، فحقائق القوة يصنعها البشر، ولا يصنعها البترول"[1]. وكان العراق قبل الاحتلال يحد من هذا النفوذ، بل كان يشكل عامل توازن إقليمي قبالة إيران في المنطقة، وأجاد هذا الدور الاستراتيجي، حتى نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى الرغم من أن العراق احتل الكويت في 2 آب/أغسطس من عام (1990)، وما ترتب بعد ذلك من جهودٍ دوليةٍ قادتها الإدارة الأمريكية تحت رئاسة رئيسها الأسبق (جورج بوش الأب)، هدفت إلى إخراج العراق من الكويت، عبر عمليةٍ عسكريةٍ أُطلق عليها اسم "عاصفة الصحراء"، ولم تكتفِ بإخراج العراق فقط؛ بل عمدت إلى اتباع تدميرٍ ممنهجٍ للبنى التحتية العراقية، فضلًا عن تدمير الجيش العراقي المنسحب من الكويت، أعقبه فرض حصارًا دوليًا خانقًا عليه، استمر حتى احتلاله في عام (2003).

1- محمد حسنين هيكل، السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1980، ص46.

هـذه الاسـتراتيجية تنـدرج ضـمن فرضـية جـون ميرشـايمر الـتي يسـميها بـ "فـرض التوازن"، إذ تلجأ القوى العظمى، والكبرى، إلى هذه السياسة عبر التدخل المباشر من قبلها؛ بعد أن تفشل سياسة تمرير المسؤولية إلى الآخرين[1]. أي بمعنى أن الدول العربية كالسعودية، ومصر، باعتبارها دول حليفة للولايات المتحدة الأمريكية، لم تستطع ردع العراق في حينها، ما حتم عليها التدخل بنفسها، لإعادة الأوضاع في المنطقة كما كانت عليه قبل الاحتلال العراقي للكويت، وعززت تواجدها العسكري في هذه المنطقة الحيوية بالنسبة لها، التي لن تتوانى للحظة في الدفاع عن مصالحها فيها انطلاقًا من مبدأ كارتر، إذا ما تعرضت للخطر من قبل أية قوة.

مع ذلك عملت الولايات المتحدة الأمريكية على المحافظة على نظام صدام حسين، كما وسمحت له بقمع الانتفاضة التي قامت ضده في محافظات الجنوب العراقية، وغضت الطرف عن ذلك. لماذا؟ لأنها لم تكن ترغب بأن يختل توازن القوى في المنطقة لصالح إيران، في حال سقوط النظام العراقي، في الوقت الذي لم يكن هنالك بديلًا موثوقًا بالنسبة لها. واستمر نظام صدام بسبب هذه الغاية[2]. على الرغم من أن صلات التواصل بينه، وبين الأمريكان قطعت، ولم تتعامل الإدارة الأمريكية مع نظامه، حتى أنها وضعت في عام (1998)، إبان حكم رئيسها الأسبق (بيل كلينتون) ما اسمته "قانون تحرير العراق"، وكان من بين فقراته اللجوء إلى القوة العسكرية لتحقيق هذا الهدف[3]. مما يفسر بأن ما حدث في عام (2003)، لم يكن إلا تحصيل حاصل، وأن

---

[1]- جون ميرشايمر، مصدر سبق ذكره، ص ص197-198.

[2]- محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1991، ص ص569-575.

[3]- النص الكامل لقانون تحرير العراق لسنة 1998، الموسوعة الآشورية، استخرج في 2020/11/6، على الموقع الإلكتروني:

http://www.betnahrain.net/Arabic/Documents/IL1998.htm

أحداث 11 أيلول/سبتمبر عام (2001)؛ مثلت فرصةً سانحةً لإدارة الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج ووكر بوش) لكي تنفذه؛ وتعمل على احتلال العراق، وإسقاط نظامه السياسي بل والدولة برمتها. ليس لشيء، إلا لأنها تريد نظامًا جديدًا تستطيع التعامل معه، يكون بمثابة أنموذجًا ديمقراطيًا يحتذى به، في ظل منطقة عربية تعج بالأنظمة الاستبدادية، وليكون العراق منطلقًا للاستراتيجية الأمريكية، ولمشروعها في المنطقة، وليستمر طرفًا موازنًا لإيران، زيادةً على استثمار ثرواته الطبيعية كالنفط، من أجل أن تستثمر فيه الشركات النفطية الأمريكية، وكذلك استخدامه ورقةً سياسيةً، للتلاعب بأسعاره والتأثير على الدول المستهلكة له، لا سيما تلك المنافسة لها كالصين مثلًا، التي تعد أكبر مستورد للنفط العراقي[1]. لذلك قد تلجأ الولايات المتحدة الأمريكية إلى استثمار ورقة الطاقة ضد الصين، من أجل الحد من إنطلاقتها الاقتصادية، التي تهدد المكانة الاقتصادية الأمريكية العالمية، ويمكن أن تزيحها عن صدارتها العالمية بهذا الشأن.

وتعد الصين منافسةً لها على العراق، لا سيما وأنه يقع في صلب استراتيجيتها، أو ما تطلق عليه مبادرة "الحزام والطريق"، وهي رؤية صينية تحاكي أنموذج طريق الحرير القديم، الذي كان قديمًا يربط الصين بدول منطقة الخليج العربي. بالتالي هذا الأمر يؤرق الولايات المتحدة الأمريكية، فكيف لها تقبل خسارة العراق، سواءً أكان لإيران، أو للصين، أو أية دولةٍ أخرى؟ البلد الذي خسرت من أجله تريليونات الدولارات، فضلًا عن آلاف الضحايا، والجرحى من جنودها، لن تُسلمه بالسهولة التي نتصورها؛ فهذه حقائق قوة، وهيمنة، ومكانة تقع في صلب تفكير القوى العظمى والكبرى.

---

[1]- لماذا ارتفعت صادرات النفط العراقي للصين رغم أزمة كورونا؟، الحرة، تأريخ النشر 13 يونيو / حزيران، استخرج في 2020/11/6، على الموقع الإلكتروني:

https://www.alhurra.com/iraq/2020/06/13/

هذه الرؤية الأمريكية لم تأتِ من فراغ؛ لا سيما وأنه يتمتع بالعديد من المزايا الاستراتيجية، كالمواقع الجيوبولتيكي المهم، وثرواته الهائلة، وحضارته الضاربة في القدم، وما يمتلكه من تأثيرٍ دينيٍ، وحضاري، على الدول العربية أجمع، مما يؤهله للعب دور القائد في المنطقة العربية، على اعتبار أن بغداد كانت في يوم ما عاصمة الدولة العباسية، وما يمثله من ثقل دينيٍ بالنسبة لشيعة العالم أجمع الذين ينظرون إليه على أنه رمزهم الروحي، لأن رموزهم ومراقدهم الدينية متواجدة فيه، وغيرها من المميزات. فإذا ما كانت روسيا الاتحادية قلب أوراسيا، يعد العراق قلب منطقة الشرق الأوسط، ومن يسيطر عليه، يسيطر على هذه المنطقة المهمة للغاية، هذا وغيره تضعه الولايات المتحدة الأمريكية ضمن اعتباراتها الجيوسياسية التي تخص العراق.

إلا أن كل الآمال الأمريكية التي بنتها إدارة بوش حول العراق، تبخرت على أرض العراق، إذ مع الشهور الأولى للاحتلال انطلقت المقاومة العراقية الرافضة لهذا الاحتلال، ووجدت أن الواقع ليس كما تصورته قبل الاحتلال، إذ كان يُخيل إليها أن الشعب العراقي سيستقبلها بالورود. وهنا يقول (جون فريدمان) "أصبح الهدف النهائي ليس خلق واقع استراتيجي جديد في المنطقة، بل أصبح الهدف مجرد سحب القوات الأمريكية ضمن إطار زمني معقول، وكان أفضل أمل هو أن تترك ورائها حكومة محايدة، وفي أسوأ الأحوال ستكون نتيجة الغزو النهائية هي الفوضى"[1].

وهكذا حاولت إدارة الرئيس الأمريكي السابق (باراك أوباما)، جاهدةً من أجل لملمة أوراق بلادها في العراق، والعمل على الخروج منه في أسرع وقت، لتفادي حجم الكلف البشرية، والمادية، فضلًا عما سببه احتلالها للعراق من تضرر في سمعتها الدولية،

[1]- جورج فريدمان، الإمبراطورية والجمهورية في عالم متغير، ترجمة: أحمد محمود، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2016، ص98.

وانعدمت مصداقيتها، لأنها بنت مشروع احتلالها على أساس أن العراق يمتلك السلاح النووي، وأنها تريد منه منارة للديمقراطية وحقوق الإنسان في المنطقة، الأمر الذي تبين أنه مجرد وهم، أو خدعة، أو كذبة، كما وأصبح ينظر لها على أنها دولة احتلال، على عكس ما كانت تصدره، باعتبارها دولة مناصرة لتقرير مصير الشعوب، واستقلالها، وهذا ما حدث فعليًا في عام (2011)، إذ خرج آخر جندي أمريكي من العراق بعد احتلالٍ دام ثمان سنوات، الأمر الذي استثمرته إيران أحسن استثمار، لا سيما وأن من تسنم السلطة الجديدة في العراق بعد (2003)، هم حلفائها من القوى السياسية الشيعية ذات التوجهات الأصولية الإسلامية، وبدل أن تخلق الولايات المتحدة الأمريكية توازنًا إقليميًا محوره العراق؛ نجد أن إيران سيطرت عليه، وأضحى يسير في ركب استراتيجيتها الراغبة في تشكيل ما يسمى بـ"الهلال الشيعي"، أو بالأحرى ما يسمى بـ مشروع "أم القرى"، الراغب بتصدير الثورة الإيرانية خارج الحدود، والذي يهدف بالأساس إلى إحكام السيطرة الإيرانية على المنطقة، فهو في مظهره يحمل أبعادًا دينية؛ إلا أن حقيقته تنبع من طموحات جيوسياسية إيرانية تخص رؤيتها حيال المنطقة[1].

وعملت إيران على دعم عدد من الجماعات المسلحة ما دون الدولة، لتكون بمثابة يدها الضاربة في العراق، ومصدًا قويًا ضد المحاولات الأمريكية؛ الرامية إلى جعل العراق قوةً إقليميةً موازنةً لها، وهو ما يضر بمشروعها في المنطقة، لا سيما وأنه العراق يعد ممرها نحو البحر الأبيض المتوسط ومن ثم أوربا، والمنطقة العربية برمتها، والقارة الأفريقية، ومن دونه ستكون غير مؤثرة على الصعيد الإقليمي، وستفشل كل مشاريعها الإقليمية.

1- جورج فريدمان، مصدر سبق ذكره، ص27

وهذا على الضد مما يريده الأمريكان حيال العراق. فكيف لمشروع استراتيجي أرادوه هكذا يتبخر أمامهم؟ ولهذا الفشل أسباب عدة منها:

أولًا: فشلهم في قراءة الواقع العراقي المجتمعي قبل اتخاذهم خطوة الاحتلال.

ثانيًا: اعتمدوا في البداية على طائفة محددة وهي الطائفة الشيعية، مقابل تجاهل تام للطائفة السنية، وهو ما أدى إلى أن تكون حجر عثرة أمام المشروع الأمريكي الخاص بالعراق، لأنها أول من تبنت مشروع المقاومة المسلحة ضد قواتهم، المتغير هذا لم يكن في حسبانهم، وفي ذلك يقول جون فريدمان "فقد وضعوا . السنة في موقف، ليس هنالك ما يفقدونه فيه، وتبنو إطلاق النار العشوائي والعبوات الناسفة"[1].

ثالثًا: فشلهم في مساعدة العراق من أجل بناء دولة محترمة قوامها الوطنية، والمواطنة، وهذا الفشل أدى إلى أن يكون العراق حاضنةٌ للإرهاب، والجماعات المسلحة العابرة للحدود، في الوقت الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتصور فيه أنها قضت على أهم داعم للإرهاب أي نظام (صدام حسين)، بينما نجد أن العكس هو الذي حدث.

مع ذلك سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تصحيح الوضع الجيوسياسي الخاطئ في العراق كما تتصور؛ وكان متغير داعش فرصة لتصحيح المسار، لا سيما مع طلب الحكومة العراقية في حينها، مساعدتها في حربها ضده[2]. واستثمرت ذلك في بناء مجموعة من القواعد العسكرية، وتحديدًا في المناطقة السنية والكردية "العراق المفيد"، أي بمعنى أنها أخذت تعزز نفوذها في المحافظات ذات الغالبية الكردية والسنية، إذ أن معادلة

1- جورج فريدمان، مصدر سبق ذكره، ص99.

2- حيدر العبادي يطلب دعمًا عسكريًا من أمريكا، BBC NEWS عربي، تأريخ النشر 13 إبريل/نيسان 2015، استخرج في 2020/11/6، على الموقع الإلكتروني:

https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/04/150413_iraq_abadi_sacks_officers

القوى الداخلية المساندة لها، طرأ عليها تغيُر في طبيعة توازناتها، فمثلًا كانت المعادلة في عام (2003) وإلى حد عام (2014) تقريبًا، قائمةٌ على أساس (شيعة، كرد) يساندون التوجهات الأمريكية، بينما السنة معارضون للتواجد الأمريكي، أما بعد ذلك تغيرت إلى (كرد، سنة) مساندون، وشيعة معارضون لهذا التواجد، وقد عبرت العديد من الفصائل الشيعية عن هذا التوجه بشكلٍ علنيٍ، بل وصوتت الكتل الشيعية في البرلمان على ضرورة خروج القوات الأمريكية من العراق، عقب حادثة اغتيال كل من (قاسم سليماني، وأبو مهدي المهندس)، بينما لم تحضر هذه الجلسة من الأساس الكتل الكردية، والسنية[1] .

استثمر الأمريكان ذلك، عبر إعلانهم عن ضرورة استمرار تواجدهم في العراق؛ لأن هنالك أطرافًا محليةً تؤيد ذلك، وأن خطر داعش لم ينتهِ بعد، وأن بقائها يضمن الحد من النفوذ الإيراني في العراق، أملًا في إنهائه مستقبلًا، سواءً القريب أم المتوسط. أما إذا استمرت القوى الشيعية على مواقفها الرافضة لتواجدهم في العراق؛ ربما يلجأون إلى خيار العقوبات الاقتصادية، وهو ما هدد به صراحة الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب)، أو ربما الاعتماد على "العراق المفيد"، وهو ما يؤدي إلى قطع الطريق البري الذي يصل إيران إلى البحر المتوسط كما ذكرنا سابقًا وحلقة الوصل يمثلها العراق، لا سيما المناطق الكردية، والسنية، والمحافظات الجنوبية حتى لو سيطرت عليها إيران، من وجهة نظري لن تكون مؤثرة، لأن الدولة المحاذية لها هي المملكة العربية السعودية، وهي في حالة عداء معها، زيادةٌ على أنها حليفة للولايات المتحدة الأمريكية، بالتالي ستكون مصدًا مانعًا أمام إيران، يحول دون مرورها البري نحو الخليج.

1- البرلمان العراقي يصدق على قرار يلزم بإخراج القوات الأجنبية، الجزيرة، تأريخ النشر 2020/1/5، استخرج في 2020/11/6، على الموقع الإلكتروني:

https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/1/5/

وتنطلق الولايات المتحدة الأمريكية في رؤيتها هذه، بناءً على ما يفترضه جون ميرشايمر في نظريته، التي يؤكد فيها على أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن فرضت هيمنتها المطلقة على نصف الكرة الغربية؛ ستعمل على منع بروز أية قوى ممكنة في المناطق الأخرى من العالم، قد تهددها أمنها القومي، أو نفوذها العالمي[1]. وهو ما ينطبق على إيران الهادفة إلى أن تكون قوة مهيمنة في منطقة الشرق الأوسط، المنطقة التي تقع في صلب الاستراتيجية الأمريكية، ولنا أن نتصور تعاملها مع (صدام حسين) حين غزا الكويت، ونحاول أن نسقطه على إيران، فكيف ستكون النتائج؟، بالتأكيد لن تختلف عن تعاملها، ربما إلا في الأساليب، التي في الأخير ستؤدي إلى ذات النتائج التي تحافظ على الهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط.

يبقى السؤال الأهم هل يدرك العراق، أو يفهم ما يريده الأمريكان؟ يقترح بعض أساتذة الاستراتيجية في العراق، ومن بينهم الدكتور علي حسين العيساوي، ما يُطلق عليها أطروحة "حليف واحد وشركاء متعددون"، بمعنى أن العراق ينبغي عليه الاعتماد على حليف دولي قوي لحفظ أمنه، وكذلك حتى يكون لاعبًا إقليميًا مؤثرًا، وهذا الحليف يكون، إما دولةٌ بحجم الولايات المتحدة الأمريكية، أو حلف كحلف شمال الأطلسي "الناتو"، أي أن يكون ضمن المعسكر الغربي في كل الأحوال، ولا بأس بأن يقيم العديد من الشراكات الدولية مع بقية الدول الأخرى، كالصين، وروسيا الاتحادية، وإيران...الخ. وشخصيًا أتفق مع هذه الرؤية؛ فالعراق في ظل وضعه الجغرافي المعقد، المحاط بقوى إقليمية تبحث عن بسط نفوذها عليه، كإيران، وتركيا، لن يستطيع كبح جماحها؛ إلا في ظل حليف دولي قوي تخشاه هذه القوى.

---

[1]- جون ميرشايمر، مصدر سبق ذكره، ص ص304-312.

إلا أن الانقسامات الداخلية التي يعيشها العراق، تمنع من أن يحدد وجهته حيال الخارج، ومع أي معسكر، وحلف يكون، فالشيعة يريدون الذهاب باتجاه معسكر روسيا الاتحادية، والصين، والكرد، والسنة يرون أن الخيار الأمثل هو الولايات المتحدة الأمريكية، ومحور الخلاف بين كلا التوجهين هو إيران، إذ أن الطرف الشيعي يؤيد الذهاب باتجاه المعسكر الذي ذكرته آنفًا لأن فيه إيران حليفهم الطبيعي، بينما الكرد والسنة، يعارضون ذلك، لأنهم يعتقدون أنهم سيكونون تحت رحمة الهيمنة الإيرانية المطلقة. فضلًا عن ذلك فإن المتغير المذهبي له دوره المهم في رسم هذه التوجهات، إذ أن الكرد والسنة، وأن اختلفوا قوميًا؛ إلا أنهم على ذات النهج من الناحية الدينية، باعتبارهم يتبعون المذهب السني، الذي لا يرغب بالدور الإيراني ذو التوجهات المذهبية الشيعية.

في الوقت الذي تريد فيه الولايات المتحدة الأمريكية من العراق، أن يكون طرفًا موازنًا لإيران، على اعتبار أن السلام بحسب (هنري كيسنجر) لا يمكن المحافظة عليه؛ إلا في ظل توازنٍ ثابتٍ للقوى بين الدول[1]. وهذا التوازن اختل في المنطقة عقب الاحتلال الأمريكي للعراق، وما ترتب عليه من سقوط نظام صدام حسين، الذي كان موازنًا مهمًا للقوى في المنطقة، وهو الذي أدى فيما بعد إلى إدراك الأمريكان حجم الخطأ الكبير الذي ارتكبوه. وهم إذ يحاولون تصحيح هذا الوضع الجيوسياسي، يقف شيعة العراق عقبة أمام ذلك، الذين يرون أنهم لا يمكن لهم الوقوف ضد حليفتهم السياسية، والدينية، فضلًا عن جارتهم الجغرافية إيران، وهو ما يؤكد عليه مرارًا قادة الفصائل الشيعية بشقيها السياسي، والمسلح.

1- جون جوتنر دين، مناطق الخطر: كفاح دبلوماسي في سبيل المصالح الأمريكية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2017، ص127.

- **المطلب الثاني: العلاقات الأمريكية – العراقية (بعد حادثة اغتيال سليماني والمهندس).**

تمر العلاقات العراقية – الأمريكية بحالةٍ من الإرباك الشديد، والشد، والجذب، لا سيما منذ حادثة اغتيال سليماني، والمهندس، التي استدعت ضرورة إعادة البحث في شروط التواجد العسكري الأمريكي على الأراضي العراقية، الذي ترفضه الفصائل الشيعية المهيمنة الحليفة لإيران. لذلك أخذ الجانبان العراقي، والأمريكي، يبحثان في قضية إعادة تحديد طبيعة العلاقات بينهما. ولهذا عقد حوارًا استراتيجيًا بين الطرفين في حزيران عام (2020)، ولعل الولايات المتحدة الأمريكية الطرف الأكثر وضوحًا في طبيعة المطالب التي أرادها من العراق، وكذلك هي الطرف الأقوى، بالتالي إن المعادلة تقوم بين طرف قوي، وطرف ضعيف المتمثل بالعراق، بالتالي حاول الطرف القوي فرض شروطه، أما أبرز المطالب الأمريكية:

أولًا: ضرورة إنهاء النفوذ الإيراني في العراق، ومن ثم يكون طرفًا موازنًا لها في المنطقة، لأنها أي الولايات المتحدة الأمريكية تريد التفرغ بشكلٍ رئيسٍ لمواجهة الصين في الشرق الآسيوي.

ثانيًا: إنهاء وجود الفصائل المسلحة.

ثالثًا: ضمان مصالحها الجيوسياسية النفوذ، والاقتصادية، والاجتماعية.

رابعًا: ضمان وجود عسكري دائم.

وبيد الإدارة الأمريكية العديد من الأوراق الضاغطة على العراق أبرزها:

1. استثمار ورقة الضاغط السني، والكردي.
2. التلويح بورقة العقوبات الاقتصادية.
3. تهديد داعش.

4. ضعف العراق في جانب القوة الجوية العسكرية، فهو لا يمتلك القدرة على تأمين أجوائِه، ولا يقدر على توفير الغطاء الجوي التام للقوات المقاتلة على الأرض، بالتالي يحتاج للقدرات الأمريكية على هذا الصعيد، لا سيما أن تسيلح الجيش العراقي أغلبه أمريكي.
5. المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها العراق.

هذا فيما يخص الرؤية الأمريكية حيال تصورها لطبيعة حوارها الإستراتيجي مع العراق. أما الأخير فيبدو أنه لا يعرف ماذا يريد من الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ يمر النظام السياسي العراقي بحالة من الشتات السياسي، لا سيما الطرف الشيعي الميهمن، الذي يعاني من وطأة ضاغط الفصائل المسلحة القريبة من إيران، وهو ما انعكس سلبًا على مدى قوة العراق في وضعه التفاوضي، ويمكن إبراز أهم الضواغط التي حدت من قدرة المفاوض العراقي على المناورة بالآتي:

1. الضاغط الإيراني.
2. ضاغط الفصائل المسلحة القريبة من إيران.
3. الضاغط السني، والكردي.
4. الضاغط الاقتصادي، لا سيما مع تراجع أسعار النفط، وكذلك توفير رواتب الموظفين، والفساد السياسي الذي أثقل كاهل البلد، وهو ما استثمره الأمريكان، لأن العراق بحاجة إلى المساعدات الاقتصادية في الوقت الحاضر، الأمر الذي يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تساعده فيه، لا سيما وأنها الدولة الأولى عالميًا من الناحية الاقتصادية، وتمتلك السيطرة على المؤسسات الدولية الاقتصادية كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، فضلًا عن أنها

تستطيع إخطار حلفائها كأوربا، واليابان، والسعودية، وتركيا حول ضرورة الوقوف مع العراق.

5. الضاغط الشعبي المتمثل بثورة تشرين، التي يطالب أنصارها بالتغيير السياسي الشامل.
6. التهديدات الأمنية المتمثلة بداعش.
7. حاجة العراق للمساعدات العسكرية الأمريكية، من تدريب، وتسليح، وتعاون مخابراتي، ومعلوماتي، وسيبراني.
8. ضاغط التشتت السياسي.
9. ضاغط الاختناق الجيوبوليتيكي المتثل بضآلة المنفذ البحري العراقي.
10. الضاغط المستجد المتمثل بجائحة كورونا، التي أضافة المزيد من الأعباء على كاهل الحكومة العراقية.

أمام كل هذه التحديات، والضواغط المحددة لحركية المفاوض العراقي. يمكن القول إن العراق يمتلك بعض الأوراق الضاغطة حيال الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تريد إبعاده عن النفوذ الإيراني، فضلًا عن إبعاده عن المسار الصيني، الذي كان إحدى الأوراق التي أثارت حفيظة الإدارة الأمريكية، بالتالي يمتلك العراق القدرة على اللعب بهذه الأوراق للحصول على المزيد من التنازلات الأمريكية، لا سيما على الصعيد الاقتصادي، فهو بحاجة للقروض، والمساعدات الاقتصادية العاجلة، وكذلك يحتاج لإعادة الإعمار والبناء، لا سيما وأنه يعاني كثيرًا على هذا الصعيد، وبناه التحتية متخلفة للغاية.

والولايات المتحدة بتصوري ستستجيب له، لا سيما إن حجة حكومة عادل عبد المهدي السابقة، في ذهابها نحو الصين، أن الأمريكان لا يساعدون العراق، بينما الصين يمكن أن تتكفل ببناء العراق.

وفي الجولة الثانية من الحوار الاستراتيجي بين الجانبين، سافر رئيس مجلس الوزراء العراقي (مصطفى الكاظمي) إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وسعى عبر زيارته إلى واشنطن، إلى ضمان مساندة الإدارة الأمريكية لحكومته، التي تعاني على الصعيد الداخلي من تحديات عديدة كـ الأزمة الاقتصادية، والصحية التي سببتها أزمة كورونا، وهبوط أسعار النفط، وخروج العديد من التظاهرات الاحتجاجية ذات النزعة المطلبية، فضلًا عن ضاغط صواريخ الكاتيوشا، المساهمة في زعزعة ثقة العالم بالعراق، إذ سينظر إليه كبلدٍ لا يستطيع حماية البعثات الدبلوماسية، أو الشركات الاستثمارية، فضلًا عن التحدي الإيراني الذي يحاول بكل ما أوتي من قوةٍ إبعاد العراق عن المحور الأمريكي. بالتالي إن هذه الزيارة تهم العراق بالدرجة الأولى لا الولايات المتحدة الأمريكية، لا سيما وأن رئيسها منشغلًا بشكلٍ رئيسٍ بالتحضير للانتخابات الرئاسية، وآخر اهتماماته ما يعانيه العراق داخليًا.

والمتمعن في كلام الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب)، أثناء لقائه بالكاظمي، سيجد غلبة اللغة الدبلوماسية الهادئة عليه، وهي قد تحمل رسائل أمريكية داعمة لجهود الكاظمي في الداخل العراقي، لا سيما فيما يخص علاقته المضطربة مع الفصائل السياسية، والمسلحة المتحالفة مع إيران، حتى أنه عندما تم سؤاله عن موقف بلاده من الميليشيات في العراق (حسب وصف الصحفي)، وما يمكن أن يقوم به حيالها، كان جوابه يتسم بالتجاهل، وأكد في ذات الوقت على أن العراق بلدٌ لديه سيادة، أي بمعنى كما هو ظاهر كلامه، لا علاقة لبلاده بذلك فهو شأن داخلي عراقي، وفي ذات

الوقت أكد على أن أي تهديدٍ لمصالح بلاده سيواجه بكل قوةٍ، وهي رسالة ذات مضامين ردعية مزدوجة، فمن ناحية نحن لا علاقة لنا، ومن ناحيةٍ أخرى سنضرب بقوةٍ لو تعرضت مصالحنا للخطر، بالتالي هي رسالة للجهات العراقية المناوئة للوجود الأمريكي في العراق، بأن تتوقف عن استهداف مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فيه، ويقينًا أن الرسالة موجهة إلى إيران في ذات الوقت.

وبالتأكيد يمكن تفسير ما جرى الحديث عنه بين ترامب والكاظمي، وما يمكن أن يخفيه من مضامين، الذي قد يهدف إلى تخفيف الضغوط الداخلية على الكاظمي، وأنها تحمل رسائل سياسية للأطراف الموالية لإيران، حتى تكون أكثر مرونةً حياله، من قبيل أنه لا يحمل أجندات تستهدفها، أو ربما تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية. طبيعة هذا الخطاب بالتأكيد تم الاتفاق عليها مسبقًا، بين فريق ترامب، وفريق الكاظمي، حتى أن كلمات الرئيس الأمريكي كانت محسوبة بدقة على غير عادته، فلم يتكلم مثلًا بشأن أن العراق بلد لديه موارد، أو غني، وعليه أن يدفع كما هو الحال مع دول مجلس التعاون الخليجي، وأبان عن تقديرٍ دبلوماسيٍ عال المستوى عند استقباله للكاظمي.

وقد تكون لغته تحمل دلالات عدم اهتمامه بالعراق، فهو بالأساس خارجيًا يركز على الصين، باعتبارها المهدد الأبرز للمصالح الأمريكية، وكذلك لديه معركة داخلية تتعلق بالانتخابات الرئاسية التي لم يتبق أمامها إلا شهرين ونيف، لهذا لا يريد ما من شأنه أن يعكر صفو تجديد ولايته الرئاسية لمدةٍ رئاسيةٍ ثانيةٍ، لا سيما وأنه يواجه العديد من التحديات الداخلية، لعل من أبرزها تداعيات جائحة كورونا على الاقتصاد الأمريكي، بالتالي فهو لا يريد الدخول في مناكفاتٍ خارجيةٍ قد تؤثر على حظوظه في تجديد ولايته لمرةٍ ثانيةٍ. إذ أن الناخب الأمريكي دائمًا ما يركز على ما يحمله برنامج

المرشح الراغب بالوصول إلى البيت الأبيض، أو الرئيس الذي يرغب بتجديد ولايته، من أجندةٍ داخليةٍ تهمه بالدرجة الأولى، لأنها تؤثر على طبيعة حياته المعيشية ورفاهيته، وما يمكن أن يكون عليه مستقبله كمواطن أمريكي، إذ يقول (مارسيل ميرل) "على الرغم من أن التضامن الدولي يمكن أن يمثل أطروحةً تصلح شعارًا لحركاتٍ خطابيةٍ بلاغيةٍ؛ إلا أنه لسوء الحظ لا يمثل حجةً مقنعةً انتخابيًا"[1]. لذلك فهو لا يهمه أي الناخب الأمريكي ما يدور في الخارج، إلا بنسبةٍ قليلةٍ للغاية، إذ أن العقلية الشعبية الأمريكية تميل دائمًا إلى خيار العزلة، متأثرةً بنهج رئيسها الأسبق وأحد الآباء المؤسسين ورئيسها الأسبق (جورج واشنطن)، وكذلك بمبدأ مونرو "أمريكا للأمريكيين"، ولهذا غالبًا ما تحاول الإدارات الأمريكية المتعاقبة، على التأكيد بأن هنالك مصالح أمريكية حيوية في الخارج، الأمر الذي يدفعها للتدخل من أجل حمايتها، بالتالي تعمل على إقناع المواطن الأمريكي أن في ذلك مصلحةٌ له، حتى تستطيع كسب مساندته لسياسات بلاده الخارجية، لذا لا غرابة عندما قال الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) "لقد حلت الهزيمة محل النصر في فيتنام؛ لأننا خسرنا الحرب سياسيًا في الولايات المتحدة الأمريكية"[2].

إذًا إن السياسات الأمريكية الخارجية تهم النخب الأمريكية العليا بالدرجة الأولى، وحلفاء الولايات المتحدة الأمريكية، فضلًا عن منافسيها، وأعدائها، ودائمًا ما يحاول الرؤساء الأمريكان التوفيق بين سياساتهم الداخلية، والخارجية، وهنالك من يُغلب السياسة الداخلية في برنامجه على السياسة الخارجية كما هو حال الرئيس الأمريكي الأسبق (بِل كلينتون)، أما الرئيس الأسبق (جورج ووكر بوش) فغلب السياسة الخارجية

1- مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة: حسن نافعة، دار المستقبل العربي، بيروت، 1986، ص269.

2- المصدر نفسه، ص335.

على الداخلية. وبالنسبة للرئيس ترامب نجده يعطي الأفضلية للداخل على الخارج (التأكيد على الخيار القومي بدلًا عن الخيار الإمبراطوري، أو العالمي)، وهذا ما يؤكده شعاره (أمريكا أولًا)، ولهذا دائمًا ما يركز في خطاباته على أن عهده شهد تحقيق نسبًا كبيرةً لفرص العمل وانخفاض معدلات البطالة لم تشهدها بلاده من قبل، وعمل على الإنسحاب من بعض الالتزامات الدولية لبلاده، وكذلك قلص من حجم المساعدات التي تقدمها دولته للدول الأخرى، وغيرها من الإجراءات التي تؤكد نهجه المختلف عن سابقيه من الرؤساء. أما نظرته للخارج فتتركز فيسيطر نظرته على الهاجس الاقتصادي، إذ يؤكد على أن بلاده خسرت الكثير بسبب تدخلاتها الخارجية عديمة الفائدة من ذلك مثلًا: حربي أفغانستان، والعراق، كما يسيطر على إدراكه مفهوم الصفقة، لا سيما وأنه رجل أعمال بالأساس، حتى أنه يكرر كلمة الصفقة في أكثر من حديثٍ له، نفهم من ذلك أنه يلجأ للخارج كوسيلةٍ من أجل تحقيق منافع اقتصادية تهم المواطن الأمريكي. لذلك إن مدركات صانع القرار مهمة في مسألة تحديد أولوياته، وكذلك يمكن الإنطلاق عبره لتفسير، وتحليل تحركاته، وإن كانت الولايات المتحدة الأمريكية دولة مؤسسات؛ إلا أن ذلك لا يعني انتفاء الطابع الشخصي عن طبيعة القرار الأمريكي.

وبالعودة إلى لقاء ترامب والكاظمي، فعندما وجه أحد الصحفيين سؤالًا آخرًا للرئيس الأمريكي حول موقفه من التواجد العسكري الأمريكي في العراق، لاحظت كيف أنه قال لوزير خارجيته (مايك بومبيو) مايك، ما رأيك في ذلك؟، أجاب الوزير على لسان رئيسه أن قوات بلاده باقية حتى يتحقق الاستقرار في العراق، وتنتفي التهديدات المنبعثة منه، كداعش، وبالتأكيد النفوذ الإيراني، وحلفاء إيران في العراق. بالتالي هو لم يحدد مدةٍ زمنيةٍ معينةٍ، وأشار بومبيو في المؤتمر الصحفي الذي عقد بينه

وبين وزير الخارجية العراقي (فؤاد حسين) الذي سبق لقاء القمة بين ترامب والكاظمي؛ إلى أنه ليس من الضروري الحديث عن مسألة انسحاب القوات الأمريكية من العراق، أما بخصوص طلب ترامب من وزير الخارجية من أجل الإجابة على هذا السؤال، أتصور أن ذلك يعني أن بومبيو هو المسؤول الأول عن الملف العراقي، وكذلك قد تكون إشارةً إلى أن الملف العراقي لا يقع ضمن أولويات ترامب، حتى أن بومبيو أجرى لقاءً مع الكاظمي في مقر إقامته، قبل لقاء القمة بين ترامب ورئيس مجلس الوزراء العراقي، وبالتأكيد تم عبره بحث القضايا كافة التي تهم الطرفان، والتي يمكن أن تكون على أولوية أجندة لقاء القمة. عمومًا لم ألحظ تأكيدًا قويًا من قبل ترامب على دعم العراق على الأقل من الناحية الاقتصادية، الجانب الذي يشكل عاملًا ملحًا وضاغطًا على حكومة الكاظمي، وأغلب كلامه كان في العموميات بل نجد أن الحكومة العراقية عملت على عقد مجموعة من مذكرات التفاهم ذات الأبعاد الاقتصادية، تتعلق بقطاع الطاقة، وكذلك البنى التحتية، وصلت قيمتها إلى (8) مليار دولارًا، بينما قدمت الإدارة الأمريكية مساعداتٍ ماليةٍ قدرها (200) مليون دولارًا فقط، وكأن الجانب العراقي يحاول مغازلة الرئيس الأمريكي في الجانب الذي يعد في قمة اهتماماته ألا وهو الاقتصاد، ذلك في محاولةٍ منه لكسب دعم إدارته للحكومة العراقية التي تواجهها العديد من التحديات ذكرتها بشكلٍ موسعٍ في مقالةٍ سابقةٍ عنوانها "العراق وأمريكا ولعبة العصا والجزرة".

وبشأن الكاظمي فقد أكد في أكثر من مرةٍ عند تواجده في واشنطن على القضايا الاقتصادية، سواءٌ أكان ذلك عند إلقائه لكلمته في غرفة التجارة الأمريكية، أو اللقاء الخاص الذي أجرته معه قناة العراقية في مقر إقامته بواشنطن. وبالفعل إن هذه القضية هي الأولوية القصوى بالنسبة للعراق. أما موقف حكومته من التدخلات الخارجية أكد

على أن العراق لن يكون منطلقًا لضرب دولةٍ أخرى، وهذا ما أكد عليه الدستور العراقي؛ وهي إشارةٍ إلى إيران التي تنظر بعين الحذر، وعدم الرضا على هذه الزيارة، إلى أنه أي الكاظمي لن يقف مع أمريكا لضرب المصالح الإيرانية في العراق، أو حتى أن تكون الأراضي العراقية لضرب المصالح الإيرانية في أي مكانٍ آخرٍ. وفي ذات الوقت قد تكون رسالة إلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تبعد العراق عن مسألة صراعها مع إيران، لكن، هل يمتلك العراق هذه القدرة التي يستطيع عبرها منع ما تريده أمريكا؟ أشك في ذلك، لا سيما وأن الجماعات العراقية الفاعلة، مختلفةً إزاء ما يمكن أن يكون عليه الدور الأمريكي في العراق، فالسنة والكرد يساندون هذا الدور، أما الشيعة فجزءًا مهمًا منهم يعلنها صراحةً أنهم ضده. لهذا لا توجد رؤيةً عراقيةً موحدةً حيال وجود الولايات المتحدة الأمريكية، وتحديدًا فيما يتعلق بوجودها العسكري، إذ يرى الأكراد أن ذلك هو ضمانةً لأمنهم، وكذا الحال أصبح للسنة بعد عام (2014)، وهذا ما تلعب عليه الإدارة الأمريكية وتستثمر فيه. وعندما سألته مراسلة القناة العراقية حول موقفه من عملية الانسحاب العسكري الأمريكي من العراق، أجابها أن هذه الوجود ستتم إعادة جدولته، وسيكون الانسحاب على مدى ثلاث سنوات قادمة. ويجدر بنا التوقف عند هذا الكلام، إذ لم يشر لا ترامب، ولا بومبيو إلى مسألة تحديد مدةٍ زمنيةٍ تنسحب خلالها قوات بلادهم من العراق، وكان كلامهم كله يذهب باتجاه ضرورة بقائها حتى يستطيع العراق حماية نفسه، وفي ذات الوقت تكون هذه القوات بمثابة ردع للنفوذ الإيراني. فهل كلام الكاظمي هذا من ذاته فقط؟، أم أنه أتفق عليه مع الإدارة الأمريكية ما خلف الكواليس؟، أم هو كلام إعلامي يهدف عبره إلى تطمين الجهات الشيعية التي تعادي هذا التواجد؟ والتي تصر على مسألة انسحاب هذه القوات بأسرع ما يمكن، على العموم المستقبل كفيلٌ بكشف حقيقة الوقائع. من جانبٍ آخرٍ أكد

على أهمية الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للعراق، لا سيما من الناحية الاقتصادية، أو من جانب التدريب العسكري، وعملية تأهيل مختلف صنوف القوات المسلحة العراقية.

وكلمته التي ألقاها في غرفة التجارة الأمريكية غلب عليها الطابع الإنشائي، المعروف من قبل غالبية الشعب العراقي، كلام يمكن أن يقوله أي إنسان عادي، لا بحجم المسؤول التنفيذي الأول في العراق، إذ تكلم حينها عن المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها العراق، وأن البلاد تعاني من الفساد، وأنه راغب بالإصلاح، وأنه يهدف إلى تنويع الاقتصاد العراقي، وعدم الاكتفاء على النفط فقط، إلا أنه لم يخبرنا كيف سيحقق ذلك؟، وما خطواته؟، وهل يستطيع القيام بذلك فعلًا؟، لا سيما وأن خطواته تسورها العديد من الدوائر التي لن تقبل بأن تتنازل عن مصالحها، والتي تعتاش على شبكة الفساد الممتدة في عموم البلاد. فهل سيقتنع القائمون على غرفة التجارة بكلامه هذا؟، فإن كان يرغب بأن يقدم الإغراءات للاستثمارات الأمريكية حتى تأتي إلى العراق، فأنها لن تجازف في ظل وضعٍ مضطربٍ على كل الصعد، وفي ذات الوقت لن تقدم على تقديم القروض للحكومة العراقية، ما لم تعرف أين ستكون وجهتها؟، وما موقف الأطراف المناوئة للمصالح الأمريكية في العراق؟، فالدول لن تجازف بأموالها في وسط بيئةٍ معاديةٍ لها، مهما كان الكلام جميلًا، ورومانسيًا الذي تكلم به الكاظمي، فالواقع لا يشكله الكلام؛ بل من يتملك السيطرة الفعلية عليه.

مع ذلك تعرف الدولة الأمريكية بمؤسساتها لا كسلطة رئيس يأتي ويذهب، وكذلك الشركات الأمريكية مدى أهمية العراق بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، بالتالي لن تتركه وحيدًا للنفوذ الإيراني، إلا أنها تنتظر فقط كيف ستصبح عليه الأمور فيه، ومن بعدها ستتحرك، هم يريدون ضماناتٍ فعليةٍ حول وجهة

العراق، إذ لا تحبذهم فكرة الوقوف في المنتصف، التي تحاول الحكومة العراقية اللعب عليها، وكذلك الجهات الفاعلة فيها، والمسيطرة على المشهد السياسي العراقي، فالعالم قائم على محاور عدة، تتشكل عبر تفاعل، وتنافس، وتصارع، وتضارب مصالح الدول فيما بينها، وكل دولة تذهب باتجاه المحور الذي ترى فيه محققًا لمصلحتها وأمنها، أما أن تحاول اللعب على أكثر من محورٍ مسألةٍ صعبةٍ للغاية، وستضيع نفسها قبل أن يضيعها الآخرون، وحتى فكرة الحياد فهي شبه خياليةٍ في عالم الدول، أما ما يقال أن هذه الدولة أو تلك حيادية، هذه مسألةٌ تقررها لعبة المصالح الدولية، ولربما هي دولةٌ هامشيةٌ لا تمتلك من المقومات التي تغري الدول الأخرى للتحرك باتجاهها، بالتالي تبقى على الحياد. ومن ثم هو ترفٌ أي الحياد، ومحاولة اللعب على أكثر من محورٍ، لا يقدر عليه العراق بالنظر إلى وضعه الحالي، وكذلك موقعه الجيوبولتيكي يحتم عليه الانضواء تحت كنف إحدى المحاور، على أن يكون المحور الأقوى وليس الأضعف.

من الأمور الأخرى التي لفتت الانتباه فيما يخص الكاظمي، هي اهتمام فريقه المرافق كما هو واضح بقضية مدى جودة ظهوره الإعلامي (طريقة أخذ لقطات الصور، طريقة جلوس الكاظمي مع ترامب، ووقوفه معه)، لأنهم يعلمون اهتمام الرأي العام العراقي بمثل هكذا تفاصيل، حتى أنني لاحظت جزءًا من الآراء الشعبية تقول بأنه هيبة، وشخصيةٍ قويةٍ، بالتالي هو يحاول الحصول على القبول الشعبي عبر استثمار الصورة.

أخيرًا وفيما يتعلق بإيران وموقفها من هذه الزيارة، فكما أشرت سابقًا إلى أنها لم ترحب بها، فهي تحاول قدر ما تستطيع إبعاد العراق عن الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنها لن تثق بتوجهات الكاظمي؛ وأن أكد على أن حكومته لن تتبنى سياساتٍ مناوئةٍ للمصالح الإيرانية، إلا أنه على ما يبدو نجد أن قواعد "معضلة السجينين" هي الحاكمة بين الجانبين، فلا ثقة بما يمكن أن تضمره الأطراف اتجاه بعضها البعض.

أهمية إيران في المدرك الجيوسياسي الأمريكي.

كانت إيران في عهد الشاه، شرطي المنطقة والحليف الأبرز فيها للولايات المتحدة الأمريكية، هذا الحال تبدل جذريًا مع قيام الثورة الإيرانية عام (1979)، التي أسقطت نظام حكم الشاه، وأقامت على أنقاضه حكم ولاية الفقيه الديني الذي أسسه الخميني، فتبدلت العلاقة الإيرانية – الأمريكية من السلم والتعاون والتوافق والتحالف؛ إلى حالة العداء المشترك الذي ما يزال مستمرًا حتى وقتنا الراهن، وإذ تدرك الولايات المتحدة الأمريكية عظم أهمية إيران بالنسبة لاستراتيجيتها العالمية، لم تنفك من قضية إعادتها إلى المسار الأمريكي مجددًا وبأية وسيلة كانت. وعليه سنبحث عبر هذا المبحث وبمطلبين: الأهمية الجيوبولتيكية لإيران، وأهمية مضيق هرمز لأمن الطاقة.

- **المطلب الأول: الأهمية الاقتصادية والجيوبولتيكية لإيران.**

تعد إيران إحدى الدول المهمة في المنطقة؛ لما تحوزه من عناصر قوة عديدة كـ (الجغرافيا، والموارد الطبيعية، والاقتصادية، والبشرية، والدينية، والثقافية. لذلك لم تغب يومًا عن مدرك القوى العظمى، التي دائمًا ما تبحث عن مد قوتها ونفوذها على كل بقاع العالم ما استطاعت لا سيما المهمة منها، وهنا سأركز حديثي على أهم إمبراطورية تحكم العالم في الوقت الحاضر، ألّا وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وما تمثله لها إيران من أهمية.

وعليه علينا طرح الأسئلة الآتية لماذا إيران مهمة لها؟، لماذا كل هذه الضجة بشأنها؟، هل لأنها تدعم القضية الفلسطينية؟، هل لأنها تعادي إسرائيل؟، هل لأن نظامها متشدد كما تصفه الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها؟. ربما تمثل هذه الأسباب جزءًا بسيطًا من المشكلة المثارة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية، وقد تكون وسائل يتخذها الأمريكان للضغط على الإيرانيين، من أجل مصالحهم الاستراتيجية، التي لا يعملها إلّا الراسخون في الشأن السياسي، وهي تحديدًا السبب

الرئيس وراء العقوبات الأمريكية على إيران، إذ لا السبب إسرائيل، ولا لأن نظامها متشددًا، إذ لم تطلق إيران رصاصة واحدة على إسرائيل منذ قيامها، ولم يكن يومًا الأمريكان يعطون أهمية لطبيعة النظام السياسي الذي يتعاملون معه، الأهم هي المصلحة الأمريكية العليا وما تقتضيه، ودول مجلس التعاون الخليجي خير دليل على ذلك، فضلًا عن العديد من أنظمة دول عالم الجنوب الاستبدادية، المدعومة من قبل الولايات المتحدة الأميركية، ولا يتوانون عن إسقاط الأنظمة الديمقراطية، إذا ما كانت تتعارض مع مصالحهم، والشواهد حاضرة: كالانقلاب الذي دعمته في غواتيمالا عام (1954) لإسقاط حكم الجنرال (جاكوبو اربينز) الديمقراطي، وكذلك في تشيلي سنة (1973)، والذي أدى إلى إسقاط نظام (سلفادور الليندي) الديمقراطي أيضًا، وهذا يناقض ما يدعيه الأمريكان من أنهم يدعمون الديمقراطية، والعمل على نشرها في العالم أجمع.

إذًا؛ ملخص القضية حول إيران، تدور حول المصالح، والجيوبوليتيك، والتي سأوجزها في نقطتين رئيستين لا أكثر وكما الآتي:

أولًا: السيطرة على الموارد الطبيعية:

تضم الجغرافيا الإيرانية في باطنها ثرواتٍ هائلةٍ من الموارد الطبيعية كـ (النفط، والغاز الطبيعي)، إذ يقدر حجم احتياطيها النفطي بـ (154,600) مليار برميل، وهي في المركز الرابع عالميًا، أما احتياطيها من الغاز الطبيعي فيقدر بـ (29,6) ترليون متر مكعب، وهي في المركز الثاني عالميًا بعد روسيا الاتحادية. بالتالي تعد ذات ثقل مهم في ميدان الطاقة. لذلك بذلت ولم تزل الولايات المتحدة الأميركية، الغالِ والنفيس من أجل السيطرة على موارد الطاقة الإيرانية، التي فقدتها عقب عام (1979)، التأريخ الذي شهد سقوط نظام الشاه (محمد رضا بهلوي) حليفها وشرطيها في المنطقة، ولإيران تجربة

سابقة عندما أقدمت حكومة مصدق على تأميم النفط الإيراني عام (1951)، مما أدى إلى الإطاحة بها من قبل الاستخبارات الأمريكية والبريطانية في عام (1953)، وتم إعادة الشاه إلى السلطة[1].

ثانيًا: الأهمية الجيوسياسية.

فضلًا عما تقدم في النقطة أعلاه، تعد إيران هدفًا جيوسياسيًا حيويًا للولايات المتحدة الأمريكية، ولا مناص من تحقيقه لا سيما عقب الحرب الباردة، والخطط الأمريكية التي وضعت بعدها بشأن ضرورة السيطرة على "أوراسيا"، وتقع روسيا الاتحادية في القلب منها، من أجل إتمام السيطرة الأميركية العالمية، ولا يفصل إيران عن روسيا سوى بحر قزوين، إذ تمتلك جبهة بحرية مطلة عليه يبلغ طولها (800) كيلو متر، بينما مساحتها الجغرافية تصل إلى (1,648,000) كم^2، وتعد إحدى الدول المهمة المحاذية لأوراسيا. بالتالي إن السيطرة على إيران، يعني التقرب أكثر فأكثر منها، وتطويقها بشكل أكبر، لا سيما وأن أفغانستان تم احتلالها في عام (2001)، وهي دولة مجاورة لإيران، وعلى مرمى حجر من روسيا، لذلك تندرج أيضًا ضمن المساعي الأمريكية هذه، فضلًا عن غاية الحد من تنامي الصعود الصيني، الذي ربما لا نبالغ إذا ما قلنا أنه يمثل التهديد رقم واحد في القرن الواحد والعشرين.

لذلك نجد أن الحرب الاقتصادية التي شنها ضدهم الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب)؛ إنما تهدف للحد من هذا الصعود، وتندرج ضمن استراتيجية أوسع تهدف إلى السيطرة على أوراسيا كما أسلفت، ومنع أية محاولة لصعود قوة من هذه المنطقة، قد

---

[1]- محمد حسنين هيكل، زيارة جديدة إلى التأريخ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 1985، ص ص303-306.

تنافس الولايات المتحدة الأمريكية على الزعامة مستقبلًا، وتضم أوراسيا (75%) من موارد الطاقة العالمية، وغيرها الكثير من المميزات الاستراتيجية.

مما تقدم فإن محاولات السيطرة على إيران من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، لن تتوقف ما دامت تقع خارج النفوذ الغربي، لذا كل العقوبات التي أصدرتها ضدها، والتي كان أخرها في (2018/11/5)، ت، وهذا الأمر لا علاقة له بشكل نظامها السياسي، ولا حبًا بالشعب الإيراني، الذي يريد الأمريكان تخليصه من الاستبداد كما يدعون، إذ ما هي إلّا تقية يمارسها الثعلب لأكل الدجاجة، فضلًا عن ذلك؛ فهي تقع ضمن قائمة "دول الشر"، حسب التصنيفات الأميركية، التي تعني بشكل أدق الدول التي لا تدور في فلكهم، فقد تم أسقاط العراق في سنة(2003)، وقسمت السودان في سنة(2011)، وأسقطت ليبيا في سنة(2011)، وأدخلت سوريا في أتون حربٍ منذ سنة(2011)، تحت حجة دعم الديمقراطية والحرية فيها!، واليمن تُذبح على مرأى ومسمع العالم الحر!، وروضت كوريا الشمالية تقريبًا، والدور على إيران فإما أن تروض، أو تسقط، لينتهي بذلك "الشر" و"الخير لإدام"، وليعيش الفرد الأميركي بأمن وسلام، وليذهب البقية إلى الهاوية، هذا ما تريده الولايات المتحدة الأميركية باختصار يا سادة، فالكل شرير طالما لا يدور حول كوكبها.

- **المطلب الثاني: أهمية مضيق هرمز لأمن للطاقة**

أولًا: أمن الطاقة (التعريف والمدركات).

يعد الأمن أهم الضرورات التي اهتم بها الإنسان منذ القدم، وإذا ما حددنا معناه فهو من الناحية اللغوية يعني: الطمأنينة والسكينة وغياب الخوف، مما يدل على أنه نقيض للخوف. أما من الناحية الاصطلاحية فهو يعني حسبما يرى أرنولد ويلفر: من وجهة النظر الذاتية، عدم وجود تهديد للقيم المكتسبة، أما من وجهة النظر

الموضوعية فيعني عدم وجود مخاوف من تعرض هذه القيم للخطر، ولـ باري بوزان وجهةُ نظرٍ أخرى حول مفهوم الأمن وهي: في حالة الأمن يكون النقاش دائرًا على السعي للتحرر من التهديد. أما إذا كان النقاش في اطار النظام الدولي، فإن الأمن يتعلق بقدرة الدول والمجتمعات على صون هويتها المستقلة وتماسكها العملي[1].

ومع التطور الذي شهدته مختلف ضروب الحياة، والتوسع الكبير الذي شهدته المجتمعات؛ توسع معها وتعقد مفهوم الأمن؛ إذ لم يعد مقتصرًا على الأمن الفردي أو الذاتي، بل وصل إلى مرحلة الأمن الجماعي الذي يهدف إلى تأمين الوسائل الضرورية التي تحفظ أمن الجماعة، حتى أن الاستراتيجية في بداياتها اقتصرت على جزئية تحقيق الانتصار في الحرب، ويعرفها كلاوزفيتز على أنها "استخدام الاشتباك وسيلةً للوصول إلى هدف الحرب"[2]، وكذلك يعرفها تونغ بأنها "دراسة قوانين الحرب ككل"، وأيضًا يعرفها لتيريه على أنها "فن إعداد خطة الحرب، وتوجيه الجيش في المناطق الحاسمة، والتعرف على النقاط التي يجب تحشيد أكبر عدد من القطعات فيها لضمان النجاح في المعارك"[3].

أيضًا، صار الأمن أكثر شمولية، لتدخل ما يطلق عليها في الأدبيات السياسية جوانب الأمن السياسي، والأمن الاقتصادي، والأمن المجتمعي، والأمن البيئي، بالتالي

---

[1]- نقلًا عن: محفوظ رسول، أمن الطاقة في العلاقات الروسية-الأوربية، مركز الكتاب الأكاديمي، عملن، 2017، ص13-15.

[2]- كارل فون كلازوفيتز، الوجيز في الحرب، ترجمة: أكرم ديري والهيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974، ص171.

[3]- نقلًا عن: منعم صاحي العمار، منازعات الذات: هل بمقدور الديمقراطية ضبط العلاقة بين الإستراتيجية والتغيير: الولايات المتحدة الأمريكية انموذجًا، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، 2012، ص12.

الأمن العسكري أصبح جزء من كل، لا يتحقق إلا بتحقق جميع الأجزاء[1]. وكذلك أخذ يطلق عليه بالأمن المستدام الذي يعني الأمن القومي، والأمن الإنساني، والأمن الجماعي، فأما الأول فيقصد به سلامة الدولة، والثاني يعنى منه تحقيق رفاه الفرد، وسلامته، أما الثالث فيقصد به أمن العالم أجمع[2].

ومن ثم دخل مفهوم جديد للأمن يعد جزءًا مكملًا للأجزاء الأخرى منه، ألا وهو أمن الطاقة، الذي تشير المصادر إلى أن بداياته ترجع إلى الحرب العالمية الأولى، وتحديدًا إلى القرار الذي إتخذه حينها اللورد (ونستون تشرشل) أيام ما كان متقلدًا لمنصب أمير البحرية البريطانية، وتضمن تحويل تشغيل السفن والبواخر من الفحم إلى النفط، رغبة منه في جعلها أكثر سرعة وحركة من ذي قبل، وبما أن أغلب مصادر الطاقة كانت، ولم تزل تتركز في منطقة الخليج العربي، لذا أخذت القوى الكبرى على عاتقها تأمين طرق، وممرات نقل الطاقة[3]، وأهم الممرات التي تمر عبرها موارد الطاقة، وتسمى بنقاط الاختناق الاستراتيجي هي (قناة السويس، ومضيق هرمز، ومضيق باب المندب، ومضيق ملقا)[4].

وإذا ما أردنا تعريف أمن الطاقة فهو حسب تشرشل يكمن في "التنوع والتنوع وحده"، ويعرف أنه ضمان أمن العرض، أي ما معروض في السوق من النفط، سواءً عبر تأمين نقله، وتوفيره بكميات تغطي السوق، أو ضمان أن تكون الأسعار مقبولة

---

[1]- جرايمي هيرد-بال دوناي، الأمن الدولي والقوى العظمى والنظام الدولي، من كتاب: القوى العظمى والاستقرار الإستراتيجي في القرن الحادي والعشرين: رؤى متنافسة لنظام العالمي، مجموعة باحثين، تحرير: جرايمي هيرد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 2013، ص29.

[2]- تاباني فاتورانتا، الطاقة والتغيرات المناخية تهديد محتمل للأمن المستدام، من كتاب: القوى العظمى والاستقرار الإستراتيجي في القرن الحادي والعشرين: رؤى متنافسة لنظام العالمي، مصدر سبق ذكره، ص148.

[3]- محفوظ رسول، مصدر سبق ذكره، ص44.

[4]- تاباني فاتورانتا، مصدر سبق ذكره، ص152.

لجميع الدول المستهلكة وحتى المصدرة [1]. أيضًا يعرف من جانب ضرورة تجنب وقوع أزمات الطاقة، والأخيرة تعني: الموقف الذي تعاني منه دولة ما من نقص في العرض من مصادر الطاقة، وهو ما يتزامن مع ارتفاع سريع في الأسعار بشكل يهدد الأمن القومي والاقتصادي[2].

وكانت أبرز الأزمات التي أثرت على سوق الطاقة هي أزمة حرب (1973)، تلك التي دارت بين مصر وسوريا من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، وقررت حينها الدول العربية استخدام النفط كوسيلة ضغط اتجاه الدول الداعم لإسرائيل، وتحديدًا دول المعسكر الغربي، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية؛ ذلك عبر قطع الامدادات النفطية باتجاه هذه الدول، مما أثر سلبًا على الماكنة الاقتصادية، وجل مناحِ الحياة فيها؛ بسبب اعتمادها الكبير على النفط الذي يحرك عجلة اقتصاداتها، إذ تسببت هذه الأزمة بتوقف تدفق (2,6) مليون برميل يوميًا لمدة ستة أشهر[3].

عمل صانع القرار الأمريكي على وضع الخطط اللازمة، التي تحول دون تكرار مثل هكذا أزمات، أو قراراتٌ قد يتخذها العرب فيما يتعلق بشأن استخدام ورقة النفط في أي حرب مستقبلًا، من أجل التأثير على المصالح الغربية، ولذلك أصدر الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر) ما أطلق عليه في السياسة الأمريكية "مبدأ كارتر"، ويعني باختصار: أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتوانى عن اللجوء إلى القوة العسكرية في منطقة الخليج العربي، إذا ما تعرضت مصالحها القومية للخطر، وللحيلولة دون وقوع ما يعرض أمن الطاقة للخطر. وتم اللجوء حرفيًا إلى هذا المبدأ، مع العراق

---

[1]- محفوظ رسول، مصدر سبق ذكره، ص47-48.

[2]- نقلًا عن: خديجة عرفة محمد، أمن الطاقة وآثاره الإستراتيجية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2014، ص52.

[3]- خديجة عرفة محمد، أمن الطاقة وآثاره الاستراتيجية، مصدر سبق ذكره، ص259.

حين غزا الكويت في (2 آب 1990)، ذلك عبر الحملة العسكرية التي قادتها، وأطلق عليها علمية عاصفة الصحراء؛ لما مثله هذا الغزو من تهديدات جدية للمصالح الأمريكية في هذه المنطقة[1].

ولأمن الطاقة رؤيتان مختلفتان بين الدول المصدرة للطاقة، وبين المستوردة لها، فأما المصدرة، لها رؤية تتلخص في ضمان: وصول تدفقات الطاقة إلى الأسواق العالمية بشكلٍ آمنٍ، وضرورة عدم تعرض بواخرها في البحار، والمحيطات إلى عمليات القرصنة، والحصول على الأسعار المناسبة بما يضمن لها استقرارها الاقتصادي، لا سيما تلك الدول التي تعتمد بشكل شبه تام على الموارد التي تأتيها من بيعها للنفط، والغاز الطبيعي، وتعد الدول النفطية العربية أبرز مثال على ذلك، وضمان الاستقرار الداخلي كي لا تتعرض أبار النفط والمنشآت المرتبطة بها لخطر التخريب، والعمل قدر الإمكان على استخدام سلاح الطاقة، كوسيلة من وسائل تحقيق غاياتها السياسية على المستوى الخارجي فضلًا عن الداخلي، سواءٌ عبر اللجوء إلى دبلوماسية الدولار كتلك التي تتبعها المملكة العربية السعودية، من أجل كسب مزيدٌ من الأصدقاء، وكذلك لضرب الخصوم. أما داخليًا فغالبًا ما تلجأ هذه الدول لاستخدم ريع الطاقة، لكسب ولاء مواطنيها عبر توزيع مواردها على أكبر عدد ممكن من الشعب، ذلك عن طريق التوظيف في القطاع العام، وشراء الذمم، وتوزيع الهبات، والمنافع الاجتماعية، وبذا تضمن بشكلٍ كبير عدم حصول الاضطرابات على مستوى الجبهة الداخلية.

أما المستهلكة فهي: تتشارك مع تلك الدول التي تصدر الطاقة في مسألة ضمان أمن طرق نقلها، وضمان الاستقرار الداخلي لدول المصدر، إلا أنهما يفترقان

1- للمزيد ينظر: رضا هلال، الصراع على الكويت: مسألة الأمن والثروة، دار الجيل، بيروت، 1991، ص ص100-101.

في قضايا أخرى أبرزها: تسعى الدول المستهلكة، ولا سيما القوى الصناعية الكبرى إلى الحيلولة دون ارتفاع أسعار الطاقة إلى مستويات كبيرة، مما يؤثر على حركة اقتصادها، وضمان عدم وصول أنظمة سياسية في دول المصدر، تحمل توجهات معادية للقوى العالمية المتنفذة، إذ وفي مثل هذه الحالة قد تلجأ إلى سلاح الطاقة لابتزازها، من أجل تحقيق غاياتها السياسية، ولنا فيما حصل إبان حرب (1973) خير دليل على ذلك، والعمل على استمرار ضعفها، وأن لا تكون بالقوة التي تمكنها من تبني سياسات أكثر استقلالية تؤثر على مصالحها، وضمان عدم تعرضها لأية مشكلات تؤدي إلى توقف تصديرها، والتحسب لمنع سيطرة جهات معادية على المناطق الإستراتيجية الغنية بالطاقة، إذ ربما تتبنى سياساتٍ مخالفةٍ لتوجهات القوى العالمية الكبرى، مما يجعلها مصادر خطر محتملة لمصالحها الاستراتيجية فيها، فضلًا عن تنويع مصادر استهلاك الطاقة، وعدم الاقتصار على دولة، أو منطقة جغرافية معينة، زيادةُ على ضرورة بناء خزين إستراتيجي نفطي تحسبًا لأية أزمة قد تؤدي إلى توقف امداداته، فنرى على سبيل المثال الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك خزينًا استرتيجيًا، والصين، من أجل الاستعداد لأي ظرف طارئ يؤثر على امدادات الطاقة

ثانيًا: أهمية مضيق هرمز

يعد مضيق هرمز من بين أهم الممرات البحرية على المستوى العالمي، وتتأتى أهميته من كونه يقع في واحدة من أهم المناطق الحيوية وهي الخليج العربي، إذ يعد ممرًا مهمًا للطاقة المصدرة من دول المنطقة الغنية بها نحو السوق العالمية، حقيقة تؤكدها الأرقام إذ يمر منه (17.4) مليون برميل نفط في اليوم الواحد، أي ما يعادل (30%) من حجم النفط المشحون عالميًا عبر البحار والمحيطات، وهذه نسبة كبيرة بالنسبة لمضيق واحد فقط، لتؤكد أهميته المحضة دون أدنى شك في ذلك. ومن ثم فإن

(80%) من النفط العراقي، والسعودي، والكويتي، والإماراتي يمر عبره [1]، أما النفط القطري فهو بنسبة (100%) يمر عبره [2]، وتمر منه يوميًا (20 – 30) ناقلة للنفط[3]، ويعد الممر المائي المؤدي لثمانِ دولٍ مهمة للغاية وهي: العراق، وإيران، والمملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عُمان، وقطر، والكويت، والبحرين. هذا فضلًا عن كونه المنفذ البحري الوحيد لدول العراق، الكويت، قطر، والبحرين، حتى بقية الدول الأربع، فهي تعتمد عليه بشكل كبير في تبادلاتها الاقتصادية مع بقية دول العالم، كما إن دولة مثل اليابان تعتمد على مضيق هرمز في وصول (85%) من النفط الذي تستورده من الخارج، أما دول مثل الصين، الهند كوريا الجنوبية فتعتمد في تأمين حاجتها من النفط على ما يفوق الـ (70%) وأيضًا عبر هذا المضيق. وتؤمن يوميًا دول الخليج العربي للولايات المتحدة الأمريكية ما نسبته (18%) من احتياجاتها للنفط[4]، و (20%) للاتحاد الأوربي مع توقعات زيادة هذه النسبة في ظل ذهابه باتجاه تنوع بدائله في سوق الطاقة، كي لا يقع في شراك ابتزاز دولة معينة، كما هو حاصل بينه وبين روسيا الاتحادية [5].

---

[1]– مضيق هرمز.. حقائق عن أهم شريان نفط بالعالم، الجزيرة، 2019/4/24، على الموقع الإلكتروني:
www.aljazeera.net

[2]– تغريد رامز هاشم العذاري، مضيق هرمز: البدائل المتاحة في حالة إقفاله: دراسة جيوبوليتيكية، جامعة بابل، كلية التربية الأساسية، على الموقع الإلكتروني:
www.uobabylon.edu.iq

[3]– أهم المضائق والممرات البحرية في العالم، الموسوعة العامة، 22 أغسطس 2017، على الموقع الإلكتروني:
www.moso3a3ama.life

[4]– تغريد رامز هاشم العذاري، مصد سبق ذكره.

[5]– للمزيد ينظر: خديجة عرفة محمد أمين، أمن الطاقة الأوربي ودول الخليج، آراء حول الخليج، على الموقع الإلكتروني:
araa.sa

باختصار، فإن أهمية المضيق متأتية من كونه:

1. يقع في منطقة استراتيجية مهمة وغنية.
2. يعد المنفذ الوحيد لعدد من الدول العربية.
3. ممر مهم للطاقة، وبقية السلع.

لذلك فإن أية أزمة تعصف بالمنطقة ستؤثر سلبًا على الحركة الملاحية فيه، وهذا يؤدي بدوره إلى التأثير على سوق الطاقة، بسبب ما يحدثه من قلة في المعروض بالسوق العالمية للطاقة، الذي سيؤدي حتمًا إلى ارتفاع أسعار النفط، وهذا ما لا تريده الدول المستهلكة للطاقة، لا سيما الدول الصناعية الكبرى، التي تستهلك كميات كبيرة منه؛ لأن ذلك يؤثر على حركة عجلتها الاقتصادية، حتى دول المنطقة المصدرة للطاقة، فهي معنية بمسألة أن يكون مضيق هرمز أمنًا، حتى لا تتعرض صادرتها النفطية للتوقف، لأنها تعتمد بشكلٍ شبه تام على وارداته لتدعيم اقتصادياتها، واستقرارها الداخلي، لذلك إذا حدثت أزمة ما سواءٌ أكانت أزمةً سياسيةً، أو عسكريةً، أو اقتصاديةً في هذه المنطقة؛ ستنعكس سلبًا على حركة مرور الطاقة من مضيق هرمز، إذ وفي أثناء الثورة الإيرانية عام (1979)، توقفت الامدادات النفطية المارة عبره، بما يصل إلى (3,5) مليون برميل باليوم ولمدة ستة أشهر، وكذلك إبان الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت للمدة (1980 – 1988)، نقصت الإمدادات حوالي (3,3) مليون برميل في اليوم، ولمدة ثلاثة أشهر من عام (1980) أي مع بداية اندلاعها، وأثناء غزو العراق للكويت، أيضًا توقفت الامدادات النفطية بما يصل إلى (4,3) مليون برميل باليوم، وقفزت أسعار النفط حينها من (16,5) دولارًا للبرميل الواحد في شهر تموز عام (1990)

أي قبل الغزو بشهرين، إلى (33) دولارًا للبرميل الواحد في شهر تشرين الثاني لذا العام [1].

وأحدث الأزمات في مضيق هرمز هي: قضية الخلاف الأمريكي - الإيراني، الذي نشب، بعد إن تم الاعتقاد أنه تمت تسوية هذا الخالف عبر الإتفاق النووي الذي عقد في عام (2015) بين إيران، ومجموعة خمسة زائد واحد. الخلاف الجديد فجره الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب)، حين عمد إلى الانسحاب الاتفاق في شهر أيار عام (2018)، وبرر موقفه هذا بأنه مجحف بحق مصالح بلاده، وأن إيران غير ملتزمة به، ولا بد من أن يتم تعديله.

في المقابل لم تُسلم إيران بذلك، إذ رفضت بشدة الموقف الأمريكي، لتصل الأمور بينهما إلى نقطة الصفر إذا صح الوصف، أي إلى ما قبل الإتفاق النووي، وعملت الولايات المتحدة الأمريكية على فرض المزيد من العقوبات الاقتصادية على إيران، كوسيلة ضغطٍ اتجاهها من أجل ارغامها للجلوس على طاولة المفاوضات من جديد ووفقًا لما يريده الأمريكان من شروط.

وأيضًا رفض الإيرانيون كل ذلك، وعمدوا على اتخاذ خطوات تصعيدية منها: إعلانهم تخفيض سقف التزاماتهم بالإتفاق، والتهديد بغلق مضيق هرمز الذي تعده واقعًا حدود السيادة الإيرانية، ووصل الأمر إلى التلويح بضرب السفن والبواخر المارة عبره، أو تلك التي تمر عبر الخليج العربي عمومًا، وبالفعل فقد تعرضت ناقلتان للنفط إلى استهدافٍ تخريبيٍ في خليج عُمان، وقبلها تعرضت ناقلتا نفط سعوديتان، وأخرى نرويجية، وسفينة إماراتية لإعمالٍ تخريبيةٍ قُبالة إمارة الفجيرة الإماراتية خارج مضيق

---

[1]- خديجة عرفة محمد، أمن الطاقة وآثاره الاستراتيجية، مصدر سبق ذكره، ص259.

هرمز، ولم يتم التثبت إذا ما كانت إيران هي وراء هذه الهجمات من عدمه، لتقفز أسعار النفط حينها بنحو (4%)[1].

ونفت السلطات الإيرانية جميع المزاعم التي اتهمتها بالوقوف وراء هذه الهجمات، وصرحت بأن ذلك يقع ضمن ما أسمتها "دبلوماسية التخريب"، التي تنتهجها الولايات المتحدة الأمريكية[2]، لاتخاذها وسيلة ضغط عليها، من أجل القبول بالجلوس على طاولة التفاوض. ووصلت الأمور بين الجانبين إلى حدتها، حين أسقطت الدفاعات الإيرانية طائرة استطلاعٍ أمريكيةٍ من دون طيار، بررت إيران هذا الموقف بأن الطائرة اخترقت أجوائها لأغراض التجسس، فيما رفض الأمريكان هذه المزاعم [3].

وعمدت بريطانيا على احتجاز ناقلة النفط الإيرانية غريس1، في مضيق جبل طارق، مبررة فعلتها بأن الناقلة الإيرانية تنقل النفط إلى سوريا، ما يعد خرقًا للعقوبات الأوربية عليها، ردت إيران على هذه الحادثة بأن احتجزت ناقلة النفط البريطانية ستينا إمبيرو، في مضيق هرمز لتقودها إلى ميناء بندر عباس[4]، ما يعني دخول بريطانيا عمليًا على خط الأزمة بين الولايات المتحدة الأمريكية، وإيران.

---

[1]- ناقلتا نفط تتعرضان لهجوم في خليج عُمان وسط توتر متصاعد في المنطقة، وكالة فرانس 24، آخر تحديث: 2019/6/14، على الموقع الإلكتروني:

www.france24.com

[2]- خليج عُمان: إيران ترفض الاتهام الأمريكي والبنتاغون ينشر فيديو لإزالة الحرس الثوري للغم من إحدى الناقلتين، ARABIC BBC NEWS، تأريخ النشر 14 حزيران / يونيو 2019، على الموقع الإلكتروني:

www.bbc.com

[3]- إيران تسقط طائرة استطلاع أمريكية، ARABIC BBC NEWS، 20 حزيران/يونيو 2019، على الموقع الإلكتروني:

www.bbc.com

[4]- بريطانيا لإيران: أفرجوا عن السفينة لتخرجوا من الظلام، الجزيرة، تأريخ النشر 2019/7/29، على الموقع الإلكتروني:
www.aljazeera.net

وهكذا وصلت الأحداث في منطقة الخليج العربي إلى منعطفاتٍ خطيرةٍ؛ فالأزمة لم تتوقف عند حد إيران والولايات المتحدة الأمريكية، فالعالم المعاصر معقد، ومتشابك المصالح، فما يحدث في منطقةٍ، أو دولةٍ ما؛ سينعكس بدوره على بقية مناطق العالم، فكيف إذا ما كان الحدث يتعلق بمنطقة مهمة للغاية كالخليج العربي؟

بالتأكيد ستنعكس آثاره على العالم أجمع، لا سيما وأنها مورد رئيس للطاقة، وتعتمد عليها العديد من دول العالم في تأمين احتياجاتها منها، فضلًا عن ذلك فإن أية أزمة فيها ستؤثر سلبًا بالدرجة الأولى على دول المنطقة ذاتها، لذا فهي معنية جميعها بحفظ أمن المنطقة، والعمل على تأمين مضيق هرمز الممر المهم للطاقة، ورأينا كيف أن مجرد تعرض ناقلات النفط لأعمال تخريبية، ارتفعت أسعار النفط، كما هو الحال مع الأزمات السابقة التي مرت على المنطقة، وما تتركه من آثارٍ على حركة الملاحة في المضيق، وهذا ما لا ترغب به الدول المستهلكة للطاقة؛ لما لذلك من تأثيرٍ على حركتها الاقتصادية، فدولةٌ مثل الصين تستورد في اليوم الواحد (12) مليون برميل نفط، ستؤثر عليها سلبًا الأزمات التي تحدث في الخليج العربي، فإذا ما ارتفع سعر البرميل ولو لدولارٍ واحدٍ، يعني ذلك خسارتها الكثير من مليارات الدولارات، التي يمكن أن تستثمرها في مجالاتٍ أخرى.

واستثمرت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الأزمة، من أجل ابتزاز الحلفاء قبل الخصوم، وعبر ترامب عن هذا صرحةً، إذ صرح بأن بلاده تحمي دولًا غنيةً مجانًا، وهذا الأمر ينبغي أن يتوقف، ويقصد بالتأكيد دول الخليج النفطية على رأسها السعودية، والحماية التي يقصدها: تلك التي تؤمنها بلاده للسفن، والبواخر التي تمر عبر مضيق هرمز، وذلك عبر الأسطول الأمريكي المنتشر في الخليج العربي، الذي يتخذ من مملكة البحرين قاعدة له.

وإن لم تدفع هذه الدول؛ ستتعرض بواخركم للتخريب، وتبقى من دون حماية حسب الرؤية الترامبية، ولم يتوقف عند هذا الحد؛ بل وصل به الأمر إلى مطالبة الدول الأخرى بالدفع كـ (اليابان، والصين، والاتحاد الأوربي)، المارة بواخرها عبر مضيق هرمز محملةٌ بالنفط المستورد من الخليج، أو البضائع الأخرى التي تصدرها إلى دول المنطقة، وإلا فإن الولايات المتحدة الأمريكية ليست مجبرة على حماية بواخر الدول الأخرى من دون مقابل. هذا الأمر أقلق هذه الدول التي لديها مصالح مهمة في المنطقة، لذلك هدفت الإدارة الأمريكية عبر هذه الأزمة إلى الآتي:

1. شيطنة إيران، ذلك عبر إيصال رسالة إلى دول العالم أجمع، مفادها أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست مخطئةٌ حيالها، لأنها بالفعل تهدد الأمن الدولي، والإقليمي، وهذه الرسالة لحلفاء إيران قبل أعدائها، لذلك عليكم التآزر معها للوقوف ضد النشاطات الإيرانية المهددة للمصالح الدولية.
2. تحمل بقية الدول الأعباء، والتكاليف مع الولايات المتحدة الأمريكية، بشأن تأمين حماية مضيق هرمز، وذهبت بريطانيا بهذا الاتجاه عبر بحثها مسألة تشكيل تحالف أوربي مشترك لحماية المضيق.
3. إيصال رسالة إلى الدول العربية في الخليج، مفادها أن إيران هي العدو الأول لدولكم، ومصالحكم لا إسرائيل.
4. العمل على ضرب المصالح الصينية في المنطقة، لا سيما وأنها تعتمد عليها بشكلٍ كبيرٍ، لتأمين احتياجاتها من النفط، وكذلك فهي تعد مصدرًا كبيرًا لدولها، ولديها علاقات جيدة مع إيران، إذ يريد الأمريكان أن زعزعة هذه العلاقة؛ عبر إظهار إيران وكأنها الدولة المارقة المعرقلة لوصول النفط إلى الصين، مما يؤدي بالأخيرة للضغط على القيادة الإيرانية من أجل التخفيف من حدة

سياساتها في المنطقة، وهذا يصب في خانة المصلحة الأمريكية الرامية إلى إيقاف تقدم عجلة التقدم الصينية.

5. فتح جبهات متعددة على منافسيها، لا سيما الصين، وروسيا الاتحادية واشغالهم في أزمات متعددة، من أجل تحييدهم عن أهدافهم الحقيقية.
6. وفي حالة تأليب الرأي العام العالمي ضد إيران، فإن الولايات المتحدة الأمريكية ستكتسب مشروعية أية خطوات تتخذها، تحت ذريعة حماية الأمن الدولي من التهديد الإيراني.

أهمية إسرائيل في المدرك الاستراتيجي الأمريكي.

لا يمكن تجاهل الدولة الإسرائيلية وأهميتها بالنسبة للقطب الأمريكي، عند الكتابة عن موضوع حيوي كالاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، الدولة التي تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية بحمايتها، وضمان أمنها، ووجودها، وتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية اللازمة لها من دون قيد أو شرط، وبغض النظر عن هوية الرئيس الأمريكي الموجود في البيت الأبيض، سواءٌ أكان من الحزب الجمهوري، أم الديمقراطي. وعليه سيتم البحث عبر هذا المبحث وبخمسة مطالب: تضمن المطلب الأول ضآلة العمق الجغرافي الإسرائيلي، والثاني إسرائيل والمهيمن الأمريكي (إضاءةٌ مستقبليةٌ)، والثالث توازنات التهديد في لبنان، والرابع الأبعاد الجيوسياسية للتطبيع الإسرائيلي – الخليجي، والخامس قراءةٌ في كتاب "قصة إتفاق أوسلو الرواية الحقيقة الكاملة".

- **المطلب الأول: ضآلة العمق الجغرافي الإسرائيلي**

تعاني إسرائيل من ضعفٍ كبيرٍ على الصعيد الجغرافي نظرًا لصغر مساحتها، فضلًا عن أنها محاطةً بمجموعةٍ من الدول العربية، ذات المساحات الجغرافية الشاسعة قياسًا بها ربما عدا لبنان، الأمر الذي أدى إلى أن تكون دولة صغرى جغرافيًا محاطة بدول عربية

كبرى، مما أفقدها للعمق الجغرافي الاستراتيجي الذي توفره الجغرافيا الكبيرة، الأمر الذي لو توفر لأعطاها ميزة القدرة على صد الاجتياح البري إذا ما حدث، وامتلاك القدرة على الاستعداد والتهيؤ لامتصاص الصدمة الأولى، ومن ثم الإنطلاق نحو الهجوم، وعليه يرى رئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو)، أن مناطق الجولان والضفة الغربية، من أهم الحواجز الجيوبولتيكية الضامنة لأمن دولته[1]

بالتالي كيف يمكن لإسرائيل المحافظة على أمنها وسط هذه الجغرافية المترامية الأطراف، والمعادية لها في ذات الوقت؟، ومستعدة للانقضاض عليها في أي وقت بحسب التصورات الإسرائيلية ما إن سنحت لها الفرصة، لذلك لا بد من إيجاد الاستراتيجية التي تكفل ضمان وجودها الدائم في ظل هذه البيئة وتتمثل هذه الاستراتيجية بالآتي:

أولًا: ضمان الدعم الدائم لها من قبل القوى الدولية المسيطرة، وأهمها دعم الولايات المتحدة الأمريكية، حتى إذا ما فكر العرب لوهلة بالهجوم على إسرائيل، سيعلمون أن هنالك دولةٌ بهذا الحجم والقوة خلفها، بالتالي يمثل هذا الدعم عامل ردع للعرب.

ثانيًا: العمل على استمرار التفوق العسكري النوعي الإسرائيلي.

ثالثًا: إجبار العرب على عقد معاهدات للسلام معها، من منطلق ضعف لا قوة، ونجحت على هذا الصعيد بعقد ثلاثة معاهدات مع مصر عام (1979)، وعقدت مع السلطة الفلسطينية إتفاقية أوسلو في عام (1993)، وكذلك إتفاقية وادي عربة مع الأردن في سنة (1994)، وعقدت إتفاقيات جديدة مع دول عربية أخرى في عام (2020) وهي (الإمارات العربية المتحدة، والبحرين، والسودان)[2].

---

[1]- بنيامين نتنياهو، مكان بين الأمم، ترجمة: محمد عودة الدويري، مراجعة: كلثوم السعدي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 1996، ص304، وص360.

[2]- بنيامين نتنياهو، مصدر سبق ذكره، ص270.

رابعًا: ضمان عدم وقوف دول الجوار الإقليمي غير العربي مع العرب، والمتمثل بـ(تركيا، إيران، أثيوبيا)، والعمل أما على التحالف معها أو تحييدها على الأقل.

خامسًا: ضرب ومحاربة أي تيار سياسي وفكري عربي وحتى عسكري، يؤمن بفكرة المواجهة مع (إسرائيل)، إنطلاقًا من مبدأ الحرب الوقائية أو الاستباقية أو السلام عبر القوة أو الردع حسب رؤية نتنياهو[1].

سادسًا: استغلال الجانب الدعائي والإعلامي، والعمل على استمرار دعمه لها لا سيما العالمي؛ من أجل وأد أي توجه إعلامي معادي لها، وكذلك بث الأفكار والسياسات التي تهدف إليها، أهمها أن فلسطين هي حق تاريخي لإسرائيل، وأن العرب هم غرباء على هذه الأرض يجب طردهم، وأن الفلسطينيين إرهابيين، وأنها مجرد حملاً وديعاً وسط هذه الجموع من البرابرة (العرب)، وهذا ما يتم الترويج له بشكل كبير على مواقع التواصل الاجتماعي.

سابعًا: دعم الأفكار التي تروج للأقليات في العالم العربي، واظهارها بمظهر المضطهدة على يد العرب، مما يؤدي إلى خلق فجوة عميقة بين الجانبين، مما يؤدي بذر بذور الانقسام بين المجتمعات العربية الدول، فبدل أن يقال أن هذا مواطن عراقي، أو سوري، أو مصري، أو لبناني، سيتحول الأمر إلى أن هذا كردي، أو شيعي، أو سني، أو درزي، أو علوي، عندها ستكون إسرائيل الدولة الأقوى وسط هذه الفئات، وهو ما هدف إليه مشروع (الشرق الأوسط) الذي طرحه الرئيس الإسرائيلي (شيمون بيريز).

ثامنًا: القضاء فكرة العداء العربي – الإسرائيلي، وتحويلها باتجاه أعداء افتراضيين، كإيران كما يروج له اليوم، وكذلك الترويج لفكرة أن العرب أعداء فيما بينهم، مما يؤدي إلى

1- المصدر نفسه، ص264.

نسيان أن هنالك عدو للعرب أسمه إسرائيل بدليل أن وزير الخارجية الأمريكي (مايك بومبيو) أكد في أحد لقاءاته أن العرب أدركوا أن إيران هي عدوهم.

- **المطلب الثاني: إسرائيل والقطب الأمريكي (إضاءةٌ مستقبليةٌ).**

يهمل العديد من الباحثين المتغير الإسرائيلي، عند دراستهم لطبيعة التنافس الأمريكي – الصيني، واضعين جل تركيزهم على العاملين الاقتصادي، والتكنولوجي، والسياسي، على اعتبار أن الصين أضحت تشكل تهديدًا جديًا لهيمنت الولايات المتحدة الأمريكية، لا سيما وأنها تعد في الوقت الحاضر الاقتصاد الثاني عالميًا بعد الاقتصاد الأمريكي، إذ بلغ حجمه نحو (13,6) ترليون دولارًا، محققةً نموًا كبيرًا في الناتج المحلي بنحو (10%)، وحصتها من التجارة العالمية (9%)، وتسيطر على ما نسبته (15,8%) من حجم الناتج المحلي العالمي. وعلى الصعيد التكنولوجي فتعد من أبرز المصدرين لها على الصعيد العالمي، وأكبر مصدر للولايات المتحدة الأمريكية، فيما يتعلق بالأجهزة الإلكترونية الاستهلاكية كأقراص الفيديو، والحواسيب وما شاكل ذلك[1].

ولست في معرض التوسع في هذه الجوانب؛ وأردت من المقدمة أعلاه بيان بعض الحجج التي يستند عليها من يبحث في هذا الموضوع، والذين يهملون عاملًا مهمًا أي العامل الإسرائيلي، وما له من تأثير كبير للغاية على تحديد بوصلة الهيمنة الدولية، وكفة المنافسة الاستراتيجية، والصراع على النفوذ في العالم، ومنطقة الشرق الأوسط على وجه التحديد. فالصين مثلًا وإن كانت لا تعلنها صراحة، تبحث عن موطئ قدم لها في لعبة

---

[1] – فيفك أرورا وأثاناسيوس فامفاكيديس، تقدير نفوذ الصين، صندوق النقد الدولي، 2010، ص ص1–2. وينظر: عبد الحافظ الصاوي، هل يستطيع الاقتصاد الصيني تجاوز تداعيات فيروس كورونا؟ الجواب إليك، الجزيرة، نشر في 2020/2/15، استخرج في 2020/3/26، على الموقع الإلكتروني:

https://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2020/2/15/

الهيمنة الدولية، التي انفردت بها الولايات المتحدة الأمريكية عقب الحرب الباردة. والصين لا تبتعد في ذلك عن غالبية الدول، التي كلما زادت قوتها حاولت توظيفها في الخارج، لزيادة نفوذها، ورغبةٌ منها في البقاء إذا ما تم قياس ذلك وفقًا لمدركات المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية، إذ ترى أن الواقع يحتم على الدولة زيادة قوتها من أجل ضمان بقائِها.

وبشأن تأثير إسرائيل، عند العودة إلى التأريخ سنجد أن اليهود الصهاينة، وعلى رأسهم (ثيودور هرتزل)، رأوا أن اليهود وحتى تكون لهم دولتهم الخاصة موقعها فلسطين، لا بد من وجود دولةٍ مهيمنةٍ ترعاهم، وتحمي مشروعهم "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، ودولتهم التي يطمحون إلى قيامها، ويحققون لها مصالحها في ذات الوقت، لا سيما وأنهم معروفون بقوتهم الاقتصادية. لذلك في البداية حاول هرتزل عام (1898) الاعتماد على ألمانيا، لأنها كانت تتمتع بعلاقاتٍ متميزةٍ مع الدولة العثمانية فضلًا عن قوتها، إذ حاول حينها إقناع القيصر الألماني، من أجل تبني دولته للقضية الصهيونية، وأن يكون حلقة الوصل بينه، وبين السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني) للتوسط عنده، بشأن منح الصهاينة ما يريدون في فلسطين، لأنها كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية في تلك الفترة، إلا أن القيصر رفض هذا الأمر؛ لأنه لم يكن يريد التفريط بالمصالح الكبيرة التي كانت تربط بلاده بالدولة العثمانية. مما حدا بهرتزل التوجه مباشرةٌ نحو أسطنبول عام (1902)، ورفض السلطان ما آراده رفضًا قاطعًا، على الرغم من أن الصهانية تعهدوا له بتسديد الديون التي كانت ترهق كاهل دولته. ورفضْ السلطان هذا راجعٌ بالأساس إلى اعتباره خليفة المسلمين، بالتالي لا يجوز له التفريط بأرضٍ تابعةٍ للمسلمين، فضلًا عن أن فلسطين لها رمزيتها الدينية الكبيرة عند سائر أمة الإسلام، لا سيما فيما يخص المسجد الأقصى، وخشيته على مكانة دولته ولنفترض

مثلًا ماذا سيكون عليه واقع الدولة العثمانية في المنطقة، فيما لو وافق السلطان العثماني على طلب اليهود الصهاينة!؟. عندها لم يتبقَ أمام هرتزل إلا الذهاب نحو بريطانيا، من أجل إقناعها بالمزايا التي يمكن أن تحصل عليها، إذا ما دعمت المشروع الصهيوني، ورأت بريطانيا أن في هذا المشروع ما يحقق مصالحها الاستراتيجية في منطقة الخليج العربي، والمشرق العربي[1]. لا سيما وأن بريطانيا بدأت منذ عام (1800)، بالبحث عن إيجاد موطئ قدم لها في منطقة الخليج العربي، إذ تعد طريق شركة الهند الشرقية نحو الهند، بالتالي هو هدف مزدوج يضمن الهيمنة البريطاني في منطقتين حيوتين، وكانت تتحين الفرص التي يمكن عبرها تقسيم تركة "رجل أوربا المريض" أي الدولة العثمانية. لذلك التقت مصالحها مع المصالح الصهيونية، ومثلت الحرب العالمية الأولى فرصةً سانحةً، لوضع الخطة البريطانية – الصهيونية موضع التطبيق، ليتقاسم المنتصرين في هذه الحرب بريطانيا وفرنسا، تركة الدولة العثمانية التي هزمت فيها مع ألمانيا، الأمر الذي أدى إلى أن تضع بريطانيا يدها على فلسطين[2].

ما إن تمت السيطرة على فلسطين، قامت بريطانيا بإعطاء وعدها للصهاينة "وعد بلفور"، الذي تعهدت عبره بأن تقوم بالعمل على إنشاء وطن قومي لليهود، وكان لـ (حاييم وايزمان) أحد زعماء الصهيونية، دورًا كبيرًا في إقناع وزير الخارجية البريطاني الأسبق (أرثر بلفور)، من أجل أن يصدر هذا الوعد، إذ يعد انتصارًا كبيرًا للحركة الصهيونية في وقتها، ووضعها على الطريق الصحيح، الهادف إلى الحصول على دولةٍ

---

[1]– للمزيد ينظر: فلسطين تاريخها وقضيتها، المرحلة الثانوية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، شركة الخدمات النشرية المستقلة المحدودة، 1983، ص ص21-30.

[2]– روبرت ماكنمارا، الهاشميون وحلم العرب، ترجمة: منال حامد، العربي للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 2018، ص ص35-54.

يهوديةٍ في فلسطين وبمساندةٍ بريطانيةٍ. على الرغم من أن البريطانيين حاولوا فيما بعد التنصل من وعدهم هذا، وهذا له أسبابه التي يطول شرحها، ولا مجال لذكرها هنا[1].

مقابل ذلك، كان اليهود الصهاينة يعملون على الضفة الأخرى من الأطلسي، أي في الولايات المتحدة الأمريكية من أجل كسب مساندتها ودعمها، لا سيما وأنها كانت ولم تزل تضم نسبةً كبيرةً من اليهو، إذ تعد منذ قيامها على الأقل من الناحية الدينية، والاجتماعية من أشد المساندين لفكرة إقامة دولةٍ يهوديةٍ موقعها فلسطين، باعتبارها حقهم التأريخي، وأن على المسيحيين الوقوف إلى جنبهم، لتحقيق هدفهم المنشود، لا سيما وأن من يشفع لهم عند الرب هو يهودي!، بتعبير أحد القساوسة الأمريكيين وهو (ليفي بارسونز)[2].

كان القنصل الأمريكي الأسبق في تونس عام (1844) (كريسون موردخاي)؛ رأى بأن الرب خلق بلاده لإنقاذ اليهود، وأن النسر الأمريكي يعد بمثابة مصداقٍ لنبوءة أليشع "سيغطي البلد بجناحيه"، وكان يعتقد مثله مثل العديد من النخب الأمريكية، أن لا خلاص لليهود إلا بقدومهم إلى إسرائيل، ويعني هنا فلسطين. وكانت جماعات مسيحية أمريكية مثل المنهجيين، والأبرشانيين، والمشيخيين، من أشد المساندين لمسألة الدولة اليهودية[3]. واستطاع الصهاينة الأمريكيين، على قلتهم من الوصول إلى مراكز صنع القرار الأمريكي، وأضحت لهم لوبياتهم الخاصة "جماعات ضغط"، وأخذت تمارس ضغوطها على مؤسسات الحكم الأمريكية أبرزها: الكونغرس، والبيت الأبيض، بالتالي لا غرابة حينما نرى الرئيس الأمريكي الأسبق (ودرو ويلسون)

1- المصدر نفسه، ص ص104-105.

2- مايكل بي. أورين، القوة والإيمان والخيال: أمريكا في الشرق الأوسط منذ 1776 وحتى اليوم، ترجمة: آسر حطيبة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2008، ص95.

3- المصدر نفسه، ص ص150-152.

يقول "إنني أنا ابن الأبرشية يجب أن أكون قادرًا على المساعدة في إعادة الأرض المقدسة إلى شعبها"[1].

بالتأكيد إن هذا التلاقي بين الأهداف الصهيونية، والأمريكية، لا يقتصر على تأثيراته الدينية، فالأمريكان على علمٍ مسبقٍ بمدى الأهمية الإستراتيجية للمنطقة العربية، وهم منذ أيام الدولة العثمانية أخذوا يسعون إلى تعزيز مصالحهم فيها، ومن يقرأ التأريخ جيدًا يجد أن أغلب الامبراطوريات التي هيمنت على البسيطة، يرى أن أولى الخطوات التي تقدم عليها، هي العمل من أجل السيطرة على هذه المنطقة، إذ تعد رقعةً جيوبوليتكيةً لا غنى عنها في لعبة الشطرنج العالمية. فضلًا عن ذلك حاول الصهاينة العمل على ترسيخ فكرة أنهم يمثلون قمة الحضارة، والمدنية، والديمقراطية، قبالة الهمجية، والبربرية العربية، وأنهم سيكونون القاعدة التي تحفظ مصالح الميهمن في منطقة "الشرق الأوسط"، وأن أرض فلسطين "الأرض الموعودة" بحسب الدراسات التوراتية[*]، ونجحوا في ذلك، لأن المهيمن الخارجي لا يجد أفضل من هذه الفرصة، باعتباره الضامن لأمن هذه الدولة الصغيرة، في ظل بحرٍ هائجٍ بربريٍ يكن لها العداء الدائم بحسب الرؤية الإسرائيلية، زيادةٌ على أن أبناء المنطقة في ظل ما يعانونه من جهلٍ كبيرٍ بتأريخ منطقتهم، فضلًا عن الضعف الذي تعيشه، أسهم ذلك في إنجاح الدراسات التوراتية، والخطط الصهيونية المتلعقة بفلسطين.

1- المصدر نفسه، ص ص345-353.

*- يؤكد كيث ويتلام في كتابه "اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التأريخ الفلسطيني"، إن الرواية التوراتية التي تتعلق بقراءة تأريخ الأرض الفلسطينية، لم تنصف الوقائع التأريخية التي تخص هذه الأرض، وجيرت الأحداث لما يخدم المصالح الصهيونية، ويرى أن العالم كله يعتمد على هذه الرواية، التي بالأساس تعتمد على أساطير دحضتها الدراسات الآثارية، فضلًا عن أنها أي ما تسمى بإسرائيل القديمة، لا تمثل إلا جزءً بسيطًا للغاية من التأريخ الفلسطيني الغني... للمزيد ينظر: كيث ويتلام، اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التأريخ الفلسطيني، ترجمة: سحر الهنيدي، مراجعة: فؤد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب "عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص ص79-105.

هذا ونجد أن اليهود الصهاينة، وبعد إدراكهم قضيةْ أن الإمبراطورية البريطانية، سائرةٌ نحو الاضمحلال، وانتهاء هيمنتها العالمية، بعد الخسائر الكبيرة التي منيت بها في الحربين العالميتين الأولى، والثانية، على الرغم من أنها خرجت منتصرةً في كلتيهما، إلا أنه انتصارٌ بطعم الهزيمة، لعظم الخسائر المادية، والبشرية التي تكبدتها، والأهم فقدت ريادتها الامبراطورية العالمية بسببها، إذ تحولت من الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس، إلى تلك الدولة التي تكاد ترى الشمس!، بدأوا بتحويل بوصلتهم وكل تركزيهم نحو الولايات المتحدة الأمريكية، لأنهم يدركون أن مشروعهم لن ينجح، وإذا ما كتب له النجاح وهو ما حدث، لن يُكتب له الاستمرار، إلا في ظل حمايةٍ خارجيةٍ من قبل قوةٍ مهيمنةٍ لها سطوتها الدولية، بالتالي إن مستقبل مشروعم مرتبطٌ بالمهيمن الجديد؛ ألا وهو الأمريكي.

على الرغم من أن هنالك قوى دولية أخرى حاولت تبني المشروع الصهيوني، والكيان الإسرائيل فيما بعد، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي، الذي يعد أول دولةٍ أعترفت أعترافًا قطعيًا عقب ثلاثة أيام من قيام هذا الكيان، لإدراكه عظم المزايا الإستراتيجية التي سيحوز عليها، في حالة فوزها بهذه الجائزة الإستراتيجية، حتى أنه كان سباقًا في دعم إسرائيل بالأسلحة التقليدية، بينما ساعدتها فرنسا في مشروعها النووي، الذي أدى إلى امتلاكها للسلاح النووي.

هذا يحلينا إلى مسألةٍ مهمةٍ وهي: إن الولايات المتحدة الأمريكية، كانت الشكوك تساورها، بشأن بمدى قدرة هذا الكيان الوليد، على مجابهة الأخطار المحدقة به، وعلى رأسها وقوعه في وسط بيئةٍ عربيةٍ تكن له العداء المطلق، بالتالي لا تريد التفريط بمصالحها مع الدول العربية، ولم تحسم أمرها التام حياله، إلا عقب حرب عام (1967)، التي هزمت فيها إسرائيل ثلاثة دولٍ عربيةٍ في ظرف ستة أيام، وكان بمثابةِ

تحقـقٍ لنبـوءةٍ دينيـةٍ "أرض إسـرائيل الكـبرى"، بالنسـبة للتيـار الأصـولي الـديني المسـيحي "المسـيحية الصـهيوينة" في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، الـذي يـؤمن بضـرورة دعـم المسيحيين لإسرائيل، لأنهـم يعتقـدون أن المسيح لـن يظهـر، إلا عقـب سيطرة إسـرائيل على كـل الأرض الموعـودة "فلسـطين". وعليـه أيقـن الأمريكـان أن هـذا الكيـان رسـخ وجوده، والعرب لا يمتلكون القدرة على إزاحته، وهو ما أدى بهم إلى تبنيه بشكلٍ تامٍ، ومنـذ تلـك اللحظـة لا نجـد رئيسًـا أمريكيًـا يـأتي للبيـت الأبـيض، إلا وأكـد علـى محوريـة إسرائيل في الأمن القومي الأمريكي. لـذلك نشـأ هـذا التخـادم المصـلحي بين الجهتين، والذي يحمل في طياته الأبعاد كافة سواءٌ أكانت ذات مضامين استراتيجية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو دينية.

الحـديث أعـلاه يحفزنـا علـى طـرح الأسـئلة الآتيـة: مـاذا لـو تراجـع دور الميهمن الـدولي أي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة؟، مـاذا سيكون الموقـف الإسـرائيلي مـن ذلـك؟، وهذا يرجعنا إلى بداية كلامنا عن الصين لنسأل، ماذا سيكون موقفها فيما لو تراجعت الهيمنـة الأمريكيـة، ومـا موقـف إسـرائيل في حـال تحققـت الهيمنـة الصـينية في العقـود القادمة؟.

للإجابـة علـى الأسـئلة آنفـة الـذكر، أجـد أن الهيمنـة الأمريكيـة العالميـة إذا مـا تراجعت، وأدى هـذا التراجـع إلى حلـول الصـين محلهـا، وأن إسـرائيل تعتمـد علـى هـذه الهيمنـة لحفـظ أمنهـا؛ أظـن أنـه وبتراجـع هيمنـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، ستعمل إسرائيل على تحويل بوصلتها إتجاه المهيمن الجديد كـ (الصين) مثلًا، كما حدث ذلك سابقًا مع بريطانيا؛ لأنهـا لا تسـتطيع ضـمان وجودهـا، إلا بوجـود مهـيمن دولي تتحـالف معه، وتكون لديه القدرة على كبح أعدائها ومنافسيها، من العرب على وجه التحديد، وأسـباب الرؤيـة الإسـرائيلية هـذه أبرزهـا: عامـل الـوهن الجيوبـوليتيكي والسـكاني، والبيئـة

العربية المناوئة لها، فضلًا عن أنها بالأساس قامت بوضع يدها بالقوة على أرضٍ ليست ملكها بل ملك الشعب الفلسطيني، مهما كانت الحجج التي استندت عليها فهي غير منطقية. وعليه فإن قوة إسرائيل، لا تقتصر على ذاتها فقط، فعند قراءة الصراع العربي — الإسرائيلي، لا يمكن تجاهل العامل الأمريكي بكل ما يمتلكه من قدرات كبيرة، والذي يعمل على ترجيح الكفة الإسرائيلية على حساب العرب، بالتالي من الخطأ اعتبار أن العرب لم يستطيعوا الانتصار على إسرائيل، لأنهم ضعفاء فقط أو لا يمتلكون السلاح النوعي؛ بل أن الدولة الإسرائيلية مسنودة من قبل قوى دولية عالمية على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، التي لديها مصالحها الإستراتيجية في هذه المنطقة، مما يدفعها بكل قوتها للدفاع عن إسرائيل، التي تعد قاعدتها الثابتة والمتقدمة، والموثوقة لحفظ مصالحها في منطقة الشرق الأوسط.

بالنظر إلى ما تقدم أرى أن الصين قد لا تخالف هذا الواقع، إذ أنها تدرك عظم أهمية هذه المنطقة، وتحاول ترسيخ أقدامها فيها، إذا ما أرادت ضمان هيمنتها الدولية مستقبلًا، لا سيما وأن لديها مشروع استراتيجي أطلقت عليه تسمية "مبادرة الحزام والطريق"، الذي يعد بمثابة إحياءٍ لطريق الحرير القديم، ولكن، طبقًا لقياسات الزمن الحالي. هذا المشروع له ارتباطاته الكبيرة بالمنطقة سواءٌ أكان عبر مساراته البرية، أو عقد اللؤلؤ الذي ينتشر في البحار، والمتمثل بضمان الصين لسيطرتها على الموانئ البحرية المهمة المطلة على البحار، والمحيطات، وإسرائيل ليست ببعيدة عن هذا المشروع، إذ أن الصين تدير ميناء حيفا الإسرائيلي وتستثمر فيه في الوقت ذاته، وهو مطل على البحر

البيض المتوسط، الأمر الذي يؤدي إلى فتح الجبهة الشرقية للبحر أمامها، وفازت شركةً صينيةً بعقدٍ لبناء ميناء إسرائيلي جديد في مدينة أسدود[1].

على صعيدٍ آخرٍ بلغ حجم الاستثمارات الصينية في إسرائيل (25) مليار دولارًا، موزعةً على قطاعاتٍ عدةٍ في الداخل الإسرائيلي، بينما يصل حجم التبادل الاقتصادي سنويًا بين الجانبين إلى (11) مليار دولارًا، ويميل الميزان التجاري لصالح الصين بنسبة (77%)، مقابل (23%) لصالح إسرائيل، ووصل حجم الزوار الصينيين إلى إسرائيل في عام (2018) إلى (200) ألف صيني[2].

الأمر الذي آثار امتعاض، واستهجان الولايات المتحدة الأمريكية؛ لما لذلك من تهديدٍ لمصالحها الحيوية التي تربطها بإسرائيل، فضلًا عن تأثيره على هيمنتها على المنطقة تحديدًا، والعالم عمومًا، لا سيما وأن إسرائيل تستفيد سنويًا من المساعدات الأمريكية التي تبلغ (3,8) مليار دولارًا، كما وأن الإدارة الأمريكية ضربت بسببها عرض الحائط كل الآمال الفلسطينية، والعربية، وكانت سببًا مباشرًا للوقوف بالضد "اللجوء للفيتو"، من أية خطوات قد يتخذها مجلس الأمن الدولي، تهدف للحد من التجاوزات الإسرائيلية على الحقوق الفلسطينية؛ رغبة منها في ضمان المصلحة الإسرائيلية، كما أن الأمريكان يخوضون حربًا تجاريةً وتكنولوجيةً مع الصين، بالتالي لن يروق لهم حجم التعاون الصيني – الإسرائيلي الكبير، ولن يقفوا مكتوفي الأيدي حيال ذلك[3].

---

[1]– الصين تدير موانئ إسرائيل... هل تصمت واشنطن؟، الجزيرة، نشر في 2018/9/15، استخرج في 2020/3/23، على الموقع الإلكتروني:
https://www.aljazeera.net/news/international/2018/9/15/

[2]– محمد مهدي عبد النبي، استحوذت على شركات الألبان والاتصالات والبنية التحتية.. ماذا تفعل الصين فى إسرائيل؟، عربي بوست، نشر في الساعة 16:48 - 2019/1/19، استخرج في 2020/3/23، على الموقع الإلكتروني:
https://arabicpost.net/opinions/2019/01/19/

[3]– المصدر نفسه.

وتدرك القيادة الإسرائيلية، وتتحسس أن القوة الأمريكية أصابها بعض الوهن، والتراجع، الأمر الذي قد يدفعها للبحث عن تعزيز مصالحها مع الجانب الصيني، الذي يرغب بقوة لتعزيز مصالحه مع إسرائيل، ولن يفرط بمثل هكذا فرصة استراتيجية، لا سيما مع تزايد حجم التعاون بين الجانبين، الذي يُنبأ بأن المهيمن القادم الذي سيتعهد بحماية إسرائيل هو الصين، فيما لو ترجعت الهيمنة الأمريكية. بالمقابل يعتمد هذا الأمر على القرار الإسرائيلي، الذي لربما يستمر مع المهيمن الأمريكي، لا سيما وأن اليهود الأمريكيين لديهم سطوتهم الاقتصادية، والسياسية، والإعلامية في الولايات المتحدة الأمريكية، ولا ينسون أن هذه الأرض استطاعت احتضانهم إبان فترة الاضطهاد الأوربي لهم، وقدمت لهم المساعدات الكبيرة في أحلك الظروف. ولكن، كما يُقال أن السياسة لا عداء، ولا صداقة دائمةٌ فيها، الدوام للمصالح فقط، والدول مصلحتها الرئيسة تتمثل في مدى قدرتها على ضمان بقائِها، وإسرائيل ليست بعيدة عن هذه القاعدة.

ما أود التأكيد على أن الأسئلة التي طرحتها عبارة عن افتراضاتٍ ربما لا تتحقق، إذ كل الاحتمالات مطروحة للبحث، والاستنتاج، لا سيما وأن الولايات المتحدة الأمريكية، ما تزال متربعةٌ على عرش الهرمية الدولية، وما تزال الصين تحث الخطى مسرعةٌ نحو إيجاد موطئ قدم لها ضمن دائرة النفوذ العالمية، ولم لا التربع على عرش العالم!. فهذه هي طبيعة الدول، تكون طامعة وغير قانعة، لا سيما إذا ما تركمت لديها القوة، والقدرة، ودوري هنا كباحث التوقع، والاستنتاج فقط، لا التنبؤ؛ فهذا صعبٌ للغاية، بدليل أن في ستينيات القرن العشرين، تنبأ السوفييت بأن قوتهم ستتجاوز قوة الولايات المتحدة الأمريكية عند حلول عقد الثمانينيات من القرن ذاته، إلا أن العكس هو ما حدث، إذ عند نهاية عقد الثمانينيات، تفكك الاتحاد السوفيتي، ولم

يستطع المحافظة على كيانه حتى!، وخرجت الدولة الأمريكية مهيمنةً على العالم، لذلك كل شيءٍ وارد.

- **المطلب الثالث: توازنات التهديد في لبنان.**

يمر لبنان بأزمةٍ داخليةٍ خانقةٍ، وأسبابها عديدةٍ لعل أبرزها: السبب الاقتصادي، والسياسي، الأمر الذي أدى إلى خروج العديد من اللبنانيين إلى الشوارع معبرين عن غضبهم مما آلت إليه الأوضاع في بلدهم، واستمرت تظاهراتهم لأشهر متواصلة خلال العام (2019)، ولم توقفها إلا جائحة كورونا. وعلى إثرها استقالت حكومة (سعد الحريري)، وشُكلت حكومةٍ بديلةٍ عنها برئاسة (حسان دياب)، والأخيرة أيضًا استقالت عقب انفجار مرفأ بيروت (سنتوسع بشأنه بشكل مفصل في الصفحات التالية)، إلا أن الوضع اللبناني بقي على ما هو عليه بل ازداد سوءًا. ومن الأسباب الأخرى المهمة التي ألقت بثقلها على الوضع اللبناني هي: الصراعات بين القوى الإقليمية، والدولية المتنافسة على لبنان، وهي عمومًا تشكل محورين متضادين: محور إيران وحليفها حزب الله اللبناني، ومحور الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل، والسعودية، وحلفائهم من القوى اللبنانية على رأسهم تيار المستقبل بزعامة سعد الحريري.

الأمر الذي انعكس سلبًا على الواقع الاقتصادي اللبناني وعلى الدولة اللبنانية برمتها، لا سيما وأنها تعتمد كثيرًا على المساعدات، والمعونات، والقروض المقدمة لها من الدول الغنية على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، والسعودية، فضلًا عن صندوق النقد الدولي، وكنوع من العقاب ضد حزب الله الذي يعد الطرف اللبناني الأكثر هيمنةً على الأوضاع في لبنان، الذي يعني أن إيران ستكون الطرف الخارجي الأكثر نفوذًا في هذا البلد، على اعتبار أنها الداعم الرئيس لهذا الحزب، بالتالي عملت هذه الدول على

قطع المساعدات التي كانت تقدمها للبنان، من أجل الضغط على حزب الله، وكذلك كنوع من المواجهة للنفوذ الإيراني المتنامي في الساحة اللبنانية، باحتساب أن ذلك يؤدي إلى خلخلة توازنات التهديد القائمة في لبنان، وهذه الفرضية التي جاء بها ستيفن والت، التي تقوم على قاعدة أن الدول تتحالف ضد الدولة، أو الطرف الأخطر، وليس الأقوى كما هو الحال في نظام توازن القوى[1].

ويمكن لتوزان التهديد أن يعمل في ظل البيئة اللبنانية، على اعتبار أن حزب الله يعد الطرف الأخطر، والأكثر تهديدًا ضمن خارطة التوازنات الداخلية في لبنان، وهذا ما لا يرضي القوى السياسية اللبنانية الداخلية، وبالتأكيد معها الأطراف الخارجية الداعمة لها كالولايات المتحدة الأمريكية، والسعودية، كما أن إسرائيل تراه خطرًا على أمنها بحكم ما يمتلكه من ترسانة عسكرية، وهو محاذي لها جغرافيًا، مما يزيد من حجم تهديد هذه الترسانة، ودخلت معه في أكثر من حرب، منها التي حدثت في عام (2006)، فضلًا عن أنه يتبنى آيديولوجيا مناهضةً لها، زيادةً على أنه حليف إيران التي تتبنى شعارات معادية لها (ليست بالضرورة حقيقية، وقد تكون محسوبة ضمن اللغة الدعائية التي ينتهجها النظام الإيراني من أجل كسب الأتباع، وكذلك زيادة مساحة نفوذه بالمنطقة)، وهنا تعمل فرضية توازن التهديد، إذ تخشى الأطراف المناهضة لحزب الله، وإيران، من أنه في حالة ازدياد مساحة نفوذهما في لبنان: حزب الله كطرف داخلي، وإيران كطرف خارجي، فإن ذلك يعرض توازنات التهديد في هذه الدولة للخطر، لا سيما وأنها تستشعر نوايا عدوانية لمصالحها من قبل هذا المعسكر الإيراني في لبنان.

1- ريتشارد ليتل، توازن القوى في العلاقات الدولية: الاستعارات والأساطير والنماذج، ترجمة: هاني تابري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009، ص200.

لذلك إن ورقة العقوبات الاقتصادية لا سيما تلك المفروضة على حزب الله، ومن ثم قطع المعونات الاقتصادية على دولة لبنان؛ ما هي إلا جزءًا من عملية ممارسة الضغوط القصوى اتجاه هذا الحزب باعتباره الطرف الأقوى محليًا، وكذلك يشكل تهديدًا دائمًا لأمن إسرائيل، هذه الضغوطات تهدف إلى إعادة رسم التوازنات في الداخل اللبناني بين القوى الداخلية، والخارجية، بحيث لا تؤدي إلى زيادة مساحة نفوذ طرف على حساب الأطراف الأخرى، الأمر الذي ينعكس سلبًا على استقرار الدولة اللبنانية، التي لن تستقر ما لم تتفق القوى الإقليمية، والدولية، التي لديها مصالح في هذا البلد، على صيغة معينة تعيد رسم توازنات المصالح فيما بينها. وفي الحقيقة وجدت أن الصحفي، والكاتب المصري الراحل محمد حسنين هيكل، أجاد في وصف دور لبنان، التي عدها "دولة وظيفية" إذ يقول " هنالك نوع من الدول يستمد تأثيره من وظيفةٍ كلفته بها المعادلات الدولية، والإقليمية، ومن هذه الدول لبنان. كان تأثير لبنان بل وبقاؤه يرتبط بتراضي أطراف مختلفين في المجال الدولي، وفي المجال الإقليمي مع ضرورة وظيفته في وسط المنطقة العربية، وهكذا كان. وحين اختل تراضي الأطراف انفجر الوضع في لبنان"[1].

هذا الكلام قاله هيكل في ثمانينيات القرن العشرين أي منذ قرابة أربعة عقود، ولم يزل حاكمًا للوضع اللبناني حتى وقتنا الحاضر، فلبنان دولةٍ لا تمتلك معايير مادية كافية تكفل بقائها، فهي من ناحية المساحة الجغرافية، تعد دولةٍ صغرى تصل مساحتها إلى (10450) كم^2[2]. ومن ناحية الموارد الطبيعية فقيرةٌ للغاية، واقتصاد يعيش على

1- محمد حسنين هيكل، السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، مصدر سبق ذكره، ص ص64-65.

2- بيان غريب، مساحة لبنان وعدد سكانها، موضوع، آخر تحديث س17:11 / 10 مايو 2020، استخرج في 2020/8/9، على الموقع الإلكتروني:

https://mawdoo3.com/

المساعدات، والقروض، فضلًا عن أن عدد سكانها صغير، وبلد متنوع التوجهات الدينية، والعرقية، والطائفية. بالتالي يستحيل عليها ضمان وجودها من دون وجود توازنات داخلية، وخارجية تضمن على الأقل بقائها كدولةٍ لها علم يرفرف في منظمة الأمم المتحدة، فوجود قصاصة ورق تمنح الدولة سيادتها بتعبير رئيس وزراء الهند الأسبق جواهر لال نهرو، وقطعة قماش سميناها أعلامًا[1]، لا يعني أن هذه الأشياء تضفي على الدولة حقائق القوة الحقيقية.

لكن، في ذات الوقت على الرغم من ضآلة حجم الجغرافيا اللبنانية؛ إلا أن أهميتها تتأتى من طبيعة موقعها الجيوبولتيكي المطل على البحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي جعل من موانئها موقعًا يربط بين ثلاثة قارات وهي (آسيا، وأوربا، وإفريقيا)، وكذلك ما يزيد من أهميتها محاذاتها للكيان الإسرائيلي (فلسطين المحتلة)، مما حتم عليها أن تكون طرفًا مهمًا ضمن معادلة توازنات التهديد في منطقة الشرق الأوسط، وكذلك فهي تحسب على دول المواجهة العربية.

لذلك وجود لبنان مستقر؛ يعني أن الأطراف الدولية، والإقليمية متوافقة على طبيعة التوزانات الحاكمة فيما بينها في هذا البلد، أما عدم استقراره، فذلك يعني أن ذات القوى اختلفت فيما بينها على القواعد التي ترسم حدود توازناتها في لبنان، وسبب ذلك سعي أحد أطراف المعادلة، إلى زيادة نفوذه "نوايا عدوانية"، أو أنه يعمل على زيادة قوته، مما يستثير خشية الأطراف الأخرى المشكلة لمعادلة التوازن في لبنان، مما يدفعها إلى الوقوف ضده من أجل أن يعود إلى ما أتفق عليه، أو أنه سيواجه بشدةٍ إذا ما رفض ذلك، وهذا ما يحدث حاليًا في لبنان فحزب الله، وإيران يحاولان الاستفراد

[1]- محمد حسنين هيكل، زيارة جديدة إلى التأريخ، مصدر سبق ذكره، ص268.

برقعة الشطرنج اللبنانية، وهو ما أثار امتعاض الأطراف الداخلية اللبنانية المناوئية لحزب الله، والدول المضادة لإيران.

ولهذا نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية فرضت العقوبات الاقتصادية على حزب الله، وقطعت المساعدات المالية على الدولة اللبنانية ومعها حلفائها كالسعودية، لأنهم يرون أن هذه الأموال تذهب على الطرف المهيمن على لبنان وهو حزب الله، وليست إلى الشعب اللبناني، مما يعني ذهابها باتجاه من يرونه تهديدًا لمصالحهم في هذا البلد، الأمر الذي انعكس سلبًا على الواقع الاقتصادي اللبناني، وألقى بثقله على كاهن المواطن اللبناني، وهنالك رسائل إلى الشعب اللبناني، تهدف إليها الدول المناوئة للمعسكر الإيراني في لبنان، مضمونها أنكم يا شعب لبنان ستبقون تعانون ما إن بقي حزب الله مسيطرًا على واقعكم، أي أنهم يهدفون إلى تحقيق عملية إسقاطه، أو إضعافه، عبر استثارة الشارع اللبناني ضده. هذا الكلام ليس دافاعًا عن هذا الحزب، بل هي عملية قراءةٍ جيوسياسيةٍ لما يجري في لبنان، فهو أيضًا له أخطاءه التي سهلت من مهمة منافسيه، من بينها إقامته لدولةٍ موازيةٍ داخل لبنان "دولة داخل الدولة" تحت حجة أن ظروف مقاومة إسرائيل تحتم ذلك، ولا أعلم ما المانع من وجود دولة حقيقة، وهي في ذات الوقت تكون مقاومة لإسرائيل؟، هل تستوجب المقاومة خطف الدولة، وعدم الاعتراف بها؟، والاستظلال بظلها؟.

على العموم ومن الوسائل الأخرى التي لجأت إليها الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل، هي الوسيلة العسكرية، عبر القيام بضرباتٍ جويةٍ مختارةٍ ضد قواعد الحزب لا سيما في سوريا، وهي جزءًا من سياسة حافة الهاوية التي تتبعها هذه الأطراف معه، فإن عمل على الرد، فستعمل على الرد بشكلٍ أكبر، وأقسى، وأكثر فتكًا، مما يشكل معادلة "الردع بالتدمير".

وعليه على الأغلب لم تخرج حادثة تفجير مرفأ بيروت، عن هذه السياسة —حافة الهاوية– التي تتبعها إسرائيل مع حزب الله، وحليفته إيران، على الرغم إلى الآن لم تتضح هوية الفاعل، أو ما إذا كان الحادث طبيعيًا، وهذا له حساباته، فإسرائيل لم تعلن عن مسؤوليتها؛ لأنها لا تريد أن تعطي لحزب الله الفرصة من أجل أن يستثمر ذلك إعلاميًا، باعتبار القضية استهدافًا لمشروع المقاومة، وكذلك تريد تأليب الشارع اللبناني على الحزب، لا سيما بعد حجم الدمير الرهيب الذي خلفه الانفجار، فضلًا عن الخسائر البشرية الكبيرة، كما أنه في ذات الوقت نجد أن حزب الله، وفي خطاب قائده حسن نصر الله بعد، لم يحمل أي طرف المسؤولية، لأنه يعي أن الشارع اللبناني بغالبيته غاضب اتجاهه، بالتالي لن يتقبل ما يصدره الحزب، الذي بالأساس يوجد شرخ بينه وبين غالبية الشعب اللبناني، بسبب وقوفه ضد التظاهرات الشعبية اللبنانية التي خرجت في الأشهر القليلة الماضية، كما أن الشعب يعتقد إن السبب الرئيس لِما وصلت إليه لبنان على الصعيد الاقتصادي، سببه حزب الله، فضلًا عن ذلك أتوقع أنه إن اتهم طرفًا خارجيًا ما بأنه وراء حادثة الإنفجار، قد يؤدي ذلك إلى تثبيت التهمة ضده، لذلك كان خطاب نصر الله دفاعيًا أكثر مما هو هجوميًا، أيضًا أشار نصر الله إلى أن مشروع المقاومة يعد جزءًا رئيسًا ضمن التوازنات الردعية بالمنطقة، أو على الأقل في لبنان، وهذا ما أشرنا إليه فيما سبق، مما يعد تأكيدًا على فرضية توازن التهديد. كذلك أشار إلى الحرب الأهلية، وكأنه يريد القول للبنانيين، والدول الخارجية المضادة له، أنه لن يسلم لهم بتلك السهولة، وبالتأكيد هنا ستكون إيران حاضرةً ضمن هذه الترتيبات، وإن لم يذكرها في خطابه، فهي تعد الضامن الأبرز لاستمراره، بالتالي إن استمرار حزب الله، وكذلك النفوذ الإيراني في لبنان أحداهما مرتبطًا بالآخر.

ما حدث في لبنان جراء انفجار مرفأ بيروت، له تداعياته العديدة على الصعيدين الداخلي، والخارجي، أما الداخل فهو سينتظر الترتيبات التي ستتوصل إليها الدول الخارجية الماسكة بخيوط اللعبة اللبنانية، وسيكون الضغط الشعبي اللبناني حاضرًا وبقوة، باعتباره أداة ضغطٍ مهمةٍ اتجاه حزب الله، فضلًا عن بقية الطبقة السياسية الحاكمة في لبنان، الأمر الذي ستستثمره القوى الخارجية للضغط على القوى السياسية اللبنانية؛ من أجل أن تتنازل عن جزء من مكتسباتها، ولا سيما حزب الله.

وبتصوري إن انفجار المرفأ سيؤدي إلى انفراجةٍ اقتصاديةٍ في لبنان، كيف؟، بحكم أن الدمار الذي خلفه الانفجار، سيؤدي بالضرورة إلى حدوث عملية إعادة اعمارٍ كبيرةٍ، مما يعني تدفق مليارات الدولارات إلى لبنان. السؤال الأبرز من سيملأ هذا الفراغ المدمر؟

إيران، ومن خلفها حزب الله يعانون اقتصاديًا، بسبب العقوبات الأمريكية المفروضة عليهما، بالتالي من الصعب، إن لم يكن مستحيلًا عليهم تغطية الدمار الذي حدث، أي عبر إعادة إعماره، ولهذا أشار نصر الله بصورةٍ غير مباشرةٍ إلى العقوبات الاقتصادية التي تفرضها أمريكا على لبنان، باعتبارها لا تستهدف تيارًا معينًا من الشعب اللبناني (يقصد حزبه)؛ بل هي ضد الشعب اللبناني كله، وقال ما معناه إن كان لديكم أي الأمريكان مشكلةً معنا، فواجهونا نحن فقط، أي هي إشارة إلى ضرورة فك العقوبات، والعمل على مساعدة لبنان في محنته هذه، لأنه يدرك كم هي كبيرةً، وخطيرةً على وضع بلاده، ومشروعه في ذات الوقت.

لهذا إن دول مجلس التعاون الخليجي وعلى رأسها السعودية، وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، دول تمتلك القدرة على إعادة بناء ما دمر.

ولهذا إن زيارة الرئيس الفرنسي (إيمانويل ماكورن)، وتعد أول زيارةٍ لأحد مسؤولي الدول الغربية الكبار عقب الانفجار، والتي لها دلالاتها الإستراتيجية، فمن يأتي أولًا عليه كما يفترض أن يفوز في الحصة الأكبر في الاستثمارات التي ستعقب التدمير الذي لحق بالعاصمة بيروت، وستحتاج إلى مليارات الدولارات، ولا تريد فرنسا أن تفوت الفرصة على نفسها، وعلى شركاتها، من أجل الفوز بأهم العقود الاستثمارية، وأكبر قدر ممكن من النسبة، لا سيما وأنها ترى نفسها الوريث الاستعماري للبنان، باعتبارها هي من عملت على تأسيسه، بعد أن اقتطعتها من سوريا عام (1920)[1]، بالتالي ستعمل على ضمان وجودها ضمن لعبة التوازنات في الجيوبولتيكيا اللبنانية. كذلك سنجد أن الدول ستتنافس فيما بينها، من أجل الفوز بأكبر قدر ممكن من حصة إعادة إعمار الدمار الذي حدث في لبنان.

وحاولت فرنسا تعويض خسائرها الجيوسياسية المتتالية في الشرق الأوسط، التي لحقت بها منذ الحرب العالمية الثانية عبر البوابة اللبنانية، إلا أنها لم تفلح في الغالب فهل ستفلح في لبنان؟، إذ على الأرض هنالك حقائق قوة تحكم التوازنات في مختلف المناطق العالمية المهمة، ومنطقة الشرق الأوسط مهيمن عليها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم تعمل على ضبط التوازنات فيها بين حلفائها، ومنافسيها "إستراتيجية تمرير المسؤولية إلى الآخرين أو كما يطلق عليه التوازن من الخارج" وهي إستراتيجية جاء بها جون ميرشايمر، في كتابه مأساة سياسة القوى العظمى.

أما فرنسا فلا حقائق قوة لها على الأرض، وبالأساس هي ضمن المعسكر الغربي المهيمن عليه من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، فماذا عساها فاعلة؟.

---

[1]- لبنان الكبير، المعرفة، استخرج في 2020/8/8، على الموقع الإلكتروني:

https://www.marefa.org/

والفرنسيون يعيشون عقدة التفوق، ومسيطرةً عليهم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، إذ كلما حاولوا إثبات وجودهم؛ تلقوا صفعة كبيرة قبالتها منها: فشل العدوان الثلاثي، فشلها في فيتنام، فشلها في الجزائر، فشل فكرة الاتحاد المتوسطي، فشلها في ليبيا، فشلها داخل أوربا نفسها...، وأغلب محاولاتها هذه تحاول عبرها أن توصل رسالة مفادها أنها ليست أداةً بيد الولايات المتحدة الأمريكية، وأن لها توجهها الخاص "الديغولية"، ويعد ماضيها الإمبراطوري أكبر عقدها، ولم تستطع التحرر منه.

أما الولايات المتحدة الأمريكية ستحاول استثمار الحادثة، من أجل إعادة رسم طبيعة التوازنات المختلة في لبنان، والتي تميل لصالح إيران، والأخيرة بالأساس هي في حالة صراع مع الأمريكان في المنطقة؛ إذ أن الولايات المتحدة الأمريكية مصممة على تحجيم حجم النفوذ الإيراني المتنامي، وهي تقع ضمن مسؤوليتها على اعتبار أنها المهيمن عليها أي منطقة الشرق الأوسط، كما أنها لن تقبل بأن تختل التوازنات المرسومة لصالح طرفٍ على حساب بقية الأطراف، حتى وإن كان من بين حلفائها، فما يهمها هو أن يعمل حلفائها، ومنافسيها، أو أعدائها على موازنة بعضهم البعض، وتبقى هي المراقب لهذا التوزان، وأية عملية خرق ستتدخل، كما حدث حيال العراق عام (1991) عقب غزوه للكويت في 2 آب (1990).

وبشأن إسرائيل، والسعودية نجد أن كلا الدولتين يشتركان على الصعيد الإقليمي ذات التوجهات تقريبًا، وفيما يتعلق بالنفوذ الإيراني على وجه التحديد، فالإسرائيليون يرون أن هذا النفوذ يهدد أمنهم، كما أن السعوديين، يرونه مهددًا لمصالحهم في المنطقة، وكذلك إن الأمر لا يخلو من الطبيعة الطائفية، باحتساب أن السعودية تدعي حمايتها للطائفة السنية في لبنان، وكذلك بقية الدول العربية الأخرى

التي يكون فيها النفوذ الإيراني حاضرًا، وإيران تدعي أنها تحمي الشيعة في لبنان، وفي أية دولةٍ أخرى، لهذا اجتمعت الرؤية الإسرائيلية، والسعودية على ضرورة إنهاء هذا النفوذ. لكن، ما الثمن؟، أي ما ثمن قبول الدول التي ذكرناها والتي لديها القدرة على مساعدة لبنان، وإعادة إعمار الدمار الذي خلفه مرفأ بيروت؟

إنه إعادة رسم خارطة التوازنات في الداخل اللبناني، التي سيطر عليها حزب الله في السنوات القليلة الماضية، وكذلك ضرورة العمل على نزع سلاحه، والإبقاء على مشروعه السياسي فقط وضمن حدود لبنان، وتطبيع لبنان مع إسرائيل، فضلًا عن تحجيم الدور الإيراني الذي أخل بطبيعة التوازنات الإقليمية، والدولية الراسمة لطبيعة وظيفة الدولة اللبنانية، والذي بالأساس أي المشروع الإيراني يتعرض للضغط من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وفي أكثر من مكان، وأكبر ضربةٍ تلقاها بداية عام (2020) هي: اغتيال الأمريكان لقائد فيلق القدس (قاسم سليماني)، وهي رسالةٍ ردعيةٍ أمريكيةٍ شديدة اللهجة، مفادها أنكِ يا إيران ومعك حلفائك، إن استمريتي على ذات الطريق ستواجهين بكل عزم وقوة. بالتالي إن حادثة إنفجار مرفأ لبنان، لا تبتعد عن إستراتيجية مواجهة المشروع الإيراني في المنطقة، التي يسير عليها الأمريكان وحلفائهم.

- **المطلب الرابع: الأبعاد الجيوسياسية للتطبيع الإسرائيلي – الخليجي.**

سارت دولتان من مجلس التعاون الخليجي وهي (الإمارات العربية المتحدة، والبحرين) على درب بناء العلاقات العلنية مع إسرائيل، والاعتراف بشرعية وجودها، وربما ستتبعها في المستقبل القريب بقية دول المجلس كـ (المملكة العربية السعودية، وسلطنة عُمان، والكويت، وقطر).

وفي سياقٍ متصلٍ، ثمة ثلاثة مشاريع جيوسياسيةٍ إقليميةٍ تريد الهيمنة على دول مجلس التعاون الخليجي، ولا أفرق بينها على الإطلاق وهي: المشروع التركي، والمشروع الإيراني، والمشروع الإسرائيلي، وبالأساس هذه المشاريع خطرة على الدول العربية كافة. الأول والثاني مع أخطارهم الجيوبوليتيكية؛ يحملان خطرًا آخرًا لا يقل أهميةً عن الأول وهو: خطر اللعب على وتر الهويات الفرعية سنية (إخوانية)، وشيعية، وهو ما يؤدي إلى زعزعة الاستقرار الداخلي لدول المجلس، ولعبت إيران وحلفائها على هذا الوتر عام (٢٠١١) في البحرين، بشكلٍ علنيٍ مما دفع بدول المجلس لا سيما السعودية للتدخل عسكريًا بقوات درع الجزيرة، لمنع أية إمكانية قد تؤدي إلى تغيير النظام البحريني الحاكم، الأمر الذي سيؤدي إلى تعزيز النفوذ الإيراني في هذه الدولة ذات الغالبية الشيعية، وهو ما تعده السعودية خطرًا على أمنها، وأمن نظامها الحاكم.

أما إسرائيل فهي ذات تهديد جيوبولتيكي، لا يحمل طابعًا مذهبيًا، وبالتالي يمكن أن نحلل الابعاد الجيوساسية للتطبيع الإسرائيلي الخليجي كما الآتي:

أولًا: البعد السياسي بطابعه الأيديولوجي.

ترى دول مجلس التعاون الخليجي (ربما عدا قطر التي لا ترى في المشروع التركي خطرًا على أمن دول المجلس الأخرى، بل هي متحالفة مع تركيا، وكذلك إيران. كذلك بالنسبة لسلطنة عُمان فيما يخص علاقاتها الجيدة مع إيران، بالتالي لا ترى في المشروع الإيراني خطرًا عليها). كما أن قطر تدعم الإخوان المسلمين، الجماعة التي تعدها بعض من دول المجلس الخليجي خطرًا على أمنها الداخلي، وهي من أبرز الأسباب التي أدت إلى مقاطعتها من قبل (السعودية، والإمارات، والبحرين)[1].

1- فراس عباس هاشم، عوامل الرعب الموجهة: السعودية واستراتيجية إخضاع طرفي الصدع، من كتاب: قطر وأزمة الخليج: عقدة الجيوبولتيك والتنافس الإقليمي، مجموعة باحثين، تحرير: ياسر عبد الحسين – علي حسين حميد، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، بيروت، 2018، ص ص190-191.

وبما أن هذه الدول ليست دول مواجهة مع إسرائيل، ولم تدخل في حربٍ معها على الإطلاق، ترى أن خطر المشروعين التركي، والإيراني، أكبر عليها من المشروع الإسرائيلي، ذلك لأنها دول ذات غالبية سنية، وتضم جزءًا كبيرًا من أبناء الطائفة الشيعية، لا سيما في البحرين، وغنية في ذات الوقت، ولا تمتلك القدرة الكافية للدفاع عن نفسها بمفردها، كما أن إيران مجاورة لهذه الدول، ولا يفصل بينهما إلا الخليج العربي، أضف إلى ذلك، تعد إيران هذه الدول مساحةً لنفوذها، فضلًا عن أن لها مطالبات تتعلق بضم البحرين لها، وتدعم شيعة هذه الدول وغيرها من الأسباب.

أما عن تركيا، فهي تدعم التيارات الإخوانية في هذه الدول، التي ترى في الإخوان خطرًا سياسيًا على استقرار أنظمتها السياسية لا سيما أنظمة (السعودية، والإمارات، والبحرين)، حتى أنها دعمت الرئيس المصري (عبد الفتاح السيسي) عندما إنقلب أيام ما كان وزيرًا للدفاع على الرئيس المصري السابق (محمد مرسي) المنتمي لجماعة الإخوان المسلمين. وكذلك يرى الأتراك في هذه الدول فرصةً اقتصاديةً كبيرةً لاقتصادها، وأيضًا يحمل توجهها بعدًا تأريخيًا – جيوسياسيًا، على اعتبار أن هذه الأراضي كانت تابعة للدولة العثمانية، لهذا فهي منطقة نفوذٍ طبيعيةٍ لهم.

ثانيًا: البعد الامني.

أدت الخلافات السياسية بطابعها الآيديولوجي إلى تزايد حجم الهوة بين أقطاب البيت العربي الخليجي، سببه الاختلاف بشأن أولوية المخاطر مما أدى إلى انقسامه، لتنتهي مسألة أن أمن دول مجلس التعاون الخليجي واحد. فاليوم السعودية، والإمارات، والبحرين في خندقٍ واحد، وقطر في خندقٍ متخذةً من تركيا قوةً إقليميةً تسند أمنها، وكذلك عمقت علاقاتها مع إيران عقب الحصار الذي فرضه عليها الثلاثي السعودي، والإماراتي، والبحريني، فضلًا عن المصري، بالتالي لم يبق لها من منفذ سوى

المنفذ الإيراني، والكويت وسلطنة عُمان تقريبًا يقفان على الحياد من الخندقين الأول، والثاني، لأن حساباتهما تختلف بشأن أولويات أمنهما، حتى أن الكويت سعت إلى عقد الصلح بين قطر والدولة المقاطعة لها، إلا أن مساعيها فشلت؛ لأن هذه الأطراف متمسكة في خياراتها، ولم تقبل بالتنازل، أما السلطنة فبحكم واقعها الجيوبوليتيكي القريب من إيران، وكذلك المطل على مضيق هرمز، بالتالي يصعب عليها تبني موقف طرف من الأطراف.

زيادةٌ على ذلك، تخشى دول مجلس التعاون الخليجي، من أطماع الدول العربية الكبيرة؛ لما تمتلكه من ثروات هائلة، وفي ذات الوقت لا تمتلك القدرة على الدفاع عن نفسها، بالتالي هي مجبرةٌ للاعتماد على الحماية الأمريكية، وتأكد لها هذا التوجه بعد احتلال العراق للكويت عام (١٩٩٠)، إذ رأت أن التهديد جاءها من الأشقاء العرب قبل غير الأشقاء.

وعليه يقع تطبيع الإمارات والبحرين مع إسرائيل ضمن هذه القراءة، وستتبعهما دولٌ أخرى كالسعودية، والبحرين، وسلطنة عُمان، وربما حتى الكويت، ولا يخفى على الغالب الأعم منا أن شهر تشرين الأول / أكتوبر من عام (٢٠١٨)، شهد زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو) لسلطنة عُمان، كما أن وزيرة الثقافة الإسرائيلية (ميري ريغيف) كانت قد زارت الإمارات في ذات العام، زيادةً على عدد من الزيارات الأخرى التي تحمل الطابع الثقافي، والاقتصادي. وأشارت الأخبار إلى أن نتنياهو زار السعودية سرًا والتقى مع ولي عهدها الأمير (محمد بن سلمان)، مما يؤكد كلامنا بشأن تسريع عملية نسج العلاقات العلنية بين دول مجلس التعاون الخليجي وإسرائيل، وهي تقع ضمن عملية التحالف ضد عدو مشترك ألا وهو إيران

لهذا إن عملية تطبيع الإمارات مع إسرائيل، مهد لها منذ أمد، ولم تكن محض صدفة، فلا صدف في السياسة، فكيف في مثل هكذا مسائل تعدها غالبية الشعوب العربية مصيرية؟!. والشيء بالشيء يذكر، إذ يتحدث الرئيس الأمريكي الأسبق (بِل كلينتون) في كتابه (حياتي)، كيف أن القيادة الإسرائيلية أيام محادثات السلام (أوسلو ١٩٩٣) مع السلطة الفلسطينية، حاولت توصيل رسائل إعلامية للرأي العام الإسرائيلي؛ تؤكد على تمسكها الصلب بمصالح دولتها، ولن تفرط بأي شيء منها، لأنها تخشى من الأطراف الإسرائيلية الداخلية، المعارضة لعقد السلام مع (ياسر عرفات)[1].

إذ كان ينبغي التمهيد إعلاميًا، وسياسيًا، وجيوسياسيًا لهذه العملية أي التطبيع بين الإمارات، وإسرائيل، حتى تكون هنالك عملية قبول شعبية، عبر توصيل رسائل من قبيل أن الخطر الإيراني أكبر من الإسرائيلي، وكذلك التركيز على النفوذ الإيراني في المنطقة وغيرها من المسائل، التي يمكنها أن تبعد الرأي العام العربي عن هكذا قضية، وكذلك تصدير فكرة أن السلام مع إسرائيل سيجلب السلام، والرخاء للعرب، كذلك أخذت بعض الجهات الإعلامية الخليجية، تصدر فكرة أن العرب هم أبناء عم مع اليهود.

ومن بين الغايات الرئيسة لهذا التطبيع، مواجهة النفوذ الإيراني ومحاصرته في المنطقة، فإسرائيل ستصبح بنفوذها في الإمارات والبحرين على مرمى حجر من إيران، وهي هنا تزاحمها على ما تعده القيادة الإيرانية مجالها الحيوي، ولهذا ندد الرئيس الإيراني (حسن روحاني) بهذا التطبيع، لإدراكه مدى الأخطار التي يشكلها على مصالح بلده.

---

[1]- بِل كلينتون، حياتي، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي – وليد شحادة، شركة الحوار الثقافي، بيروت، 2004، ص ص602-604.

أيضًا ترغب إسرائيل بأن تقول للإيرانيين مثلما أنتم قريبون منا في سوريا، ولبنان نحن أيضًا صرنا قريبون منكم، ولا يفصل بيننا إلا الخليج. وربما قريبًا يأتي الدور على سلطنة عُمان أي أنها ستطبع رسميًا مع إسرائيل، إلا أنها ربما متريثة بسبب خشيتها من إيران، ولما لها من مصالح متبادلة معها، بالتالي يتبع الإسرائيليون في الوقت الحاضر مع إيران، إستراتيجية الاحتواء، والحصار، وإحاطتها بعددٍ من العلاقات المتميزة مع الدول القريبة منها، كدول مجلس التعاون الخليجي

النتيجة النهائية من هذا التقارب، تكمن برغبة الإمارات في قيادة دول المجلس التعاون الخليجي من الناحية السياسية، والاقتصادية. ولكنها، بحاجة إلى دعم طرف إقليمي فاعل ووجدت ضالتها في إسرائيل، التي يمكنها مساعدتها، من أجل تحقيق هذا الهدف. لا سيما بعد فشلها في جنوب اليمن بسبب قوة النفوذ السعودي، والعُماني مما أدى إلى انسحاب قواتها من هناك. مع ذلك لم تزل الإمارات تطمح إلى السيطرة على البحر الاحمر لبناء قواعد اقتصادية هناك، حتى تحقق الهمينة على دول المجلس، ولا سيما هي من تطرح فكرة المشروع الفيدرالي لدول مجلس التعاون الخليجي.

أخيرًا يمكننا القول، أن هذا الانقسام الذي حدث بين دول مجلس التعاون الخليجي، شكل فرصةً جيوسياسيةً كبيرةً للقوى الإقليمية غير العربية، التي ذكرناها فيما سبق وهي (تركيا، وإيران، وإسرائيل)، من أجل أن تنفذ إلى هذه المنطقة الغنية بمواردها، والحيوية بموقعها الجيوبوليتيكي.

كما أن الولايات المتحدة الأمريكية ترغب بهذا الانقسام المحسوب، حتى تبقى هي المهيمن الرئيس الضامن لأمنها؛ إذ في حالة استمرت الوحدة الخليجية، وتطورت مستقبلًا، ربما يشكل ذلك خطرًا على مصالحها في هذه المنطقة المهمة.

وبشأن الحديث المتكرر عن المصالحة الخليجية – الخليجية، أي بين السعودية والإمارات والبحرين من جهة، وقطر من جهةٍ أخرى، فهي أيضًا تندرج ضمن المساعي الرامية إلى تعزيز استراتيجية التطبيع المتعبة من قبل إدارة ترامب الضاغطة بقوة على حلفائها العرب؛ من أجل تطبيع علاقاتها مع إسرائيل، مقابل ضمانات أمنية أمريكية تعزز أمن الدول المطبعة، وحمايتها من التهديد الإيراني

- **المطلب الخامس: قراءةٌ في كتاب "قصة إتفاق أوسلو الرواية الحقيقة الكاملة".**

الكتاب: ممدوح نوفل، قصة إتفاق أوسلو الرواية الحقيقية الكاملة.

الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع.

مكان وتأريخ النشر: عمان / 1995

عدد الصفحات: 377

بعد مرور ٢٧ عامًا على طبخة أوسلو لم ينل الفلسطينيون سوى الوهم بدلًا عن السلام والدولة.

عرج الكتاب على حدثٍ تأريخي ومفصلي مهمٍ وفارقٍ، في مسار الصراع العربي/ الفلسطيني – الإسرائيلي، وعلى المنطقة العربية برمتها. وما عزز من أهميته أن مؤلفه (ممدوح نوفل) الذي ولد عام (١٩٤٤)، وتوفي عام (٢٠٠٦)؛ له باع طويل في النضال الفلسطيني، وهو عضوٌ سابقٌ في المجلس الفلسطيني لمنظمة التحرير الفلسطينية، والمكتب السياسي لحزب فدا[1]، وكان ضمن لجنة متابعة المفاوضات مع إسرائيل، أي

[1]– ممدوح نوفل: السيرة الذاتية، استخرج في 2020/12/6، على الموقع الألكتروني: http://www.mnofal.ps/ar/

أنه يقع في صلب الحدث الفلسطيني. لهذا يعد كتابه بمثابة وثيقة تأريخية بشأن مسار أوسلو لعام (١٩٩٣)، والذي ألفه عام (١٩٩٥) أي بعد عامين من الإتفاق.

من يقرأ هذا الكتاب، سيتضح أمامه العديد من الأمور؛ ففضلًا عن أنه يعد وثيقة تأريخية، ضم في الوقت ذاته بعض الملاحق الوثائقية من أبرزها إتفاق أوسلو، ورسائل الاعتراف المتبادلة بين عرفات ورابين. وشمل ثلاثة أقسام: الأول تعلق بشأن مسار المفاوضات مع إسرائيل، من المرحلة السرية المهيئة له، وجولات التفاوض، إلى الإعلان عن إتفاق أوسلو وغيرها من الأحداث، والقسم الثاني تطرق إلى مستقبله، والثالث ضم الملاحق والمحتويات.

وحسب قراءتي له اتضحت لي أمور عدة أبرزها: إن تفكك الاتحاد السوفيتي، ودخول العراق للكويت وخروجه منها بالقوة وفرض العقوبات عليه، ووقوف ياسر عرفات بجانب صدام حسين فيما يخص اجتياحه للكويت، وانهيار النظام العربي بعد هذا الحدث، وتسيد الولايات المتحدة الأمريكية للنظام العالمي عقب تفكك الاتحاد السوفيتي، عوامل أسهمت في إضعاف القضية الفلسطينية، وأفقدتها عناصر قوتها، ورفعت عنها الغطاء الذي كان يحميها ويساندها ويدعمها سواءً أكان من الاتحاد السوفيتي على الصعيد الدولي، أو العراق على الصعيد الإقليمي.

وأضحى عرفات بعد حرب الخليج الثانية في موقف ضعف عربيًا، إذ قاطعته دول الخليج لوقوفه مع العراق، وطُرد (٣٠٠) ألف فلسطيني من الكويت، واهتزت علاقته مع الدول العربية الأخرى، وتم قطع الدعم المالي الخليجي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وبما أن العراق كان يعد الداعم الأبرز للقضية الفلسطينية، وفرض الحصار الدولي عليه، بالتالي لم يقدر على توفير هذا الدعم، وهذا ما استثمره الإسرائيليون والأمريكان للضغط على منظمة التحرير الفلسطينية، من أجل عقد إتفافية سلامٍ مع

إسرائيل ابتدأ طريقها منذ محادثات مدريد عام (١٩٩١)، ولم يجد عرفات بدًا من السير بهذا الإتجاه بعد أن حوصر من جميع الجهات.

وتمثل مسار المفاوضات السرية بين الجانبين في قناتين تفاوضيتين: قناة واشنطن، وقناة أوسلو، في الأولى حاول الطرفان تمويه الإدارة الأمريكية، واللعب على ورقة التصلب والرفض، أما القناة الثانية فهي الحقيقية، ولم يكن يعلم بها حتى الأمريكان، وهي ما كان يجري فيها البحث الحقيقي عن السلام واعتراف الجانبين ببعضهما البعض.

تخلى عرفات في أوسلو عن فكرة المقاومة، وقبوله بدويلة فلسطينية في غزة وأريحا تتمتع بالحكم الذاتي منزوعة التأثير مع استمرار حلم تحقيق الدولة الفلسطينية مستقبلًا، يُقابله الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، والاعتراف بالدولة الإسرائيلية وحقها بالوجود من قبل منظمة التحرير، وعُدل ميثاق المنظمة؛ عبر إعادة النظر بالفقرات التي تتعلق بشأن مقاومة إسرائيل وعدم الاعتراف بها.

بينما أُجلت بعض القضايا الرئيسة والمحورية المختلف عليها بشدة، حتى حين كـ (القدس، والمستوطنات الإسرائيلية، واللاجئين، والحدود) إلخ. وهذه القضايا رأينا كيف تم تجاهلها بالمطلق فيما سميت بصفقة القرن (سنتطرق ليها لاحقًا). والغريب أن الإسرائيليين ولا سيما اليمين الإسرائيلي عد ذلك تنازلًا لا يمكن القبول به!، إذ يرى هذا التيار في الأراضي الفلسطينية كافة حقًا يهوديًا خالصًا، فهي أرضهم الموعودة وميعادهم؛ لذلك لا يمكن التنازل عن قيد أنملةٍ منها لما يسمى بالشعب الفلسطيني!.

وفي ذات السياق يقول سامي نائير "وهكذا شهدنا منذ عام (١٩٤٨) وحتى اليوم انتقال رفض عملية السلام من الرفض العربي إلى آخر إسرائيلي"[1]

وكان الاتفاق مفاجئًا للعرب، إذ إتخذ عرفات قراره بعيدًا عنهم، حتى أنه صار يتهم من يعارضه من الفلسطينيين بأنهم عملاء للعرب!!. ومع ذلك لم تستطع الدول العربية المعارضة له، أن تتخذ موقفًا متشددًا منه؛ لأنها كانت تخشى من الولايات المتحدة الأمريكية، إذ بعد تفكك المعسكر السوفيتي، فقد العرب حليفًا مهمًا كانوا عبره يستطيعون المناورة ومجاراة المعسكر الغربي، لذلك استسلموا بعد الحرب الباردة للمخططات الأمريكية، حتى أن العراق كان صوته المعارض خفاتًا ويقع في دائرة رفع العتب؛ لأنه كان تحت الحصار الدولي، ولم يرغب بإثارة الأمريكان ضده أكثر مما هم غاضبون منه بسبب غزوه للكويت، وكانت جهوده منصبة باتجاه إعادة ترميم علاقاته مع البيئة الدولية، ولم تشكل له القضية الفلسطينية محورًا رئيسًا في ذلك الوقت.

أيضًا كان عرفات يهدف عبر إتفاق أوسلو إلى إنهاء عزلته السياسية والمالية التي فرضت عليه بعد حرب الخليج الثانية، والاعتراف به وبمنظمة التحرير الفلسطينية كقائد أوحد وممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، كما كان يخشى من فكرة القيادة البديلة، لهذا سارع إلى عقد هذا الإتفاق الذي وصفه بـ "سلام الشجعان."!

وبشأن المواقف الدولية، فقد سارعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الترحيب بالإتفاق، الذي عدته تطورًا مهمًا في مسار السلام في منطقة الشرق الأوسط، وحرصت على أن يكون التوقيع على أرضها، إذ حاولت إيصال رسالة للعالم بأنها الراعي الرسمي له، إلا أنه في حقيقة الأمر لم يكن لها ذلك التأثير عليه، ودورها كان إعلاميًا بامتياز، كما أنها أضفت عليه شرعية الطرف المهيمن القوي.

---

[1] - سامي نائير، الإمبراطورية في مواجهة التنوع، الفارابي، بيروت، 2006، ص202.

بتصوري إن ضعف الدور الأمريكي في أوسلو؛ سببه الرئيس في أن الإتفاق عقد سريًا من دون علم الأمريكان، إذ لم يشاركوا في المفاوضات ولا عملية تحديد مواد الإتفاق، ولا في كيفية وضع آليات تطبيقه وغيرها من التفاصيل. لكن، وبما أن الأمر يتعلق بإسرائيل، فلم ترَ الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الجزئية مشكلةً حقيقيةً، وأيضًا سارت روسيا الاتحادية في ذات المركب المؤيد لأوسلو، لضمان الحصول على الدعم الاقتصادي الأمريكي لها، فضلًا عن ذلك لا يمكن لنا أن نغفل الدور المهم للنرويج، التي هيأت لعقد المفاوضات واستضافتها على أرضها، وتوسطت بين المنظمة الفلسطينية وإسرائيل، وكانت لوساطتها والترتيبات السرية التي عملت عليها، دورًا رئيسًا أسهم في إنجاح الوصول إلى عقد إتفافية أوسلو.

وبعد مرور ٢٧ عامًا على هذا الإتفاق، نجد أن لا شيء تحقق منه، بل إن الواقع الفلسطيني ازداد سوءًا، ولم يتحصل الفلسطينيون على دولتهم التي حلموا بها، وتنصلت إسرائيل كعادتها عن وعودها لهم على الرغم من ضآلتها.

وباعتقادي إن أي إتفاق بين دولتين لا يعقد من منطلق قوةٍ، أو تكافئ في القوة؛ فهو عبارةٌ عن عمليةٍ عبثيةٍ بالنسبة للطرف الضعيف، وكان أسلو انتصارًا وهميًا لا حقيقيًا كما تصوره أبو عمار. فهو يعتقد أن بتقبيل اللحى ستوافق إسرائيل على قيام الدولة الفلسطينية، وبالتأكيد إن هذا التغول الإسرائيلي يتكأ على دعم الولايات المتحدة الأمريكية اللامشروط لإسرائيل. ولعل حادثة اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحاق رابين على يد متشددٍ إسرائيليٍ، تعد المثال الأدق المعبر عن فشل سلام أوسلو.

- **المطلب السادس: الأبعاد الجيوسياسية لصفقة القرن.**

تقع صفقة القرن(*) التي أعلن الرئيس الأمريكي السابق (دونالد ترامب) عن الشق السياسي منها في 28 كانون الثاني / يناير 2020، بينما أُعلن عن المسار الاقتصادي قبل ثمانية أشهر في شهر حزيران / يونيو 2019 في البحرين، ضمن مسار العديد من المشاريع التي تم تبنيها من قبل الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ قيام إسرائيل الراغبة بإيجاد تسوية ما، تؤدي إلى تصفية القضية الفلسطينية، أو الصراع العربي الإسرائيلي، وأضحى هذا الأمر كالعرف السياسي تتبعه الإدارات الأمريكية بمختلف توجهاتها سواءٌ أكانت جمهورية، أم ديمقراطية، إذ أن كل إدارة جديدة تحاول أن تحل هذه المسألة وتسجل اسمها في سجل البحث عن حلٍ لها، وبما لا يخالف الرؤية الإسرائيلية، وتكون داعمة في ذات الوقت للمسارات الأخرى التي قد تكون بعيدةً عنها نوعًا ما: كمسار أوسلو، أو وادي عربة. إلا أن خطورة صفقة القرن تتمثل في أنها حاولت القضاء على ما كان متفقٌ عليه من حلٍ مفترضٍ لهذا الصراع بين مختلف الرؤساء الأمريكان، القائم على أساس حل الدولتين على الرغم من الانحياز الأمريكي الواضح لإسرائيل، بمعنى أكثر إن هذه الصفقة لا تضم بين ثناياها أية مؤشرات على وجود دولة فلسطينية مستقلة، أي أن حل الدولتين قد انتهى ضمنها وأن السلام سيكون مقابل السلام فقط ولن تتنازل إسرائيل عن شبرٍ واحدٍ مما تعدها أراضيها التأريخية والمقدسة، هذا الإنقلاب

---

* – صفقة القرن: طُرحت في عام 2008، تحت عنوان "إعادة التفكير في حل الدولتين" من قبل مستشار الأمن القومي الإسرائيلي الأسبق الجنرال (جيورا إيلاند) في دراسة له تحت عنوان "إعادة التفكير في حل الدولتين"، والذي أصبح فيما بعد مستشارًا استراتيجيًا في الولايات المتحدة الأمريكية، بالتالي هي ليست وليدة اليوم، ولا من بنات أفكار الرئيس الأمريكي السابق (دونالد ترامب) الذي تبناها بكل قوة، ومعه رئيس وزراء إسرائيل (بنيامين نتنياهو). باختصار يرى إيلاند أن حل الدولتين لم يعد بالإمكان تطبيقه معللًا ذلك بأن الأراضي الواقعة بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط صغير للغاية بالنسبة لدولتين قابلتين للحياة، وأكد إن الحل لن يتم إلا بإدخال الدول العربية كأطراف مستفيدة من التسوية... للمزيد ينظر: عامر عبد المنعم، الخاسرون والرابحون في صفقة القرن، المعهد المصري للدراسات، إسطنبول، 2018، ص ص2-5.

في التوجه الأمريكي قام على يد الرئيس ترامب وبالتوافق والتماهي التام مع رئيس الوزراء الإسرائيلي (بنيامين نتنياهو)، واليمين الإسرائيلي المتطرف[1].

ومُهد لصفقة القرن عبر عدد من الخطوات الجذرية التي اتخذتها إدارة ترامب تمثلت في: نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، وهذا القرار هو بالأساس كان تطبيقًا لقرار الكونغرس الأمريكي لعام 1995، القاضي بالاعتراف بالقدس عاصمةً لإسرائيل، وأعطى القرار صلاحية للرئيس بتمديد مهلة تطبيقه لستة أشهر، وهكذا ظل الرؤساء الأمريكان يؤجلون تطبيقه حتى جاء ترامب ليضعه موضع التنفيذ، والخطوة الأخرى تم قطع المساعدات الأمريكية لمنظمة الأونروا، وطرد بعثة منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن، ورأت هذه الإدارة أن المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية لا تعد انتهاكًا للقانون الدولي[2]. وبذلك خالف ترامب وبالتوافق مع نتنياهو كل القرارات الدولية، والتسويات الإقليمية المتعلقة بالقضية الفلسطينية، مستثمرًا حالة الضعف العربي الكبير، وتحول أنظار غالبية الدول العربية نحو أخطارٍ أخرى وأولويات مختلفة لا تشكل فيها هذه القضية أدنى أهمية، منها على سبيل المثال دول مجلس التعاون الخليجي، التي سارت في مركب التطبيع العلني مع إسرائيل، وكان ترامب يبحث عن تعزيز فرصته في الفوز في ولاية رئاسية ثانية، إلا أن كل ذلك لم يخدمه إذ خسر الانتخابات أمام منافسه من الحزب الديمقراطي (جو بايدن) ، فالقضايا الداخلية الأمريكية كانت لها الأولوية بالنسبة للناخب الأمريكي، لا سيما فيما يتعلق بشأن أزمة كورونا.

---

[1]- عزمي بشارة، صفقة ترامب – نتنياهو: الطريق إلى النص، ومنه إلى الإجابة عن سؤال ما العمل؟، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2020، ص ص9-17

[2]- عزمي بشارة، مصدر سبق ذكره، ص ص38-39

مقابل ذلك منحت هذه الصفقة الفلسطينيون دولةٌ ذاتية مفترضة، وهي دولة أوهام إذا صح الوصف، ومجرد رفع للعتب عن إسرائيل، ولو عدنا إلى قراءتها لوجدناها أنها عبارة عن أوشفيتزات عنصرية، تسيطر عليها إسرائيل برًا وبحرًا وجوًا، وستمنح لهم هذه الدولة بعد قائمة من الشروط الإسرائيلية على الفلسطينيين تنفيذها أبرزها: تجريد حركة حماس من سلاحها، والتنازل عن حق عودة اللاجئين، ومحاربة الإرهاب، والاعتراف بيهودية الدولة، وبالقدس عاصمتها الأبدية وغيرها من الشروط التعجيزية[1]. وبتقديري حتى لو وافق الفلسطينيون عليها، فإن الإسرائيليون سوف يختلقون أعذارًا أخرى يتخذونها حجة تمنعهم من قيام دولة فلسطينية ولو في عالم الخيال؛ لأن ذلك يعد تهديدًا وجوديًا لدولتهم، وهذا باعتراف قادتهم أبرزهم رئيس الوزراء نتنياهو.

وفي السياق ذاته تضمنت الخطة ما عدته فوائد اقتصادية كبيرة للدول العربية وإسرائيل، وهي برأيي أشبه بخارطة الشرق الأوسط الجديد التي طرحها في الماضي الرئيس الإسرائيلي (شيمون بيريز)، وعليه تريد صفقة القرن إدماج الدولة الإسرائيلية فعليًا ضمن المنطقة أكان ذلك بالرضا أو الإكراه[2]. والغاية من التسويق الاستراتيجي لهذه الفوائد؛ الحصول على تأييد الدول العربية التي تعاني من أزمات اقتصادية عديدة، بالتالي طُرحت الصفقة وكأنها حلٌ لهذه المشكلات

كان الإعلان عن التطبيع بين الإمارات، والبحرين من جهة، وإسرائيل من جهةٍ أخرى، وأيضًا قد تكون هنالك دول أخرى من بين أعضاء مجلس التعاون الخليجي ستنظم إلى هذا المسار، لا سيما وأن الممهدات لذلك موجودة (تحدثنا عن ذلك بشكلٍ مستفيضٍ في محورٍ سابقٍ)، فضلًا عن بقية الدول العربية كالسودان، والمملكة

---

[1]- صفقة القرن: اقتلاع ركائز حل الدولتين، تقدير موقف، مركز الجزيرة للدراسات، 30 كانون الثاني 2020، ص2.

[2]- للمزيد ينظر: عامر عبد المنعم، مصدر سبق ذكره، ص ص10-14.

المغربية التي طبعت بالفعل. بالتالي كل الأمور تقريبًا تجري وفقًا لما تبتغيه الاستراتيجية الإسرائيلية وبدعم لا محدود من الولايات المتحدة الأمريكية، فـ "إسرائيل تعيش زهوًا استراتيجيًا غير مسبوق في تأريخ صراعها مع العرب، فالدول تنهار، وجيوشها تتفكك، والصراعات الأهلية والبينية الإقليمية تزداد، والتناقضات الاستراتيجية بين دول المنطقة تصب في صالح إسرائيل"[1].

زيادةٌ على ذلك باتت كل دولة عربية تفكر في مصالحها السياسية الخاصة، بمنأى عن القضية الفلسطينية وما إذا كانت سياساتها تتعارض مع مصالح الشعب الفلسطيني، فمثلًا دول مثل الإمارات والبحرين يريان في الخطر الإيراني، والحركات السياسية الإسلامية كحركة الإخوان المسلمين التهديد الأبرز لهما، والمملكة المغربية ترغب بإنهاء ورقة الصحراء الغربية، وأن يكون لها دور بارز في شمال أفريقيا خاصةً، والقارة الأفريقية على وجه العموم، ولكن، هذه الرغبة تصطدم بالعقبة الجزائرية، ولهذا تهدف عبر تحالفها مع إسرائيل إلى ترجيح كفة توازن القوى في منطقتها إلى صالحها.

ومن التحولات الرئيسة في مسار القضية الفلسطينية التي أفرزتها صفقة القرن، إنقلاب الاستراتيجية الإسرائيلية من البحث عن الحل مع الطرف المباشر المعني بالقضية وهم الشعب الفلسطيني، إلى حلها عبر التوافق مع الدول العربية، أي عبر طرح التسوية الإقليمية كمفتاح لأي حل مع الفلسطينيين، وهو بذات الوقت سيؤدي إلى تهميشها، ويعزز علاقات إسرائيل بالدول العربية، وينقلها من مرحلة العزلة الإقليمية إلى الانفتاح على المنطقة[2]. فضلًا عن محاصرة الفلسطينيين في دائرة ضيقة للغاية، يصعب عليهم عبرها المناورة لحفظ حقوقهم ولو بحدها الأدنى، ومعنى ذلك أن إسرائيل بتسويتها

---

[1]- مهند مصطفى، إسرائيل والبيئة الإقليمية: التحولات الاستراتيجية والحالة الفلسطينية، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية (مسارات)، غزة، 2016، ص22.

[2]- مهند مصطفى، مصدر سبق ذكره، ص ص39-40.

الإقليمية مع الدول العربية، عملت على تجريد القضية الفلسطينية من عوامل قوتها، باعتبار أن العرب في يوم ما كانوا وضعوا هذه القضية في أعلى سُلم أولوياتهم.

لكن يبقى السؤال الأهم: هل أن هذه الصفقة ستسيسر في طريقها من دون عقبات؟، حسب توقعي فإنها ستواجه العديد من العقبات التي من الممكن أن تتسبب في إفشالها أبرزها:

1. رفض الفلسطينيين وهم الطرف المعني بها، على الرغم من الخلافات السياسية بين الحركات السياسية والجهادية الفلسطينية؛ وذلك لأنها لم تضع في الحسبان حقوق الشعب الفلسطيني وعلى رأسها حقهم في إقامة دولتهم المستقلة، وهذا الرفض يشكل عقبة رئيسة أمامها.
2. الرفض الشعبي العربي لها بغالبية كبيرة، فضلًا عن عدد من الدول العربية كالعراق، والجزائر، وتونس، وسوريا، ولبنان، الدول التي عبرت رسميًا عن رفضها لها.
3. رفضها من قبل بعض القوى الإقليمية والدولية أبرزهم: روسيا الاتحادية، والصين، والاتحاد الأوربي، وإيران، وتركيا؛ لأنها تؤدي إلى تضرر مصالحهم الاستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط، لصالح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها.
4. ستستثمر الحركات السياسية والجهادية الفلسطينية، وعلى رأسها حركتا فتح، وحماس هذا الرفض؛ من أجل تقوية موقفهم الاستراتيجي إزاء الضغط الكبير الذي تتعرض له قضيتهم من قبل معكسر الولايات المتحدة الأمريكية.

لذلك يمكن للقوى الإقليمية والدولية الرافضة لهذه الصفقة أن تستثمر هذا الوضع؛ من أجل النفاذ إلى المنطقة، فروسيا ترغب بإضعاف الدور الأمريكي فيها، والصين

لديها مشروع الحزام والطريق (طريق الحرير الجديد)، وإيران لديها مشروع أم القرى، وتركيا العثمانية الجديدة، لذلك كل طرف لن يرضى بأن تميل كفة توازن القوى لصالح دولة أو محور معين، والاتحاد الأوربي لا يريد أن يكون مجرد ظل للولايات المتحدة الأمريكية، ولدوله مصالحها الخاصة الراغبة بتحقيقها على رأسها فرنسا وألمانيا، وقد تتقاطع مع الرؤية الأمريكية في الشرق الأوسط. بالتالي لن يقبل أي طرف أن تمر الصفقة على حساب مصالحه الاستراتيجية، وعليه سيعمل على إفشالها.

محركات الصراع فوق الجيوبولتيكيا السورية.

تعد سوريا من بين إحدى الدول المحورية في منطقة الشرق الأوسط، نظرًا لموقعها الجغرافي المطل على البحر الأبيض المتوسط، ومحاذاتها لإسرائيل، وتعد ممرًا ومعبرًا مهمًا للطاقة، ولديها إرثت تأريخي مهم، وأنها أكبر دول الشام. هذا وغيره جعلها في حالة حربٍ مستمرةٍ لقرابة عقد من الزمن، أطرافها إقليمية ودولية، وكل طرفٍ له غاياته التي دفعته للخوض في صراع الفيلة على الأرض السورية، وبناءً على ما تقدم سنتطرق عبر هذا المبحث إلى مطلبين: الأول عن الصراع على مسارات نقل الطاقة، والثاني بشأن الموقف الأمريكي من الصراع في سوريا.

- **المطلب الأول: الصراع على مسارات نقل الطاقة.**

تعيش سوريا منذ سنة (2011)، إن لم أكن مبالغًا على وقع حربٍ ضروس ، تعرضت فيها لتدمير شبه تام، وباتت ساحةً لتصفية الحسابات الإقليمية، والدولية، فمن لديه موقف من دولة معينة، فالساحة السورية هي الحلبة لهذا الصراع، وباتت الرقعة التي تسوى فوقها المعادلات الاستراتيجية الحاكمة لمنطقة الشرق الأوسط، ولم تقتصر تأثيراتها على هذه المنطقة الإقليمية؛ بل اردت نتائجها أو عواصفها على القارة الأوربية، وشمال إفريقيا. ومن بين أقوى هذه المعادلات إن لم تكن أقواها هي: المعادلة الروسية؛ التي تعد سوريا بالنسبة لها رقعةً جيوبوليتيكةً لا يمكن المساومة عليها، أو

التنازل عنها. وفي سبيل ذلك وقفت أمام كل المشاريع المناوئة لمصالحها على الأراضي السورية، كالمشروع الأمريكي، وحلفائه. ولهذا الموقف الروسي ما يبرره من النواحي السياسيةِ، والاقتصاديةِ، والعسكريةِ[1].

إذ أن الروس كان تدخلهم في سوريا، بدوافع مصلحية تقتضيها المصلحة القومية الروسية، التي ترتبط مع الجغرافيا السورية بمصالح متعددة. فإذا ما تحدثنا عن الجانب الجيوستراتيجي، سنجد أن روسيا الاتحادية تنظر إلى سوريا، باعتبارها المنفذ الوحيد لها في البحر الأبيض المتوسط، وتحديدًا في طرطوس السورية، التي تتواجد فيها قاعدتها العسكرية، وأية خسارة لهذا الموقع الحيوي، سيعني لها خسارةً كبيرةً، معناها فقدانها إمكانية التواجد في المياه الدافئة، التي كانت من المحاور الرئيس التي انشغل بها التفكير الإستراتيجي الروسي، وهذا ليس وليد الوقت المعاصر؛ وإنما الأمر له جذور تأريخية تعود إلى عهد القياصرة[2].

لترتبط هذه الرؤية الإستراتيجية حيال سوريا مع الجانب السياسي المتمثل بدعم حليفها الرئيس السوري (بشار الأسد)، وكذلك مع البعد المهم للغاية ذلك الذي يخص الطاقة؛ إذ تعد سوريا ممرًا مهمًا للطاقة، وهو ما يُعد خطرًا على المصالح الروسية، كيف هذا؟، وذلك في حالة فقدان الروس لنفوذهم فيها، المتمثل بسيطرة قوة أخرى كأن تكون الولايات المتحدة الأمريكية، المنافس الأخطر على روسيا. وكيف تفقد هذا النفوذ؟، تفقده في حالة سقوط النظام السوري، الذي عملت القوى المناهضة له سواءً الداخلية "المعارضة السورية"، أم الخارجية "الأمريكان وحلفائهم"، على التحالف من

1- ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا: من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013، ص304.

2- وسيم خليل قلعجية، روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، قد له: سيرغي لافروف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2016، ص ص332-333.

أجل إسقاط نظامه، وهو ما يعد خطرًا كبيرًا بالنسبة للروس، ولذلك بذلوا الغال والنفيس من أجل عدم حدوث هذا الأمر[1].

وبالعودة إلى البعد الطاقوي، فكما ذكرنا تعد سوريا ممرًا مهمًا للطاقة، مما أدى إلى تزاحم الرؤى الإستراتيجية الدولية، والإقليمية، تلك التي تتعلق بمشاريع نقل الطاقة، ولا سيما الغاز الطبيعي، وأبرز هذه المشاريع:[2]

1. المشروع الإيراني: الهادف إلى وصول خط نقل الغاز الطبيعي الإيراني إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، ومن ثم وصوله إلى القارة الأوربية "سوق الاستهلاك"، عبر المرور بالعراق، ومن ثم سوريا، ولبنان.
2. المشروع القطري: وهذا من المشاريع الطاقوية الأخرى التي تشكل خطرًا على المصالح الروسية فيما يخص هذا الجانب، وهو أيضًا يهدف إلى الوصول إلى القارة الأوربية عبر تحقيق هدف الوصول إلى أوربا، عبر المرور بالسعودية، والأردن، ومن ثم سوريا، وتركيا.

وفي الظاهر، وإن كان هنالك توافقًا روسيًا – إيرانيًا حول الوضع السوري، بيد أنهم يختلفون من الناحية الإستراتيجية، فروسيا تعد إيران مهددًا لمصالحها الطاقوية، والإستراتيجية في سوريا، ومن ثم فإن إيران ترى في روسيا مزاحمًا إستراتيجيًا لها في سوريا، إلا أن ما جمعهم هو التوافق حول ضرورة عدم سقوط (بشار الأسد)؛ باعتباره حليفًا لكلا الدولتين، وكذلك على اعتبار أن المنافسين هم بالضد من كلتا الدولتين[3].

---

[1]– نيكتا سوغولوف، الأهداف الطاقوية لروسيا في سوريا، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 30 آب 2017، تاريخ الزيارة 2019/12/23، على الموقع الإلكتروني:

https://www.washingtoninstitute.org/

[2]– المصدر نفسه.

[3]– نيكتا سوغولوف، مصدر سبق ذكره.

وعلى الرغم من ذلك فإن توافقًا إيرانيًا – قطريًا، نشأ عقب الأزمة التي نشبت بين قطر، والدول الأربعة (المملكة العربية السعودية، مصر، البحرين، الإمارات العربية المتحدة)، التي عملت على فرض الحصار على قطر، مما أدى إلى تغير الرؤية القطرية نوعًا ما حيال سوريا، بعد إن كانت تقف بالضد من المعسكر الروسي – الإيراني، وسبب ذلك أن إيران كانت المنفذ الوحيد لها نحو العالم الخارجي[1]، ولا نريد التوسع في هذه المسألة؛ لأنها ليست من متبنيات بحثنا هذا.

ويأتي التدخل الروسي في سوريا، بناءً على الرؤية الروسية التي ترى أن العالم يعيش على وقع الصراع على موارد الطاقة، ومناطق تركزها، التي تسعى الدول كافة إلى تأمينها، والتحكم بها، إما عبر السيطرة على منابعها كما في حالة الولايات المتحدة الأمريكية، أو العمل على عدم ظهور منافسين يهددون مكتسبات دول طاقوية أخرى، وهو مل تعمل عليه روسيا الاتحادية، الذي حمل تدخلها في سوريا أبعادًا طاقوية مهمة، تهدف إلى الحيلولة دون قيام مشاريع لنقل الطاقة، ولا سيما الغاز الطبيعي، مما يهدد السوق الأوربية، التي تعد سوقًا استهلاكيةً كبيرةً للطاقة الروسية، ومن ضمنها المشروع الإيراني!، إذ تعد إيران في الظاهر حليفًا للروس، وأن هنالك توافقًا بينهما حول سوريا؛ إلا أن الروس يرون عكس ذلك تمامًا، فهم يعدون إيران خطرًا كبيرًا على مصالحهم الحيوية في سوريا، لذلك لن يسمحوا لها بتهديد هذه المصالح، وإن اتفقوا معًا على ضرورة عدم سقوط (بشار الأسد)[2].

---

[1]– علي فارس حميد، قطر والخليج المضطرب: محنة الذات وعقدة الجيوبوليتيك، من كتاب: قطر وأزمة الخليج: عقدة الجيوبوليتيك والتنافس الإقليمي، مصدر سبق ذكره، ص ص47-48.

[2]– أميرة أحمد حرزلي، استراتيجية أمن الطاقة الروسية بشرق المتوسط في ظل التهديدات الأمنية بعد عام 2011، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، 9 مايو 2018، تاريخ الزيارة 2019/12/23، على الموقع الإلكتروني:

https://democraticac.de/?p=53952

- **المطلب الثاني: الموقف الأمريكي من الصراع في سوريا.**

يمثل الموقف الأمريكي وحلفائه الضد النوعي، للمعسكر الروسي وحليفته إيران وبقية الأطراف المنضوية ضمنه كحزب الله اللبناني وبعض الأطراف العراقية غير الرسمية، ولعل أبرز ما يحرك الاستراتيجية الأمريكية حيال سوريا هو: الأمن الإسرائيلي، وضرب النفوذ الروسي فيها، ومحاولة السيطرة على مسارات نقل الطاقة فيها بما يضمن المصلحة الأمريكية، وإبعاد سوريا عن سياساتها المضادة لإسرائيل والنفوذ الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، وبما أنها متحالفة مع روسيا، فإن إسقاط النظام السوري، سيحقق أكثر من هدف في آن واحد مثل: إنهاء النفوذ الروسي، الأمر الذي يزيد من العزلة الروسية، ويضمن قدر الإمكان عدم رجوعها مستقبلًا لتمترس دورًا عالميًا قد يهدد المكانة الأمريكية، فضلًا عن العمل على ضمان قيام نظام سياسي حليف لها، أو على الأقل لا يقف بالضد من مصالحها في الشرق الأوسط.

وفي سياقٍ متصلٍ أعلن الرئيس الأميركي السابق (دونالد ترامب) في (2018/12/19)، وكخطوةٍ مفاجئةٍ وغير متوقعة حينها، سحب قوات بلاده المتواجدة في سوريا، بعد ما عده انتفاء شرط تواجدها المتمثل بالقضاء على تنظيم (داعش)، وهو الشرط الوحيد الذي تواجدت من أجله القوات الأميركية في سوريا. أثار هذا القرار ردود أفعال عديدة معارضةً له، سواءٌ على الصعيد الداخلي والذي كان أبرزه استقالة وزير الدفاع الأمريكي (جيمس ماتيس)، إذ رأى بأنه سيؤدي إلى زعزعة ثقة الحلفاء ببلاده في المنطقة العربية فضلًا عن الكرد؛ بسبب ما يرونه من مواقف أمريكية غير مهتمة بمصالحهم وأمنهم، وأبرز المتضررين من القرار: قوات سوريا الديمقراطية (قسد) الكردية، إذ كانت هذه الخطوة بمثابة "طعنة في الظهر" بالنسبة لها إذا ما جاز

لنا الوصف. وبتزايد حجم الضغوط الداخلية والخارجية على ترامب قرر التراجع عن قراره هذا.

إلا أننا إذا ما أردنا التعمق في دوافع هذا القرار، علينا الرجوع قبل كل شيء إلى الشعار الذي رفعه ترامب وهو "أمريكا أولاً"، الذي يلخص به نهج إدارته، بالتالي فهو في أي تحرك على الصعيد الخارجي إنطلق من هذا الشعار. وأول من نادى بهذا الشعار رئيس تحرير مجلة Foreign Affairs (ويليام هايلاند)، ذلك في عام (1991)، إذ رأى أن بلاده إذا ما أرادت بناء نظام عالمي جديد بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، ((فإن المكان الأول لتحقيق هذا الهدف هو الداخل عبر "وضع أمريكا أولاً"))[1]. وهذا ما سار عليه اليمين الأمريكي، الذي يعد ترامب من أنصاره، وعليه فإن أي قرار إتخذه إنطلق من هذه القاعدة، بالتالي يمكن القول إن إعلانه سحب قوات بلاده من سوريا راجع إلى جملة أسباب داخلية، وخارجية، وهنا سأركز على الجانب الخارجي تحديدًا؛ لعلاقة ذلك بموضوع دراستنا هذه.

ليس غريبًا أبدًا قرار ترامب هذا على الإطلاق، فإذا ما رجعنا إلى استراتيجيته للأمن القومي سيتأكد لنا دوافعه التي دفعته لاتخاذه، وإن كان بطريقةٍ غير مباشرةٍ نستشفها من بين ثناياها، فالولايات المتحدة الأمريكية حددت أبرز المخاطر المحدقة بها على الصعيد الخارجي بخطرين هما: خطر الصعود الصيني، وكذلك عودة روسيا، فإذا كانت الصين منافسها على الصعيد الاقتصادي، وكذلك ما تعده سرقةً يمارسها التنين الصيني بحق الابتكارات الأمريكية، فروسيا منافستها على الصعيد السياسي، والاستراتيجي، وقد تأكد لها ذلك بعد تدخلها في أوكرانيا وضمها لجزيرة القرم عام

---

[1] – نقلاً عن: يحيى سعيد قاعود–علا عامر الجعب، وثيقة الأمن القومي الأمريكي (2017) قراءة تحليلية في استراتيجية ترامب، قراءات استراتيجية، العدد العشرون، السنة العاشرة، مركز التخطيط الفلسطيني، منظمة التحرير الفلسطينية، أبريل (2018)، ص92.

(2015)، وقبلها في جورجيا عام (2008)، فضلاً عن تدخلها العسكري المباشر في سوريا دعمًا لحليفها الرئيس السوري (بشار الأسد)، هذا من غير الجهود الرامية التي تقودها كل من روسيا، والصين، وهدفها تعديل قواعد اللعب الحاكمة للنظام الدولي القائمة منذ نهاية الحرب الباردة على أساس الأحادية القطبية الأمريكية، والذهاب باتجاه تعدد الأقطاب[1]، مما يعني تهديدًا حقيقيًا للزعامة الأمريكية العالمية، أمام كل هذه المخاطر بالتأكيد لن تقف الولايات المتحدة الأميركية مكتوفة الأيدي، ولديها العديد من الأوراق القوية التي يمكن لها استخدامها للحد من تنامي هذه التحديات.

لذلك إن إعلان ترامب سحب قواته من سوريا لم يكن من فراغ؛ بل هو في الحقيقة من أجل التفرغ لهذين الخطرين، ولا سيما الخطر الصيني، إذ أراد تركيز جهوده صوب منطقة شرق آسيا، أو ما تسمى بمنطقة بحر الباسفيك، والمحيط الهادئ عمومًا، مع إعطاء دور أكبر لشركاء وحلفاء الولايات المتحدة الأميركية في منطقتنا، كتركيا، والمملكة العربية السعودية، وإسرائيل، من أجل الاضطلاع بمهمة حلحلة مشكلات الشرق الأوسط، دون أن تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية بنفسها مباشرة إلا للضرورة القصوى، وما عليها إلا توفير الدعم لهم سواء سياسيًا، أم عسكريًا، وهذا ما يؤكد عليه ترامب دائمًا، إذ يدعو على الدوام حلفاء بلاده إلى تحمل المزيد من المسؤوليات، والأعباء الدولية معها، فهي ليست راكبًا مجانيًا.

وكانت أولى خطوات ترامب التصعيدية اتجاه الصين هي: فرض المزيد من الرسوم الكمركية على البضائع الصينية الداخلة لبلاده، بغية تقليل عجز الميزان التجاري الذي بين البلدين، والذي تميل كفته لصالح الصين، إذ بلغت قيمة حجم الصادرات الصينية

1- ألكسندر دوغين، أسس الجيوبولتيكا: مستقبل روسيا الجيوبولتيكي، ترجمة وتقديم: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص261.

إلى الولايـات المتحـدة الأميركيـة لعـام (2017) (505,470) مليـار دولار، بينمـا الصادرات الأميركية إلى الصين بلغت (129,893) مليار دولار، مما يعني أن الميزان التجاري بينهما يميل لصالح الصين، بفارقًا كبيرًا مقداره (375,5) مليار دولار، ووصل حجم تلك الرسوم على الصين التي فرضها ترامب إلى (200) مليار دولار[1]، كذلك الوقوف ضد ما أسمته الولايات المتحدة الأمريكية، السرقة التي تمارسها الصين بحق ابتكاراتها، إن هذه الأسباب وغيرها، تخفي ورائها حقيقة الخشية الأميركية من النهوض الصيني السريع واثق الخطوات، فالصين اليوم هي القطب الثاني عالميًا على المستوى الاقتصادي، وما هي إلا سنوات قلال إذا ما استمرت على هذه الوتيرة، حتى تصبح في المرتبة الأولى عالميًا اقتصاديًا على الأقل، مما يعني عمليًا إزاحة القطب الأميركي عن عرينه، الذي تسيده منذ الحرب العالمية الثانية.

لذلك تهدف الولايات المتحدة الأميركية ترشيد أعبائها الدولية، وتحميل الشركاء والحلفاء المزيد من المسؤوليات للتفرغ للتحديات الدولية الأكثر أهمية من تواجدها في سوريا، والذي يمكن ملؤه من قبل الحليف التركي، أو حتى الأكراد، بالتالي لم يبتعد ترامب كثيرًا عن استراتيجية سلفه الرئيس الأسبق (باراك أوباما)، وأيضًا هدفت إلى إعطاء الحلفاء المزيد من المسؤوليات الدولية، وربما يعد تدخل حلف شمال الأطلسي في ليبيا عام (2011) أبرز مثال على ذلك، إذ يعي الأمريكان أن العالم أكبر وأعقد من أن تتكفل بمسؤولياته لوحدها، وتأكد لهم ذلك بعد احتلالهم للعراق في عام (2003).

1- غولبين يلدريم: أمريكا تبحث عن خفض العجز التجاري "الضخم" مع الصين، وكالة الأناضول، 2018/6/26، على الموقع الإلكتروني:

www.aa.com.tr/ar/1186327

المؤلفون.

د. اسامة عدنان يحيى.

استاذ متخصص في تاريخ الشرق الادنى القديم، وباحث مهتم في تاريخ الاديان والتاريخ المقارن، حصل على درجة الماجستير من جامعة بغداد عام 2003 عن رسالته الموسومة: "بابل في العصر الاخميني 539-331 قبل الميلاد"؛ وعلى درجة الدكتوراه من جامعة بغداد عام 2007 عن اطروحته الموسومة: "الآلهة في رؤية الانسان العراقي القديم: دراسة في الاساطير"، يعمل حالياً استاذاً لتاريخ العراق والشرق الادنى القديم في كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية. له عدد من الابحاث في تاريخ الشرق القديم والاديان والتاريخ المقارن، ابرزها: بلاد اشور في عصر فجر السلالات عام 2010؛ الشرق الادنى تحت حكم الاسكندر المقدوني عام 2010؛ التكوين السكاني في ايران القديمة عام 2010؛ المرض ومسبباته في بلاد الرافدين القديمة عام 2010؛ مقارنة بين نماذج من ادب وادي الرافدين مع النصوص الانجيلية والفارسية عام 2011؛ الطقوس السحرية ودورها في العلاج: دراسة مقارنة في الحضارات القديمة عام 2011؛ علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة: الكتابات اليهودية والمسيحية انموذجاً عام 2011؛ العفاريت والأرواح الشريرة واشباح الموتى ودورها في ديانة بلاد الرافدين عام 2012؛ العقاقير والادوات والقوى السحرية ودورها في العلاج: دراسة في معتقدات وحضارات الشرق الادنى القديم والحضارات الكلاسيكية عام 2013؛ معتقدات شعبية لها جذورها في التاريخ عام 2015؛ القربان والسياسية والحرب في الشرق القديم عام 2017؛ الإنسان والآلهة: عالم مفتوح واتصال متبادل(مشترك) عام 2019. له عدد من المؤلفات هي: تاريخ الشرق الادنى القديم: دراسات وابحاث عام 2015؛ الديانة الزرادشتية: ملاحظات واراء عام 2016؛ السحر والطب في الحضارات القديمة: دراسة تاريخية مقارنة 2016؛ السوما-الهاوما والسيد المسيح: نظرة في معتقدات شرقية قديمة عام 2017؛ الطقوس اليهودية: قراءة في العهد القديم عام 2018؛ القوائم الملكية والتاريخية في بلاد الرافدين عام 2019؛ عالم الاموات: اسرار العلاقة بين الموتى

والاحياء عام 2019؛ تاريخ روسيا الديني: من الوثنية الى المسيحية(مشترك) عام 2019؛ من تاريخ شعوب الشرق الادنى القديم(مشترك) عام 2020؛ لمحات من تاريخ بلاد الرافدين(مشترك) عام 2020؛ الشرق الساحر عام 2021؛ التاريخ الامريكي: نماذج بحثية(هذا الكتاب).

د. اسراء حسن فاضل.

استاذ دكتور في التاريخ الاسلامي، حاصلة على درجة الماجستير عام 1999 عن رسالتها الموسومة: "دور المرأة السياسي حتى نهاية العصر الاموي"؛ وحاصلة على درجة الدكتوراه عن اطروحتها الموسومة: "كتاب التاريخ لابي بكر عبد الله بن ابراهيم الكوفي المعروف بابن ابي شيبة (159هـ-235هـ)/(775م-849م): دراسة وتحقيق. لديها عدداً من الدراسات والابحاث ابرزها: المرقال(هاشم بن عتبه) ودوره في الفتوحات العربية الاسلامية عام 2007؛ أمراء الرسول (صلى الله عليه وسلم) على المدينة المنورة عام 2007؛ الخليفة الرشيد والشماخ ونهاية ادريس الاول عام 2008؛ مسؤولية المتعلم في تحصيل العلم عند الزرنوجي(بحث مشترك) عام 2009م؛ رحلة طلبة العلم المغاربة الى البصرة (135-140)هـ اسبابها ونتائجها عام 2009؛ التفاعل الحضاري لأهل الذمة في ظل الحضارة الاسلامية عام 2011؛ البصرة عند الاخباريين والرواة الاوائل من خلال كتاب الفهرست لابن النديم ت 385هـ عام 2012؛ ابن ابي شيبة الكوفي 235هـ/849م ومنهجه العلمي في الرواية التاريخية وتفسير القرآن الكريم عام 2012؛ قواعد واصول تحقيق المخطوطات عند العلموي في كتابة (المعيد في ادب المفيد والمستفيد) عام 2013؛ النصارى في العهد الايوبي رمزاً للتسامح الديني والتعايش السلمي عام 2015؛ تأثير علم الفلك البابلي على المعرفة الانسانية العصور(البابلية- اليونانية- الاسلامية) عام 2016؛ احوال بغداد العمرانية من خلال رحلتي بنيامين التطيلي القشتالي وابن جبير الاندلسي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي (دراسة مقارنة) عام 2016؛ الخطاطات الاندلسيات ودورهن في الحضارة العربية الاسلامية عام 2017؛ القيم العلمية والتربوية بين الاستاذ والتلميذ من

خلال كتب التربية والتعليم للعلماء المسلمين في رقي التعليم وجودته عام 2017؛ الاطر المنهجية لتوثيق النصوص التاريخية اشكاليات ومعالجات عام 2018؛ جهود المؤرخ ابن اسحاق ومنهجه في تدوين السيرة النبوية عام 2020.

د. ايناس سعدي عبدالله.

استاذ مساعد متخصصة في تاريخ روسيا الحديث والمعاصر، ومهتمة بتاريخ العراق الحديث، حصلت على درجة الماجستير من الجامعة المستنصرية عام 2003 عن رسالتها الموسومة: "دور الاردن السياسي في جامعة الدول العربية 1956-1979؛ وحصلت على درجة الدكتوراه من جامعة بغداد عام 2009 عن رسالتها الموسومة: "الحرب الباردة: دراسة تاريخية للعلاقات الامريكية-السوفييتية كوبا أنموذجاً". تعمل حاليا استاذاً للتاريخ الاوروبي الحديث في كلية الآداب/الجامعة المستنصرية. لها عدد من البحوث اهمها: الصراع السياسي على السلطة في روسيا بين 1 اذار-25 تشرين الاول 1917 عام 2014؛ التطورات الاقتصادية والسياسية في روسيا 1894-1905 عام 2015؛ الحركة الفلاحية والعمالية ودورها في الاحداث السياسية الروسية 1905-1914 عام 2015؛ سياسة لينين وبناء الدولة السوفييتية: رؤية اصلاحية من وجهة نظر اشتراكية 1917-1924 عام 2017. لها عدد من المؤلفات اهمها: تاريخ العراق الحديث عام 2014؛ تاريخ الدول الكبرى بين الحربين العالميتين عام 2017؛ تاريخ روسيا الحديث: من القيصرية الى الاشتراكية عام 2019؛ تاريخ روسيا الديني: من الوثنية الى المسيحية عام 2019.

د. نغم طالب عبدالله.

استاذ مساعد متخصصة في التاريخ الامريكي ومهتمة بالتاريخ الاوروبي الحديث وتاريخ الدولة العثمانية، وتاريخ العرب الحديث، حاصلة على درجة الماجستير من جامعة بغداد عام 2005؛ ودرجة الدكتوراه من جامعة بغداد عام 2012. لديها عدد من البحوث ابرزها: موقف عمان من النفوذ الانكليزي في الخليج العربي في القرن السابع عشر والنصف الثاني من القرن الثامن عشر عام 2008؛ العلاقات العُمانية-الفارسية في الخليج

العربي خلال القرن السابع عشر والنصف الاول من القرن الثامن عشر عام 2008؛ عُمان في عهد بني نبهان (العهد النبهاني المتأخر)عام 2008؛ الانگليكانية وقراءة في تطور الكنيسة البروتستانتية الاسقفية في الولايات المتحدة الامريكية عام 2014؛ اتفاقية سايكس بيكو ومشروع الوحدة العربية: استقراء للأحداث في ذكرى مرور مائة عام على اتفاقية سايكس بيكو عام 2017؛ المستعمرات الانكليزية في امريكا الشمالية ومبدأ التعايش السلمي عام 2017؛ السياسة العثمانية تجاه النمسا من فتح بلغراد حتى معاهدة كارلوفتس المعطيات التاريخية وتحليل النتائج عام 2018؛ جذور الحرية الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية قانون فرجينيا للحرية الدينية عام 1786 أنموذجاً عام 2019؛ فلسطين بين اليهودية والصهيونية عام 2019؛ شركات النفط الامريكية والاستثمار السعودي دراسة في التخطيط والاستراتيجية حتى عام 1953(بحث مشترك) عام 2019؛ الاتفاقيات النفطية بين الشركات الامريكية وشركة النفط الوطنية الايرانية عام 2019؛ التعليم والمعارف في مصر في عهد محمد علي باشا عام 2019؛ العلاقات الروسية-العثمانية عام 2020. لها عدد من المؤلفات ابرزها: التطورات السياسية الداخلية في الولايات المتحدة الامريكية بعد حرب الاستقلال 1783 – 1789 عام 2015؛ العلاقات الخارجية لدولة اليعاربة في عمان 1624-1747 عام 2017.

عبدالله ناهض عباس.

متخصص في العلوم السياسية، وحاصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية والسياسة الخارجية من الجامعة المستنصرية عن رسالته الموسومة: " تدخل حلف شمال الاطلسي في ليبيا: الاهداف والتداعيات" عام 2018؛ وهو حالياً باحث لدرجة الدكتوراه في الاستراتيجية من جامعة النهرين. كاتب مقالات سياسية منشورة على شبكة الانترنت، ومحرر اخبار، ومن بحوثه: عصر النانوستراتيجي: تحليل عوامل الارتباط بين المعرفة والاستراتيجية والدولة(بحث مشترك قيد للنشر).

هذا الكتاب

يمثل هذا الكتاب العمل الثالث في مشروعِ الدراسات المشتركة الذي بدأت به عام 2020 بدءً من كتاب: "من تاريخ شعوب الشرق الأدنى القديم" مع كل من د. كوزاد محمد احمد ود. جمال ندا صالح؛ ثم كتاب: "لمحات من تاريخ بلاد الرافدين" مع كل من د. ماجدة حسو منصور وحيدر عقيل. ان هذا الكتاب محاولة لدراسة أخرى، وفي بقعة مختلفة من العالم، تتجه نحو القارة الامريكية، مع عدد من الباحثين وهم كل من: د. ايناس سعدي عبدالله ود. نغم طالب عبدالله ود. اسراء حسن فاضل وعبدالله ناهض عباس. يهدف المشروع قبل كل شيء الى مد أواصر التقارب البحثي مع عدد من المتخصصين في مجال واحد حتى يتسنى إيجاد رؤى مشتركة تكون مقدمة لدراسات مستقبلية اشمل واكثر اتساعاً.